

ابو هم خراساني

رواية تاريخية غرامية

هي الحلقة التاسعة من سلسلة روايات تاريخ الإسلام

تشتمل على سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية وسي
ابي مسلم الخراساني في قتيلها بقتل على التهمة والذنب
وشدة العرش الى ولادة المتصور ومقتل ابي مسلم
ويختال ذلك وصف عادات الخراسانيين
والأخلاقهم وفترة المأوى على يد امية
وتناقض بين ما لهم على اليمامة
وغير ذلك

تأليف

جرجي زيدان

منشورات الهلال

مطبعة الهلال بالقاهرة مصر

سنة ١٩٠٥

المقدمة

سلسلة روايات تاريخ الإسلام

شرعونا في تأليف سلسلة روايات تاريخ الإسلام على أن تنشر منها كل سنة حلقة بعضها وصف واقعة من الوقائع الكبرى التي أثرت في تاريخ الإسلام تأثيراً يذكر . وكنا قبل الشروع في هذه السلسلة نوّافر الرواية بعد الرواية في مواضع متقدمة كرواية « الملوك الشارد » و « أسير المتمهدي » و « جهاد الحسين » ولم تنشر شيئاً منها في الملال . حتى أفترا رواية « ارمانتوس المصرية » سنة ١٨٩٥ وهي تضمن فتح المسلمين مصر على يد عمرو بن العاص سنة ١٨ هـ فلاح لـ أنا أن تنشرها ملحقة بال mellal على سبيل التجربة فالحقنها باهله السنة الرابعة ولبنا نقرب ما يكون من وقتها عند المطالعين . فرأينا من اقباطهم على الملال في تلك السنة مالم نعده من قبل . ولم يبلغ متقدف تلك السنة حق اضاعف عدد المشتركين وفقد ما كننا اذخرناه من اعداد اهلال للمجموعات في المستقبل — ولازال السنة الرابعة تادرة الوجود دون سائر سني الملال الى الآن . تاهيك بما جاءنا من كتب الادباء يستحسنون هذه الخطة ومحرضونا على تشر روايات التاريخية الإسلامية في الملال . واقتصر علينا احد الاصدقاء ان نحمل تلك الروايات متسلاة من اول ظهور الإسلام — فنشر التاريخ الإسلامي في روايات غرامية تشويقاً للمطالعين على نحو ما فعلناه في رواية ارمانتوس . فاستحسننا هذا الرأي وعزمنا على العمل به . وبما أن رواية ارمانتوس المذكورة تتشتم على فتح مصر فهي لا تصلح ان تكون الحلقة الاولى من تلك السلسلة فجعلناها الثانية والفترا رواية « فتاة غسان » شمناها ظهور الإسلام وفتح العراق والشام وجعلناها الحلقة الاولى . ثم الفترا رواية « عذراء قريش » وجعلناها الحلقة الثالثة ثم ١٧ رمضان . الحلقة الرابعة وهكذا الى هذه الرواية « ابو مسلم الحراساني » وهي الحلقة التاسعة وقد لاقت هذه الروايات اقبالاً حسناً وأكتزها طبع مرتين او ثلاث مرات وتسرع اهل اللغات الأخرى الى ترجمتها وترجمة رواياتنا الأخرى ليشروها بين فرائ السائهم في الشرق والغرب حتى شرع بعضهم بترجمتها قبل ان نفرغ من تأليفها . وقد طبع بعض هذه الترجمات ونشر ولا يزال البعض الآخر ينحت الطبع او محظ الترجمة . وهذا جدول بما ترجم من هذه الروايات وأسماء مترجميها وسائر احوالها مما يلغى علينا خبره :

اسم الرواية المفقة إليها اسم المترجم	بلده	هل طبعت
الملوك الشارد الروسية	دمشق (سوريا) موسكو (روسيا)	{ تحت الطبع؛ وسکو خليل بيدس فلاديمير دانيلوف
اسير المتمادي الفرنسي	مرسين (-وريا)	لم تطبع بعد
فتاة غسان الانكليزية	بيروت	تحت الطبع ياريس
« المندستانية »	لكته (المند)	طبعت في الهند
أرمانوس المصرية	»	»
الفارسية	البرنس عبدالحسين	في طهران
عذراء فريش الانكليزية	طهران	لم تطبع بعد
رمضان الفارسية	الناصرة	من هيكس
فادة كربلاء	طهران	طبعت في طهران
الحجاج بن يوسف	»	»
ابومسلم اخراساني	تحت الترجمة	{ و Jacqueline جعفر بن علي اكبر تبرز

هذه هي الروايات التي بلغنا خبر ترجمتها ولم روایات أخرى ترجمت ولم يتصل بها خبرها لأن بعضهم لا يرى استئذنان المؤلف لازماً

وقد تدرجنا في حلقات هذه السلسلة بنشر تاريخ الاسلام من ظهور النبي وفتح الشام وال العراق الى فتح مصر ثم ما كان من الفتنة في أيام عثمان وانقسام المسلمين الى مقتل الامام علي وأنتقال الخلافة من الراشدين الى الامويين ثم مقتل الحسين في كربلاء، فتأسيس الدولة الاموية في زمن عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف وما كان بعد ذلك من فتح الاندلس على يد طارق بن زياد ثم فتحهم بلاد الافرج الى الواقعة الشهيرة بين شارل مارتل وبعد الرحمن الفاسي واخيراً اخْمَلاَت شأن بني أمية وسقوط دولتهم وقيام الدولة العباسية على يد أبي مسلم اخراساني وهو موضوع هذه الحلقة

فنرجو أن تصادف خدمتنا استحساناً ونطلب اليه تعالى ان يوفقنا الى اقام هذا العمل وهو حسبنا واليه نتيب

الفصل الاول

الامويون والعباسيون

تختار دولة بني امية عن دولة الراشدين يان السلطة تحولت فيها من اخلافة الدينية الى الملوك السياسي . و تختار عن الدولة العباسية بأنها عربية بحثة شديدة التعمد للعرب كثيرة الاختصار لسواه . ولذلك فان اهل الديمة وغيرهم من سكان البلاد الاصليين قاسوا من خلافا، بني امية ومن عالم الامور الصعب حق الذين استروا منهم فان العرب كانوا يعاملونهم معاملة العبيد وكأنوا يسمونهم « الموالي » و يعدون انفسهم ذوي احراف عليهم لا لهم اتقذفهم من الكفر واذا صاروا خلتهم في المسجد حبوا ذلك تواعضاً $\hat{\text{ل}}$. وكان بعض العرب اذا مررت به جنارة مسلطة قال « من هذا » فاذما قالوا « قوشى » قال « واقومة » اذا قالوا « عربي » قال « وابدناه » اذا قالوا « مولى » قال « هو مال الله يأخذ ما شاء » ويدع ما شاء » . وكانوا يحرمون الموالي من الكنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والألقاب ولا يمشون في الصف معهم وكانوا يسمونهم الملعون . وفي كتاب الموالي لجاحظ ان الحجاج لما قبس على الموالي الذين حاربوا مع ابن الاشعث اراد ان يفترقهم حتى لا يجتمعوا فشق على يد كل واحد اسم البلدة التي وجدها اليها . وقد تول ذلك النقش رجل من بني عجل فقال الشاعر

وانت من نقش العجي راحته^(١) وفر^٢ شيفك حتى عاد بالحكم.

فكان سكان المملكة الاسلامية غير العرب يقايسون مر العذاب من عمال بني امية و يودون التخلص من دولتهم وكانت اول الجيبين لن يدعوا الى خلافها او يطلب اسقاطها ولولا دهاء بعض خلفائها وارثها لم تطل مدة حكمها ولكنها قامت بدهاء معاوية وانصاره كرياد بن ابي وحمراء بن العاص والمغيرة بن شعبة . والناس بایعوا معاوية رهبة من سيفه او رغبة في عطائه وم يعتقدون ان اهل بيت النبي اولى بذلك الامر ثم توالي في هذه الدولة احوال كثيرة ساعدت على استبقاء الخلافة في بني امية نيناً وسبعين سنة وكان اهل بيت النبي في اثناء ذلك يطلبون الخلافة لأنفسهم ولا ينلحوون وهم فشان

(١) تاريخ العدن الاسلامي ج ٢

كبورتان فئة ترجع بآسماها إلى الإمام علي ابن عم النبي وهم العلويون وفئة ترجع إلى العباس ابن عبد المطلب عم النبي وهم العباسيون . والعلويون فئة تطالب بالخلافة لأنباء علي من زوجته فاطمة بنت النبي وهم الحسن والحسين ومن تسلسل منها وفئة تطلبها لابنه محمد ابن الحنفية . وكان دعاء محمد هذا يقال لهم الكيسانية وأما العباسيون فسمى شيعتهم الرواندية والعباسيون لم يطالبوا بالخلافة إلا في أواخر دولة بني أمية . وأما العلويون فما انفكوا من زمن معاوية وهم يطالبون بها فيرسلون الدعاء إلى أهاء المملكة الإسلامية بدعون الناس إليهم وكثيراً ما اجتمع حول بعضهم الوف من الانصار والاشياع ولكنهم لم يفلحوا . حتى إذا اتفقى القرن الأول واخذ شأن بني أمية في الفتح واخذت دولتهم في الاختلال كان شأن الكيسانية قد اذلهم وهم يدعون لابي هاشم ابن محمد بن الحنفية المذكور وقد كثروا عادتهم في العراق وخراسان وكان ابو هاشم قد اوصاه انه سيحول الدعوة إلى آل العباس . فلما علمت شيعة أبي هاشم بهوته قدموه إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المذكور وبایعوه بفتح الدعوة إلى الأفاق في السنة المائة للهجرة سـ١٠١ . وكان أكثر الذين اجابوا الدعوة من الموالي غير العرب وبخصوصاً في خراسان بعددها عن مركز الخلافة الاموية بدمشق . وفي سنة ١٣٤هـ توفي محمد بن علي صاحب الدعوة فباع الناس لابنه ابراهيم وكانوا يسمونه الإمام . وما زال امير العباسيين يقوى وامر الامويين يضعف حتى انتهت الدولة الاموية وقامت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ . وكان قائد شيعة العباسيين شاباً فارسياً اسمه ابو مسلم الخراساني هو بطل هذه الرواية

— مصحّح —

الفصل الثاني

دھقان مرو

كانت بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر قبل الفتح الإسلامي مؤلفة من المدن والقرى وكان رجال الحكومة يقيمون في المدن ويجمعون فيها كل قوتهم . وأما القرى فقد كانت في حوزة جماعة من اشراف الفرس يعرفون بالدهاقين على نحو ما كانت عليه حال قرى اوروبا في عصر الانقطاع اذ كانت البلاد في ايدي الامراء الارشاف من الكوتية والواردية وكل امير منهم يحكم مقاطعة تعرف باسمه يحرسها جنده وتحوشها رجاله وهو فيهم مكان الحكم

المطلق . وكان الدهقان ورجاله يحكمون اهل القرى سكان البلاد الاصليين ويستخدمونهم استغلالاً الرق وكان السكان خليطاؤن الشعوب الآرية يمتازون بضخامة البدن وبروز العذر كذلك كان الدهاقين في خراسان وغيرها لما فتح العرب تلك البلاد . فهم اثنا فتحوا المدن واقاموا فيها الحامية . اما القرى فأفروا فيها الدهاقين على فحوم ما كانوا عليه في دولة الفرس واستمعانوا بهم في كثير من الاحوال وخصوصاً في اقتداء اخراج بما كانت لاولئك الدهاقين من النفوذ العظيم على اهل البلاد الاصليين وكثيراً ما كانوا يستحبون بهم احوال الحكم وغيرهم . وكان الدهاقين من الجهة الاخرى ينتفعون بتقريرهم من الفتنة الحاكمة ويعتزلون ما كانوا يجمعونه من اخراج فتضاعفت ثروتهم وزاد نفوذهم . على انهم كانوا يتناوتون ثروة ونفوذاً من صاحب القرية الصغيرة او المزرعة الى صاحب الرساتيق العديدة والبلاد الواسعة وكثيراً ما كانوا يتلون الحكومة كلاماً راء لكن بني امية كانوا يسيطرون الى اولئك الدهاقين احياناً في جملة اسامتهم الى غير العرب . وكانت ديانة الدهاقين الجبوسية ديانة الفرس القدماء وانقضت ايام بني امية ولم يسلم منهم الا القليلون

وكان اعتلام دهاقين خراسان في اوائل القرن الثاني للهجرة دهقات كانت ضياءً اكثراها يجوار مدينة مرو عاصمة خراسان في ذلك العهد ولذلك غالب عليه الانتساب الى تلك المدينة فكان يسمى «دهقان مرو» . وكان لهذا الدهقان ابنة اسمها جلنار غلت شهرتها على شهرته بالجمال والتعقل وقد ذكرها في الناس حتى اصبحت مفترب امثالهم وخصوصاً بالالفة والامساك عن الزواج مع كثرة الخطاب من كبار الدهاقين والآراء . وكان اذا طلبها طالب عرض ابوها عليها امره ورغبتا فيه فاذا ابى جاراها

وكان الدهقات المذكور يقيم في مزرعة له على بشعة امالي جنوبي مرو في قصر شيم تأنيق في ينائه واثناً حوله الحدائق غرس فيها الاشجار المشمرة واصناف الزياحين والازهار وسرح فيها الطيور الداجنة وفي جلتها الطاووس والديك الهندي واصناف الدجاج ابتي ما افقاصاً في بعض جوانب الحديقة واقام حول القصر والحدائق سوراً عالياً منيعاً كأسوار القلاع . وخارج السور منازل رجال الحاشية والاعوان وبنها اعشاش يقيم فيها الحراثون والخدمه

ولم يكن يقيم في القصر الا الدهقان ونساؤه وخدمه وبنته ولم يكن له ولد سواها . والقصر المذكور مبني على نمط خاص يمحبه المقرب عليه هيكلان من هياكل النار التي كان الناس يصلون فيها قبل الاسلام . والظاهر ان هذا القصر كان هيكلان لعبادة النار

ولم يكن قد آن وقت الرقاد ولكن جلنار احتالت في النهاب الى الفراش لتخلو بامانتها وتسارها بما في نفسها

وكانت جلنار من الجلال على جانب عظيم مستديرة الوجه ممتلة الجسم طويلاً
القامة معتدلة اياض البشرة مع حمرة تلألأ تحت ذلك اليابس سوداء الشعر مسترسله بخلاط
العينين سخالاً هما مع جاذب وحالوة يندوان في البعض لأن الجاذب يقلب في السمر · وكان
هنا في مقدم الذقن خصلة وإذا ابتسمت ظهر لها الى جانب القلم خستانها الفمازان

فاما فرغت الماشطة من تبديل ثيابها فقصاً من الحرير الثاعم وردي اللون
وحلت شعرها وسرحته بمشط من العاج فاسترسل الى كتفها ثم ضفرته ضفيرة واحدة
ثلاثاً يعقبها في اليوم · وكانت الماشطة من اهل الذكاء والتعقل وأصلها سرية ابنتها
الدهقان في جلة جوار بعض من بعض مختار الرقيق الذين يتجررون بالمداليك من بلاد
الترك والخزر لكنها تحكت يذكراها وأسلوبها من اكتساب ثقة الدهقانة جلنار حتى
جعلتها مأشعلتها · والماشطة من أهم أصحاب التفوذ في بيوت الدهاقن لان نساءهم يفضبن
باسرارهن إلى الماشطة ويعتمدن عليها في المهام العظام · فإذا كانت من أهل الذكاء
والدهاء ملكت زمام القصر واستخدمت الدهقان والمashaqana

وكانت مأشعلة جلنار واسمها ريحانة قد ملكت ثقة سيدتها وتحكت من محبتها
وخصوصاً بعد وفاة والدتها فاصبحت ريحانة من كثر أملاها وحزانة اسرارها · فلما فرغت من
تبديل الثياب استلقت جلنار على فراش من ريش العام غشاوة اطلس ساوي اللون
فترقت فيه واتكأت بذراعها البسرى على وسادة مزركشة واستدلت خدها على كفها
وتنعلت بالدهافع الى أسفل الكتف وأرسلت يدها العين فوقه وقد تزعت من معصمها
أكثراً الحلي الا الاساور والخسر الكم عن زندها فظهرت اضائته مع ياضه تاهيك يضاربة
تلك الكتف · فتوسدت على تلك الصورة ووجهها نحو ريحانة وكانت ريحانة قد لقت رأسها
وحول عنقها بخمار من نسيج الكشمير ولبس دراعة مستطيلة تحتها سراويل متنفسة
على نمط لباس الفرس في تلك الايام وليس عليها شيء من الحلي

جلست ريحانة الى جانب جلنار وهي مستقرة ما آنته من سكوتها وانقباضها في
أثناء تبديل الثياب وكانت هادئاً ان تقضم مثل تلك الساعة للعيشة والمضاحكة · فلما
رأى ريحانة سكوتها جاز لها في السكوت نادياً وصبرت نفسها حتى فتح هي الحديث مع
علمها بعض ما يحول في خاطر سيدتها من الهاواجين · فلما انكاث جلنار اشارت الى ريحانة

ان تغلق باب القرفة ففعمات وعادت الى مكالمها وعادت يدها الى شعر جلدار وجملت تلاعيبه
بين اناملها ثم مررت يدها على رأسها وهي تنظر الى وجهها وتبتسم كالم تستفهم منها عن
سبب ذلك السكت . فقالت جلدار بالسانها الفارسية وكانت تعرف الفارسية مثل معظم اهل
فارس في ذلك العصر لانها لسان الفتاة الحاكمة لكنهم كانوا يتغافلون فيها بنيهم بالفارسية
لغة آباءِهم — فقالت جلدار « ما قولك بابي ٠٠ ٠ »
قالت رمحانة « أنه يريد خبرك ٠٠ ٠ »

قالت « صدقت ولكنني أرآه شديد الرغبة في زواجي ٠٠ ٠ »

قالت « أتلوينه على ذلك ٠٠ ٠ ؟ واي اب لا يريد ان يزوج بنته ٠٠ ٠ ؟ وانت من
اعم المولى في دوغد وسعادة وابوك أكبر دعاقين خراسان وليس له سواد وكل جاهد
طالب رفضه افلام ابوك اذا غضب ٠٠ ٠ »

فتحت جلدار وكأنها ارادت السكت ولم يطأوعها قلبها فقالت وهي تشاغل بالصلاح
فيصها عند المتنق « وهل تظنين أني أكره الزواج ٠٠ ٠ لكنني أرى والدي لا يلتقط في
زواجي الى غير مصلحة وانت تعاملين ذلك ٠٠ ٠ »

تجاهلت رمحانة وقالت « لا اراه كأنه ينلين يا مولاني لانه انا أراد زواجك بأكبر
امراء العرب في خراسان ولا يخفى عليك ان هذا الامير لا يطلب فتاة الا ناما لانه
حاكم النافذ الكلمة ومن قرئ منه اكتسب مثل هذا التفوذ ٠٠ ٠ »

فقطعت الفتاة كلامها قاتلة « وهذا ما قوله ٠٠ ٠ ان ابي يريد تزويجي يكن الكرماني
امير هذا الجند ليكتسب التفوذ عنده وليكثر دخله من جيابه الخراج ٠٠ ٠ تم ان الكرماني
هذا لم يتم له الامر فهو ليس الامير الحاكم وانما هو يطلب الحكم لنفسه وما ادرانا
انه يسألنا ٠٠ ٠ »

قالت « أما من فيله الامارة فانا ضامنة ذلك لما علمنته من قوة جنده فهو الان
محاصرٌ من وحاصمه خراسان وقد ضيق على اميرها نصر بن سيار حتى فرّ نصر من بين يديه
ولا يريد ان يعود نصر الى التسلیم فيصير الكرماني صاحب الامر والنفي في خراسان
فتكونين حينئذ اميرة خراسان ٠٠ ٠ »

قالت « اراك مخليطين ومخطبين ٠٠ ٠ أتزوج ابن الكرماني على امل ان اباه
سيغلب امير خراسان ويقوم مقامه ؟ وما ادرانا ان الخليفة في الشام لا يرسل جنداً
فيحارب الكرماني هذا ويقهره . فكيف تكون حالنا ؟ ٠ ٠ ٠ »

فابتسمت ريحانة وقالت «أمامن قيل الخلبة في الشام فكوني على يمين أنه لا يحرك ساكناً لاشتماله بما حوله عما هو بعيد عنه» . فقد علمت من خادمك الضحاك أنه لما تولى الخليفة الحالي مروان بن محمد قاتل الناس عليه حتى أهله ورجاله وقد قضى زمناً وهو يحارب ويغائب في بلاد الشام ولم يستطع اخضاع تلك البلاد الا بشق الأنفس . فهو لا يطبع باسترجاج خراسان اذا تقلب عليها رجل مثل الكرمانى»

قالت . لقد اذكرتني بذلك الحادم المضحك فإنه خفيف الروح وأداء على كونه عريباً يعرف اللغة الفارسية جيداً ومع ما يظهر من باهته وفحكم المتواصل وخفته روحه فإنه بعيده النظر ذو دهاء يمكن الاعتداد عليه . ومن الغريب انه عربي وقد دخل في خدمتنا على هذه الصورة . . . أين هو الآن . . . ادعوه لعلنا نستفيد شيئاً من حديثه . . .

الفصل الرابع

طارق

فهمت ريحانة بالموض فسمعت خلق نعال أمام باب الفرقه فعرفت المحاجن ان الدھقان مازل من هناك فابتنت ربيعاً يمر فإذا هو قد وقف بالباب ثم فتحه ودخل وهو ملتف بالقباء كاً تقدم فاسرعت ريحانة وهروات نحو الباب وخرجت احتراماً اسيدها . وأما جلنار فلما جلس في القراش وقد ظهرت البقة في وجهها ولكنها كانت رابطة الجأش فتجددت ورجحت بوالدها . فاقبل حتى وقف بجانب فراشها ثم انحن وأمسك ذقها بين انامله كأنه يلاعها استعطافاً لها او استرضاء لخاطرها . أما هي فلم تخجهل غرضه فظلت صامتة حتى خاطلها قائلاً «أراك تلتسين الرقاد باكرأ يا جلنار . . .

قالت «رأيتني تعبة فاحببت الاستراحة في القراش وانا لا أشعر بالتعب . . .

قال «هل» بنا اذا الى القاعة الكبرى فان الجلوس فيها يشرح الصدر لما تحمل عليه من الازهار والرياحين ونحن في ابان الرياح فضلاً عن نور القمر الساطع . . .

فلم يسع جلنار الا بمحارة والدها فهمشت وترملت بعلاوة كبيرة من نسيج الكشمير يغلب فيها الالون العنابي غطت أنواعها ومثنت معه حتى وصلا الى القاعة بخساعلى وسادتين

« متحاذيتين وجثار شوقي، من أبها حديثاً لا يرضيها » فاما استقر بهما الجلوس قال الدهقان
«رأيتك يا جثار في هذا المساء على غير ما تعودته من ملائكتك فما الذي حملك على ذلك؟ »

«فالات وهي مطرقة «افي أطوعك من يتأذك يا ولادي ..»

قال «فأباك لما ذكرت لاك ما بيت به الينا امير العرب من خطلك لابه سكت

وتحجّات؟ ألا تعلمون أن مصاہرة هذا الامر من أکبر اسایب سعادتك؟

قالت « وأي أمر أتفى يا أبا شاه »

قال «اعني الـكـرـمـانـيـ قـائـدـ قـائـلـ الـيـمـنـيـ الـذـيـ يـحـاـسـرـ مـدـيـنـةـ مـرـوـ الـآنـ اوـ هوـ فـتحـهـ عـلـىـ ماـ يـلـقـىـ وـقـدـ فـرـ قـصـرـ مـنـهـ»

قالت: أني لا أفعل إلا ما تأمرني به لكنني لا أثق بفوز هذا الأمير . . . وقد رأيتك

لما بعث نصر بن سوار أمير تلك المدينة يطلبني منك لابنه فلم تحيه مع أنه صاحب
حكومة خراسان ٢٠٠

قال « وهذا يدل على احتفالي بك و سعي في راحتك لأن نسرأ هذا لا يليث ان يغلب على ما في يده و يخرج من هذه البلاد مدحوراً أضعف حمايته وأخmalط دولة بيـن أمية على الاطلاق وقد أصبح اهل حرـامـان كافة تأذين علـيـها بعد ما ظهر لهم من إشارـهاـ العرب على الفرس و معاـليـهم بالشرـائبـ الـقادـحةـ بـغـيرـ الحـقـ حتى طـلـابـ شـاهـاماـ الجـزـرـةـ منـ السـامـينـ علىـ غـيرـ القـوـاعـدـ المـارـعـيـةـ فـيـ الـاسـلامـ »

قالت: لا اجدل استبداد هذه الدولة ولكنها لا تزال في احتقاري انوى من رجال لا دولة لم ولا حكومة كابن الازماني . فانه اشبه بوجل نار على حكمه وشأنه في ذلك مثل شأن جماعة الطوارق الذين يتحدون على الدولة ثم يذبحون ويقتلون وانهم شيوخ الذي رأيناهم بالآمس معاصر آلمرو . وزد على ذلك ان الازماني ليس بعد من اسر زمام الا قبائل اليهودية من العرب واما سائر القبائل المفترية فهم مع ذكر ابن سبار وربما سدوا قوة اليهود زادوا عليها . وهل نسيت حزب الشيعة القائم الآآن في غالب اطرافه لآل البيت وقد انحصرت الشيعة الآآن في يبي العباس وامامهم ابوالعجم بن محمد . ألم تكن عن في جملة الفرس الذين عاحدوا ديانة العباسية على قدرتهم وأكثروا اسر زمام من اهل خراسان

فالـ «صدقـ شـنـ يـعـدـناـ الشـيـعـةـ وـسـاحـدـنـاهـمـ وـلـكـنـ يـقـتـلـهـوـنـ لـهـ بـقـلـوـنـ وـلـاـ يـنـعـاـونـ،ـ نـقـدـ وـنـزـىـ سـالـيـبـ عـدـدـ اـعـوـامـ مـذـ دـعـوـنـاـ الـىـ نـصـرـتـهمـ مـرـأـ فـعـدـنـاهـمـ بـالـأـمـوـالـ مـرـارـاـ وـلـكـنـهـمـ

لأي زالون الى الآن يكتسون واما الکرماني هذا فانه جمع الجند ولا يثبت ان يستولى على
مرء واذا هو فتحها اصبح امير خراسان ثم يفتح سواها ويصير دولة قوية لقوم مقام دولة بني
آمية . . . واكبر شاهد على ذلك انه تغلب بالامس على الحرش بن مرجع وقتلها وشتت جنده ثم
غلب على مرء وفڑ نصر منها وهو لا يزال فاراً فالکرماني صاحب الامر والنهي الآن . . .
فاطمیعني وانت الرابحة واذا كان الامیر صهرنا فيكون لنا النفوذ الاعظم وتكوين انت امیرة
خراسان كلهما . . . ومع ذلك فاني قد وعدته بك من قبل وبعث اليه بالمرسم الرسول «
فسككت جنادر واطرقفت فاتخذ ابوها سکوتها جواباً واراد ان يثبت ذلك فصنق بخاءه
بعض الغلستان فقال «أتوفي بالفحشات العربي . . .

الفصل الخامس

النهاية

ولم يمض قليل حتى جاء الرجل وكان حلويل القامة رقيق البدن مخدودب الظهر قليلاً
بسbib طوله وكان لا ينفك ضاحكاً لغير سبب يا يشبه البلة وكان يعمّ بعامة كبيرة جداً
مع صغر وجهه وغور عينيه وصغرها وخطة شعر لحيته وشاربيه فيه يدر منظاره «ضحكاً ولا
يكلمه أحد الاً أضحكه وكان قد دخل في حوزة الدهقان على سبيل البيع فاشتراه من
بعض تجار الواقع وقد احتفظ به لانه عربي ويندر ان ي باع العرب بيع الواقع في تلك
الايات . وقد اعجبه ما كان فيه من خفة الروح فكان كثيراً ما يدعوه ويسأله بعض الاسئلة
عن العرب فيجيبه عنها جواباً خبيراً ومتلطفاً الجلد بالمزيل فلما آتى الدهقان في ايته الانتباش
في تلك الليلة اراد ان يخرج عنها فاستقدمه . فلما دخل الى القبة ثم غمز عمامته فالغرت الى
جانب رأسه فاصبست بركبها واصغرانيا ذات نطلق غريب والضحاك مع ذلك يضحك ويقهق
بلا سبب ظاهر
فلا رأته جلدار ضحكت لانها كانت تنسان به كثيراً وكانت تدفع ان تستخدمه في
بعض مصالحها لما تحققته من جدته في معرض المزاح . فقال الدهقان « اي مقى يثبت
سلطان بني امية في خراسان ..؟

فالتفت الدهقان الى ابنته وابتسم كأنه يقول لها « الم اقل لك ذلك ؟ » ثم التفت الى المحاكم وقال « فكيف تقول ذلك والامريون لا يزالون اهل سلطان وخليفتهم في الشام عنده الجند والاعوان الا نظرك يتبع هذه المدينة وينفذها من اصحاب الكرمانى ؟ . . . » فقهمه المحاكم قهقهه عظيمة وقال « مسكن نصر بن سيار . لقد بع صوته وهو يتهدى بني امية وينذرهم بسوء المغبة ان لم يتبعوه وما من عجيب . وقد بلغنى انه استعان في اقناع اخليفة بالشعر فنظم له قصيدة قال له فيها

وارى بين الرماد وميض نار
واخشى ان يكون له ضرام
فانت النار بالعودين تذكري
وان الحرب مبدأها كلام
فقللت من التعجب ليلت شعرى
اية باقاظ امية ام نیام
اتدرى ماذا اجا به اخليفة على ذلك «
قال الدهقان « ماذا اجا به ؟ »

قال « كتب اليه ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب (ووضح ضحكة طويلة) ولم يسعده بشيء » فنظر الدهقان الى ابنته واكتفى بذلك النظرة فأيداً قوله . وكانت هي بالحقيقة لم لقنه ولم يكن تتعنها من وجه سياسي او طمع بسلطان ولكنها كانت ذات قلب يحبه ويغضبه فإذا سلطت قيادها الى والدها لا تستطيع ان تسلم قلبه لابن الكرمانى لاشغاله بحب رجل رأت انه يسحق مجتها وكانت قد شاهدته في مجلس والدها مرة فاعقبت تلك النظرة الف حسرة ولكنها لم تكن تجسر على مخاطبته ايها لانها لم تكن تعلم اذا كان عند الرجل مثل ما عندها فسكتت . فاشار والدها الى المحاكم بخرج مهولاً فلما خلا الدهقان بابنته قال لها « سأردد رسول الكرمانى في الغد بجواب الرضا واتكل على الله » فلم يتجه فلم يهمه سكوتها لاعتقاده انه سكت الحياة

وكانت هي في اثناء سكوتها قد شغل ذهنيها سلاح حلطنة اجراس عن بعد ملدو الطبيعة في تلك الليلة المقررة ثم سمعت نباح الكلاب وهي لا تنبع الا على طارق . فتشاغلت عن سؤال ايها بالاصناف الى حلطنة الاجراس فانتبه ابوها لذلك فقال لها « يظهر ان قافلة سائرة ليلاً بضوء القمر » ثم جعلت اصوات الاجراس لقرب ونباح الكلاب يشتد والدهقان وابنته صامتان وكل منهما في شاغل . وقد فرج الدهقان بقول ابنته لاعتقاده بما سيمكون من امر الكرمانى وسلطانه وما سيتال من النفوذ والكسب على يده واعلم انه اذا لم يقبل طلبه طوعاً سيضطر لقبوله كرهاً

الفصل السادس

ابو مسلم الطراساني

ولم يمض يسير حتى تمعوا جميع الرجال وصبيط الخيل وضواه الناس ثم جاء بعض الغلنان
مزروبين وهم يقولون ان قافلة كبيرة وقت بباب القرية تطلب النزول بدار الاخياف
فقال « وهل هم كثيرون ؟ ومن اين فادمون ؟ »
قالوا « انهم يزيدون على مائة نفس ومعهم الرجال والخيل »
فقال « لا اظنهם يعنون الاقامة جميعاً عندنا ومع ذلك فادعوهم للنزول »
فعاد الغلنان وبعد قليل جاء احدهم وهو يقول « ان بعض رجال القافلة يطلبون
مقابلة الدھقان »
قال « فليدخلوا »

فوقفت جلنار ترید الرجوع الى غرفتها فامسكتها ابوها وقال « اقعدني لا بأس عليك
لترى من هم الفادمون »
وبعد قليل اقبل رجالات قد تزمل كل منها بقباه اسود وتلثم بثمام اسود ووراءها
رجلان يحملان حزمة طولية يستدناها من طرفيهما على اكتافها . فلما وصلا الى بين يدي
القصر ازلالها الى الارض ووقفا هناك . اما الاناث الاولان فدخلن دخولاً دون الامراه وحيانا
الدهقان بالفارسية . فلما سمعت حفيتها اجلل لانه سمع صوت رجل يعرفه فتقدم ذلك الرجل
إلى الدهقان ولم يلتفت إلى ابنته وسلم . فلما دنا من المصباح صاح الدهقان « عبد الرحمن ! »
فلما سمعت جلنار اسمه اخلج قلبه في صدرها ونظرت إلى وجهه وهو مائم فلم تعرفه
ولكنها تومنت خيراً من فصر قامته مع طول صدره وقصر ساقيه فنظرت جالسة وهي تتضرّر
ان يحسس اللثام . فلما سمع الدهقان يرحب به تزع اللثام فبان من تحته وجه اسمر حميم نقي
البشرة احوز العينين عريض الجبهة حسن الحية وافرها طويل الشعر^(١) فلما رأته جلنار علت
الحال انه عبد الرحمن بن مسلم (وقد سئي بعد ذلك ابا مسلم الطراساني فسميه بهذا الاسم
منذ الآن) ولم تراك عند روئيته عن الامتناع لما اصحابها من البعثة من . روئته على غير
انتظار مع ما في نفسها من جبهة

(١) ابن خلكان ج ١

اما الدھقان خالما عرقه رحب به ودعاه للقعود فنعد ثم دعا ابو مسلم رفيقه للقعود
ايفاً وهو يقول له بصوت خافت وجاش رابط « اعد يا خالد »
نظر الدھقان الى الرجل كأنه لا يعرفه فقال ابو مسلم « هذا صديقنا خالد بن برمك »
فبخت الدھقان وقال « ابن صاحب التوبهار ؟ ... »
فأجاب خالد قائلاً « قد اقضت ايام التوبهار وتخلصنا من عبادة النار اذ هدانا
الله بالاسلام »

قال الدھقان « صدقت ... اهلاً بكم ومرجاً » ثم صفق بخاء بعض الفلمان
فأمرهم باعداد الطعام للضياف وتقديم ما تحتاج اليه القافلة من الزاد والماء
فاعتربه ابو مسلم بهدو وسکينة قائلاً « لا تعب نفسك ولا تشغلي رجالك فاتنا لامتحاج
الي شيء من ذلك وحن لشكوك لحسن وفادتك »
فقال « ومن اين انتم قادمون ؟ »

قال « من الحج ... » وفي ملامح وجهه ما يدل على أنه يعني غير ما يقول « ففهم
الدھقان أنه يريد الكمان كعادته من قبل ... فقد كان ابو مسلم يغدو على الدھاقن في طلب
المدد من المال ونحوه انتصاراً لاشیعة ... وكان يفعل ذلك سرّاً خوفاً من عمال بي أمية
فكث الدھقان فادرك ابو مسلم ظنه ف قال « لا نظتنا تزيد التكمم فقد اتفقني زمن الاسرار
وان لنا ان نظهر دعوتنا ... فهل انتم على عهدمكم معنا ؟ »

فذكر الدھقان انه صاهر الكرماني فهو بالحقيقة خالد المهد وقد كان في جلة من
عاهد على نصرة بي العباس ولكنه لم يكن يتوقع ثباتهم لشکارفشل الشیعة في نصرة أهل
البيت ومع ذلك فقد ظن في كلام ابي مسلم مبالغة فاراد تحققه على ان يكتم عنه أمر
الكرماني ثم يكون يعتمد مع الغائب فقال « وماذا تعني بذهاب زمن الاسرار »
قال « اعني انا كنا نايكم سرّاً باسم ابراهيم الامام ونستنصركم على بي أمية ربها
ياؤون الوقت لاظهور واخراج دعوتنا من القول الى الفعل بالسيف ... فبشركم ان الامام قد
امرنا باظهار الدعوة »

فقال « هل جندتم الرجال ؟ »

قال « لم نجند احداً لاتا لم نبدأ باظهار الدعوة بعد وانت اول من عرف بعزمها على
ذلك ونرجو اذا اظهرتها ان يحيينا كثيرون لأن شيعتنا كبيرة في خراسان ومعلم
الدھاقن معنا »

قال « هذا صحيح ومن هم الذين معك في القافلة »
 قال « النقباء وهم سبعون تقريباً احتجارهم الامام من شيعته ووجههم لدعوة الناس الى
 اتباعه وحل السلاح في نصرة الله وسفرهم في خراسان قريباً »
 قال « وكيف استطعتم المرور بهذا العدد الكبير في البلاد بدون ان يستشككم العرب
 وهم يسيئون الفان بكل فارسي »

الفصل السابع

وصية الامام

فلما سمع ابو مسلم سؤاله احب ان يفيض في وصف حاطم تبليتاً للدهقان في نصرة الله
 لعلمه انه اذا نصره هو اقتدى به دهاقين كثيرون فقال « أنت تعلم يا اعظم الدهاقين ان
 العرب يفاحروننا بالتبوه لأن الذي منهم وقد احتقرنا واذلنا وعاملونا معاملة الرق ولو
 استطاعوا ان لا يبقوا منا احداً لفعلوا مع ان العلة السائدة منهم الآن وهم بنو أمية ليسوا
 من اقارب النبي بل هم اعداء اهله وقد اضطهدوهم وقتلهم وخصوصاً آل علي بن أبي
 طالب ابن عمهم فاتهمواهم العذاب الشديد . ولا يخفى عليك ان آل بيت النبي لا يرون
 فرقاً في الاسلام بين العربي والمعجمي بل هم يفضلون العجم على العرب . ولذلك كانت
 شيمهم من الفرس كما تعلم . ثم سلم آل علي حقوق الخلافة الى آل العباس عم النبي وكبارهم
 الان ابراهيم الامام فتحولت شيعةبني علي في هذه البلاد الى نصرةبني العباس . فالامام
 الان مقيم في الحميمة بالبلقاء قرب الشام بيت الدعاء ويخابر الانصار . وقد عهد اليه في
 العام الماضي ان اتولى رئاسة هذا الامر وكتب الي أصحابه ان يطعنوني وجعلني أميراً على
 خراسان وما افتحه من البلاد . فاستنصرني بعض النقباء لصغرستي لاني دون العشرين
 من العمر وهم مشائخ كبار لكنهم اذعنوا اخيراً . وقد اوصاني الامام يوم وداعه في العام
 الماضي وصية ذات بال هي اساس كل عمل عملته او سأعمله في سبيل هذه الدعوة »

وكان الدهقان يسمع كلام ابي مسلم وهو مندهش من رزانته على صفرته وقد احسن
 وهو يسمع كلامه كانه يخاطب شيئاً كثيراً او ملحاً جليلاً ما كان في وجهه من اهليته
 والوقار . فلما سمعه يشير الى وصية الامام اصاخ بسمعه ليفهم تلك الوصية جيداً . وكانت

جنار تظاهر بالازواء وكالها عيون وآذان لترى وتسمع • ولا تسل عن حاطا في تلك الجلسة وهي المرة الثانية التي قابلت فيها ابا مسلم ولم تبق جارحة من جوارحها لم تتصور صورة ابي مسلم فيها

اما هو فقد كان في غفلة عمما يعتقد في قلب تلك الفتاة وانما كان منه القيام بذلك الدعوة حق القيام • فلما ذكر الوصية مدیده الى حيه وقال « هاتي اتلوها عليك كما تلقفتها بالعربية حرفيأ » واستخرج رقاً ملفوفاً نشره واخذنيقاً والحاضرون يسمون: « يا عبد الرحمن انك رجل من اهل البيت فاحتفظ بوصيتي وانظر الى هذا الحلي من العين فاكرمه وحل بين اظهرهم فان الله لا يتمم هذا الامر الا بهم • وانظر هذا الحلي من رسامة فاتهمهم في امرهم وانظر هذا الحلي من رسامة فاتهم العدو القريب الدار • فاقتل من شُكِّت في امره ومن كان في امره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء • وان استطعت انلاندعي بخراسان لساناً عربياً فافعل • فايها غلام بلغ خمسة اشبار تهمه فاتله »^(١)

فلما فرغ من تلاوة الرق نه وارجعه الى حيه وهو ينظر الى الدهقان • وكان الدهقان لما سمع تلك الوصية ارتعضت فرائصه من شدتها وقوتها وسره نفقة الامام على العرب بما في نفسه منهم ولم يكن رضاه بابن الكرمانى صهراً الا من قيل الخوف ولكن كان لا يزال ضعيف الثقة بشيعةبني العباس • على انه كتم ذلك وتظاهر بالاعجاب وقال « أنها وصية لا يقف عليها حكيم • ويكتفى من بواسع اجتماع الفرس عليها أنها تأمر باذلال العرب وقتلهم فلا أظن دهقان او اي رجل فارسي يطلع على هذه الوصية الا كان من المتشبعين لآل العباس • الا ترى ذلك يا خالد »^(٢)

وكان خالد في نحو الأربعين من عمره وهو ابن برمل (جد البرامكة) صاحب التوبهار وهو بيت ثمار كان للفرس في مدينة بلخ • وكان برمل مجوسياً والفالب انه مات ولم يسلم تخلفه ابنته خالد هذا وهو من افراد الرجال عقلاءً ودهاءً وبطشاً وكان في جملة من اسلم من عظماء الفرس وتشيع لآل العباس انتقاماً منبني أمية والناس لما كانوا يتوقفونه من السلطان لأنفسهم والاجزاء من التفود اذا قامت الدولة بهم • وكان على كونه كهلاً قد رضي برئاسة ابي مسلم وهو شاب لا يزيد سنه على العشرين الا قليلاً • ومثل خالد كهول واثياب كثيرون من قالوا بدعة العباسين وقد رضوا بابي مسلم قائداً لهم احترااماً لامر

ابراهيم الامام وكان احدهم واسمه سليمان بن كثير قد اعترض فلم يجد اعترافه فاذعنوا .
وكان ابو مسلم يختتم خالداً ويقدره حق قدره ويستشيره في مهام أمره ولذلك لما أراد
مقابلة الدهقان اختصه بصلاحته دون سائر الرفقاء

فلما خاطب الدهقان خالداً ببيان الوصية واستطلع رأيه اجابه على الفور « لا رب
عندى ان الفرس يستهلكون في نصرة العباسين لأنهم اغا يسعون في مصلحة افسهم وينجذب
على كل فارسي ان يقدم نفسه ومائه لنصرة بيت النبي لأن في نصرته رفع شأن الفرس »
فأراد الدهقان ان يطري ابا مسلم قرباً منه ولياماً له انه شديد التمسك بدعوه
اخفاء لما سبق من مصايرته ابن الكرماني . فقال « ولا غرو اذا اتصر الشيعة وفيهم
مثلكم » من رجال الحزم والبسالة والتعقل »

فقال خالداً ان البسالة والقوة لا يكفيان لاقيام بهذا العمل يحضره الدهقان «
قادرك الدهقان انه يلمع الى المال فقال « على كل منا ان يقدم بما عنده وكما انا لم
تcess في الماضي والدعوة لا تزال سرية فلا نظننا ندخل الان بني »

فعاد ابو مسلم لاتمام حديثه فقال « بقيت الى خراسان وقتنا بالدعوة سراً كما تعلم
وانا اختلف الى الامام احمل اليه ما يجتمع عندنا من المال واثناء اوامرء . فلما كان هذا
العام بعث يستقدمني اليه فسررت وهي النقباء الذين ذكرتهم فاستفتنا الحكم في اثناء
الطريق . فكنا اذا سألونا عن مسيرنا قلنا الى الحج . ولما باقينا قومس انانى كتاب الامام
باسمي واسم سليمان بن كثير وهو من كبار النقباء ومع الكتاب رأية النصر (واشار الى
الحزمة المطروحة امام القصر) وقد قال لي في ذلك الكتاب (واستخرج الكتاب من
حيبه وقرأ) « قد بعثت اليك برأية النصر فارجع من حيث لقيك كتابي واظهر الدعوة
فان الله ناصركم »

الفصل الثامن

الظل والسحب

فما اشار ابو مسلم الى المزمرة توجهت عينا الدهقان اليها فادرك ابو مسلم انه يريد
روايتها فنادى الرجلين اللذين كانوا يحيطانها فامضوا اليها وحملاها فلم تسعها القاعة لاطولها

فأدخلوها من أحد طرفيها وظل الطرف الآخر خارجًا . وكانت ملتوية بقماش اسود فكاهة واستخرج منها لواه اسود وراية سوداء . واللواه معقود على رمح طوله ٤ ذراعاً والراية على رمح طوله ١٣ ذراعاً فوق ابومسلم احتراماً للواه وقال « ان هذا اللواه يسمى الظل والراية تسمى السحاب ولو أنها اسود واللون الاسود هو الشعار الذي اختاره الامام ابراهيم لشيشه فم من اليوم يلبسون العائم السود والاقية السوداء وراياتهم ايضاً سود كما ترى »

وكان الدهقان حمل رأى ابا مسلم واقفاً وقف ووقف خالد ايضاً . فهمت جلنار بالوقف مجازة لم تساعدها ركبتها لما غالب عليها من التأثر بعد معاينته من ابي مسلم وما سمعته من احواله وانه قائد هذا الجند فاصبح همها الاطلاع على محنوتات قلبه من جهةها فارادت الوقوف لعله يتباهي لها فيرميها بنظرة تفهم منها شيئاً فيطمئن بالما من جهةه فوقفت وهي لتساند الى احدى الاساطين وتصدرت قليلاً حتى اتباه لها خالد فنظر الى وجهها نظرة الاعجاب والاندهاش . اما ابو مسلم فالغافل في التجاهل والاغفاء حتى كانه لا يرى شيئاً

ولما فرغ ابو مسلم من كلامه قال الدهقان « وما المراد باختيار السود شعاراً لبني العباس — أعلمهم ارادوا الاشارة الى الخداد على قتل اهل البيت العلوين ومنهم علي والحسين وغيرها ... اما ماذا؟ »

فتقعد ابو مسلم وهو يشير الى الرجلين ان بعيداً الحزنة كما كانت وقعد خالد والدهقان وخللت جلنار واقفة ثم قال ابو مسلم « ان السود شعار اهل بيت النبي لأن راية النبي كانت سوداء وهي راية العقاب »

اما الدهقان فقد وقر في نفسه ما عله من امر الشيعة وخاف على نفسه من ابي مسلم اذا علم ما في خميره فيشك فيه والامام اوصاه اذا شرك في احد ان يقتله فتظاهر بالتحمّس وقال « لقد ابانت الان يفوزكم وظلور الفرس ولا بد من استنجاد سائر الدهاقين وترغيبهم في الاسلام لأن اكرثم لا يزالون على الجبوسيّة »

فقال خالد « اذا اسلم الدهاقين وانحدروا باموالهم ورجالهم فاما يتجدون اقسم لانهم ينشئون دولة فارسية ترفع شأن الفرس ... »

قال الدهقان « اني ضامن لكم اسلام معظم دهاقين خراسان . والاموال كثيرة ... ثم صنق فنانه غازم فامرء ان يستدعي خازنه

فلا سمعه ابو مسلم يدعو خازنه ادرك انه يريد ان يدفع اليه مالاً على سبيل المساعدة على جاري عادجه في مثل هذه الحال . فاشار ابو مسلم الى احد الرجلين صاحبي الحزمه اشاره لهم غرضه منها خرج مهولاً ثم عاد ومهه وجлан قد تأبط احدها خريطة كبيرة كالكيس الكبير لكنها خارقة . ورفقه رجل قصير القامة مع سمن قليل وعليه قباه واسع وعامة كبيرة وكان لقصره يكاد يحيط قباه جراً . ووراءه غلام يحمل دواة وقلماً . فلما وصلوا القاعة وقفوا في بعض جوانبها فنادي ابو مسلم صاحب القياد قائلاً « تقدم يا ابراهيم واستلم من الدعكان ما جادت به نفسك في نصرة اهل البيت »

وكان خازن الدعكان قد جاءه واسر اليه الدعكان كلاماً فرجع ثم جاءه ومعه غلام يحمل اكياس من جلد قد اشتعلت كاهمه حتى وضعا بين يدي الدعكان . فلما امر ابو مسلم خازنه ابراهيم باستلام المال تقدم واخذ في عدد الاكياس وفي متغرة وقد كتب على كل منها « الف دينار يومية » فبلغت عشرين كيساً فاشار الى رفيقه والغلام الآخر فقدما وتعاونا على نقل الاكياس في الخريطة الكبيرة . وتناول هو القلم والدواة واستخرج من تحت قبائه درجاً كتب فيه عدد الاكياس وما تحويه من الدنانير

وكان ابو مسلم في اثناء ذلك مطرقاً كأنه يذكر في امر يهمه وقد زاده التفكير هيبة وشغله عما حوله . وكانت جلنار قد تبعت من الوقوف فقدت على وسادة يهانب والدها وهي تختلس النظر الى ابي مسلم وهو لا ينتبه لها وكان خالداً ادرك ذلك منها وقطعن لما يحيش في خاطرها من امر ابي مسلم ولكنها كان يعلم زهد هذا الشاب البطل في النساء وانتقال خاطره في المشروع الخطير الذي اندلع له فتجاهل

فلا فرغ اخازن من تدوين المال نهض واستأند بالانصراف ولحظ الدعكان في ابي مسلم الرغبة في ذلك ايضاً فقال له « اذا كنتم تريدون الذهاب الى الرقاد فهذه دار قد امرنا باعدادها لزولكم » واشار الى بعض جوانب الحديقة

فنهض ابو مسلم فلم يسع المخصوص غير النهوض تهيباً واحتراماً وقال « تصرف الان الى الرقاد فان السفر قد اتعنا هذين اليومين » قال ذلك ومشى قشى الدعكان معه الى آخر القاعة حتى ودعه وضيق بخاء بعض الغلان فامرهم ان ينشوا بين يدي الامير بالشجاع الى المازل المعد له . فشوا وعاد الدعكان الى ابنه وكانت واقفة يهانب العمود ولم يبق هناك سواهما

الفصل التاسع

الدهقان والدهقانة

وتوسم الدهقان بما شاهده من اقباضها انها تفك في امر زواجهما بابن الكرماني وانها تحجج على والدها في دفعه بما ظهر من ابي مسلم في تلك الاليلة بحيث اصبح امر الكرماني ضعيفاً فابتدروا ابوها فائلاً وقد وضع يسراه على كتفها ومشى نحو غرفتها وهي تمشي معه « لا اظن هؤلاء الدعاة سيفلجون ولا ارى امرهم هذه المرة الا صاروا الى الفشل ككلارات الماضية » فلم يفتها غرض والدها من هذه المواجهة بعد ما دار بينها وبينه في ذلك العشاء فقالت وهي تطاووه في المishi « اذا كنت تعتقد فشلهم فما بالك تعاهدم على القيام بنصرتهم وبنذل الاموال لهم »

فحشك ووقف وبغض على طبته يمينه ولا تزال يسراه على كتفها وقال بصوت منخفض وهو ينافت « اني افعل ذلك من قبيل الاحتياط فقط . لانا اذا اظهرنا له الجفاء كنا في خطر على حياتنا واموالنا وخصوصاً بعد ما نعمتنا من وصية ابراهيم الامام فانه امره ان يقتل كل من يشك فيه . . . ومع ذلك فلن غير واثقين الثقة الناتمة بفشل هؤلاء وان كنت ارجع الفوز لكرمي للأسباب التي ذكرتها لك قبلأ . فظاهرتنا بالمسالة او المساعدة لا تضمنا بل نحن متوجهون ان تتفعننا . وليس مانود به لهم بالشيء الذي يذكر بالنسبة الى ما نتوقعه من الكسب اذا كنا في جانب المتضرر من هذه الاحزاب » وكان قد عاد الى المسير حتى دنا من غرفة جلنار وليس في الدار احد من الخدم لانهم تفرقوا حملاراًوا الدهقان والدهقانة يتشاركان

فلما فرغ الدهقان من كلامه قالت جلنار « لقد اصبت يا ابا اباء انك تحسان ابا مسلم بالاموال والمواعيد وتحسان الكرماني بجلنار » قالت ذلك وغضبت بريتها ودخلت الغرفة فعلى عجل واستلقت على التراش ، فلتحقها ابوها وهو يتتجاهل وقال « يظهر انك تعبانة يا جلنار نامي واتكل على الله وانا اعرف تعقلك وحسن تدبيرك واعتقد انك اذا كنت عند الكرماني وكنت انا مع ابي مسلم بتنا في مأمن واصبح الفوز مفهومنا لنا في كل حال . نامي ياحبيبتي واستريحي الان » قال ذلك وخرج وهو يجعل انه لم يفهم مغزى كلامها اما هي فلما خلت بنفسها عادت الى هواجسها وتصورت ما هي فيه من الارتباط فلا

تدریج انتظیع والدها او نطیع قلیها . علی انها لو تتحققنت ان عند ابی مسلم مثل ما عندها لمان عليها اغصان والدها وان كان ذلك مما لا يقدم عليه امثالها . ولكنها لم تر من ذلك الحبيب الاً الاغماء فأخذت تناجي نفسها وتذكر ما شاهدته منه في اثناء تلك الجلسة فلم تر في شيء من حركاته او قوله ما يفتح لها نافذة من الامل . ولكن الحب كان يمترض عوامل الیأس فيها ويرون عليها ما ظهر من بروده فأخذت تنسى ذلك الى اشتغال خاطره بتدبر شوونه ثم تعود الى رشدها فترى انه لا عذر له وانه لو كان عنده بعض ما عندها لاحست به

قضت في تلك المراجعة مدة وقد طار الرقاد من عينيها واستوحشت من الوحدة فتذكرت ما شطتها وكانت تأنس بها كثيراً وودت لو انها تأنيها في تلك الليلة لتشكوا لها حالها وتستشيرها في امرها . ثم ماعمت ان سمعت وقع خطوات بطئية فلعلت انها خطوات الماشطة فنهضت وفتحت لها فدخلت واغلقت الباب وراءها فامرتها جنار بالجلوس وهي تقول لها «ما الذي جاء بك ياريمحانة على غير انتظار»

قالت «علمت انك في ارباك فجئت لتسليتك»

فقالت «وكيف علمت ذلك ومن ابائك به؟»

قالت وهي تحاول معانقتها وتحمّها الى صدرها «انتظرين يا مولاقي اني غافلة عن مغاربي احوالك وما قد يطرا عليك من المواجهات وخصوصاً بعد قドوم هؤلاء الاضياف»

قالت «وهل شاهدتهم .. وسمعت اقوالهم؟»

قالت «شاهدت كل شيء وسمعت كل كلام خالسة من وراء السار»

فما تمالكت جنار ان قالت «هل رأيت ابا مسلم؟»

قالت «خففي صوتك يا مولاقي ان هذه الجدران آذاناً .. نعم شاهدته وشاهدتك ايضاً ..» قالت ذلك بلحن خاص

تفجّلت جنار من تسرعها في ابداء عواطفها ثم تذكرت ثقتها بريحانة فقالت «وكيف رأيته ياريمحانة؟»

قالت «رأيده لائقاً .. ولكن تمثيل ولا تعجلي ان في الجملة نداءة ..»

قالت «اباك قد ادركك مكنونات قلبي ولم يخف عليك شيء»

قالت «لم يخف علي شيء ولكنني ارى المسألة تحتاج الى الحكمة والتوعة»

فلم تعد تقدر جنار على اخفاء عواطفها فقالت «وما العمل ياريمحانة دبر بني برايك ..

لقد نفذ صيري . فاني لا ایث ان ازف الى ابن الکرماني وانا لا اريده ولا اجده . . .

قالت « اخبيين ابا مسلم ؟ » وضحك

فاھرقت جلنار ولسان حاطا يقول « نعم اجده »

قالت ريحانة « وهل هو يحبك ؟ »

فرفعت جلنار نظرها الى ريحانة وفي عينيها دمعتان ترددان بين الاماقي وارادت الكلام

فسرقت بريتها وسكتت

قالت ريحانة « انك لا تعليين وانا لا اعلم . . . فاعلينا الا الفري والاستههام »

قالت « من يكشف لنا حقيقة ذلك . . . »

قالت « الا تعرفين الضحاك ؟ »

قالت « هل تقلينيه يستطيع خدمتنا في هذا الامر . . . »

قالت « اغلنه اقدر الناس على ذلك اذا اراد . . . ولا يغرنك ما يبدوا من مجونه فانه داعية

حازم يعتمد عليه في الامور العظام . . . »

قالت « ومن يخاطبه بالامر . . . واخاف ان ينشي سرنا فيطلع والدي على امرنا ف تكون

الليلة الثانية شرعاً من الاولى »

قالت « كوني في راحة وطنينة وانا ادبر الامر معه . . . اما لحتاج الى بعض القوود . . . »

قالت « هل تعرفين ثملاً قيمة عندي ؟ . . . ؟ فاطلبي من خازنني ما تريدين . . . وتصرفي

كما تثنين وابشني بنتجة سعيك »

قالت « ينبغي لنا ان نسمى في الامر الليلة اذا لان نفهم بقاء هؤلاء الاضيفاء عندنا الى

الغد او بعده . . . »

فنهضت جلنار من فراشها الى صندوق صغير في بعض جوانب الغرفة استخرجت منه

صرة من الطرير ودفعتها الى ريحانة وهي تقول « هذه خمسة دينار استخدمها بما تثنين

ولا تبطئي واذا توقفت الى ما اريد لا انسى تعبك »

فتناولت ريحانة الصرة ونهضت وهي تقول « كوني في راحة » وخرجت وهي تسارق

الخطي وترك جلنار على مثل ججر الغضا

الفصل العاشر

نسب ابي مسلم

لم تك ريحانة تخرج من الغرفة حتى رأت الضحاك فادعها كأنه كان على موعد منها .
فلا رأته بقى ولتكنها بخلدت وأشارت اليه ان يتبعها عن بعد وسارت الى غرفتها في طرف
القصر مما يلي الحديقة . فدخل في اثرها فاغلق باب وراءه وهي تنظر اليه وتضحك وكان
وهو داخل قدق رأسه بعشبة الباب لطولة فوقيت العامة الى الارض فاذًا هو حليق الواس
فاستغربت ذلك . وارادت بالاستفهام منه عن السبب لكنه اسرع الى العامة فوضعها على
رأسه ونقدم اليها وهو يقول « يظير انك تحييني باريحانة . بارك الله فيك ... » وضحك
وعض على شفتيه السفلی وتشاغل باصلاح عمامته ثم صاحب ضحكة البه وجعل يطرق باطراف
انامله على اسنانه . فضخت ريحانة من قوله وحركته ثم عبت في وجهه عبوسًا يخالطه
الابتسام وقالت « اني احبك خلقة روحك وعلو همتك ... » وخصوصاً اذا اطعنتي في ما
ساخطتك به الاآن ... هل عندك للسر مكان؟ »

فقال وهو يضحك « عندي لكل سر مكان والامرار عندي منازل وطبقات واذا
كشت في ريب من ذلك اخبرني فاخراج حلاً »

فضحكت وقالت « الا تكف عن مجونك يا رجل ... اعني اذنك الان واضح
ما اعرضه عليك بحياة الدفقة وحرمتها عندك ... »
فتجدد الضحاك واظهر الجيد وتأدب في موقفه وقال « قولي اني طوع امرك »
قالت « اتعرف ضيوفنا اليه »

قال « ايهم تمنين هل تعنين ابا مسلم الخراساني الذي لا يعرف ابا عاصم خالد بن برمك
الحسوي صاحب التوبهار ام خازن ابي مسام ابراهيم اليهودي »
فضحكت ريحانة من توسيعه في تلك المعرفة ولكنها استربت قوله ان ابا مسلم لا
يعرف ابا عاصم فارادت الاستفهام عن ذلك فقالت « وماذا تعني بقولك ان ابا مسلم لا يعرف
ابا عاصم؟ »

قال « اذا كنت لا تصدقيني اسأليه »

قالت « صدقتك ولكتني أسألك عن كيفية ذلك »

قال « لوسائله هو عن نسبة ماعرفه . أما أنا فأخبرك أن والده فارسي بعضهم يسميه مسلم وبعضهم يسميه عثمان وهو يزعم أن نسبة يصل بزر جهر الحكم الفارسي المشهور — وهذه عادة كبار القوم عندنا فن كان منهم ذوي الأصل رفعه جاهه إلى طبقات الالشراف . فإذا كان عربياً أوصل نسبة إلى أبي يكر أو عمر أو الحسين وإذا كان فارسياً جعل نفسه من نسل بزر جهر أو ازديشير أو كسرى أو شروان . وأما الذي تعلمته من أمي أبي مسلم فهو أن أباه المذكور كان من أهل قرية ما خوان التي تبعد عن مرحلة فراسخ . وكانت هذه القرية له مع عدة قرى وكان في بعض الأحيان يجرب إلى الكوفة المواشي ثم أنه ضمن خراج رستاق فريدين على عادة النهاقين في أيام هذه الدولة (بني أمية) فأنهم يقاسمون الحكومة أموالها يتغذون بها فلما حان الوفاة لخلفه عجز عن تأدية ما عليه . فقبض عليه العامل وأرسل معه من يشخصه إلى الديوان في الكوفة . وكان عنده جارية يحبها فأخذتها معه وهي حامل واحتال في الطريق وفر من المحرس نحو أذريجان وتوجه معه فاجتاز على رستاق فايق برجل اسمه عيسى بن معقل فتركها عنده وطلب أذريجان ومات بها . ثم ولدت الجارية صاحبنا أبي مسلم هذا فري في بيت عيسى المذكور وهو يحسب نفسه من أولاده ولما تعرّف تعلم مع أولاده وكان عيسى هنا وآخوه ادريس من ضمّان الخراج أيضاً كما تقدم فاصابهما مأصالب ذلك من تأخير الخراج فقبض عليهما عامل اسبان وشكاهما إلى أمير العراقيين يوم ثنز خالدا القسري فبعث من حلهمما إلى الكوفة وسجنهما فيها وكانا قد انفذوا أبي مسلم قبل القبض عليهما في مهمة فلما رجع وعلم بإسجهنها جاء إلى الكوفة وحمل بتعدد اليماء في السجن . واتفق في أثناء ذلك أن جماعة من القباد دعاة بني العباس جاؤوا الكوفة سراً يدعون الناس إلى أهل هذا البيت فألقوا أبي مسلم هناك فاعجبهم عقله ومرفقه وكلامه وعرف هو أمرهم فانضم لهم وخرج معهم إلى مكان قاده إلى إبراهيم الإمام هناك . فاعجب به وتوصّم فيه الخير واقام عند الإمام يخدمه . ثم إن الدعاء عادوا مرة ثانية وطلبوه رجلاً يقوم باسم خراسان فدفع اليهما أبي مسلم هذا وهو صغير السن كاترين وأوصاه بما أوصاه ^(١) فهل هو يُعرف أباه ؟

فاستغربت ريخانة هذه الحكاية ولكنها عادت إلى المهمة التي هي فيها فقالت للرجل « أمّا وصدقنا والآن لا نخرج بما أحادثك فيه . انظر (ويدت يدها واستخرجت

الصرة ودفتها اليه) هذه هدية من مولاتك جلنار (فتناوها وهو يضحك) وانا اريد ان اكافلك بعهدة سياسية »

فوضع الصرة في جيئه وهو يقول « السمع والطاعة »

قالت « انت تعلم ان مولاتنا الدھقاتة مخطوبة لابن الکرماني امير الجند المعاشر لمو وستزف اليه قريباً بارادة والدها . ولكنني رأيت الليلة ان اجل الکرماني قصير لان هذا الخراصي على ما يظهر سيفيه . وقد لحقت انا منه انه عيل الى مولاتنا وأظنه يريد ان يتزوجها ولكننه لم يصرح بذلك . فالمطلوب الان ان تبحث عن صحة هذا بدھاء وحسن أسلوب بدون ان يشعر أحدٌ به واخربني .. ولا بد من معرفة ذلك الیة »

قال « هذا أمر هين عليٍ .. اذا فرضنا انه لم يحبها بعد فاني أجعله يحبها .. ما رأيك ؟ »

قالت « اذا كان ذلك في امكانك فان مكافأتك عظيمة جداً .. وهذا سرُّ عريق »

فاطرق الضھاك برھة وقد بدا الجد في وجهه ثم التفت الى ريمانا وقال « اني ذاهب الساعة فادعى لي بالتوقيق »

قالت « امض وفقك الله »

فقال « امهليني ربما اصلاح من شأني امام مرآتك » ووقف امام مرآة من التھاس معلقة على الحائط وحل عمانته وجعل يلفها على أسلوب مضحك وبعث بشعر سجنه وشاربه حتى تعرس واتنفس . وخلع حيته وقلبياً ولبسها بقفاصها وترع عليه وشكما في منطقته ومشي حافياً وهو يضحك كالابلة وخرج

اما ابو مسلم فانه سار مع خالد والخدم يسيرون امامهما بالشروع بين الاشجار والرياحين حتى وصلوا الى بيت بجانب سور قد أضيق بالصايغ . فدخلوا وقد سبقهما الخدم فدللواهما على الاسرة المعدة لرقادها ورجبوها . فلما دخلوا اخذ ابو مسلم ينزع ثيابه وسلاجه ويتأهب للرقاد وهو لا يتكلم . وكان خالد في إشاغل من أمر جلنار وما شاهده من جمالها وما لحظه من نظرها الى أبي مسلم وما كان من جود ابي مسلم بشأنها وكان يتوقع ان يسمع منه شيئاً عنها فاذ هو لم يقه بكلمة . فظل خالد ساكتاً وأخذ في خلع ثيابه وسلاجه ولم يستغرب سكوت ابي مسلم لعلمه انه كثير السكوت لا يتكلم الا قليلاً ويندر ان يضحك

الفصل الحادى عشر

الخازن ابراهيم

اما ابراهيم الخازن فانه رجع بالاكياس الى غرفة من ذلك المنزل بعيدة عن غرفتها مسلما وخلاله فلما دخل الغرفة امر الفلان ان يضعوا الاكياس وينصرفووا . وكان ابراهيم يهودي الاصل وقد اسلم ابوه لا رغبة في الاسلام ولكن رأى في الاسلام سيلان الى الكتب . وشب ابراهيم هذا وهو اطمع من ايه وترزف وغايق حتى تقرب من القباء رجال الدعوة . وكان حاسبا ماهرآ بعلم ابو مسلم خازنا له وكان يقبض الاموال ويفيدها رغبة في الكتب من ذلك . ولم يكن كتبه من التلاعيب في عدة النقود او سرقة شيء منها لانه لم يكن يستطيع ذلك الا نادراً ولكن كان يكتب باستبدالها . لان النقود كانت في ذلك الحين انواعا كثيرة ومنها ناقص الوزن وكامله باختلاف شاربيها . فالنقود التي ضربها الحاجاج سنة ٧٥ هـ كانت ناقصة فلما تولى ابن هيبة ضرب اجرد منها ولا تولى خالد القسري شدد في تجويدها وضرب بعده يوسف بن عمر فافتقرت في التشديد والتجويد . فكانت النقود المبيرة والخالية واليوسفية اجرد نقود بي امية وسميت نقود الحاجاج المكرورة^(١) فكان ابراهيم اذا قبض مالا من الدهانين او غيرهم من نصاراء الشيعة يبدلها في دفاتره بعدها ولكن لا يعين صفتها فاذا كان فيها نقود هيرية او خالدية او يوسفية ابدلها بالنقود المكرورة فيريع من ذلك شيئاً كثيراً . وكان لا يخلو صندوقه الخصوصي من اكياس من النقود المكرورة لاجل الاستبدال عند الحاجة . فلما خلا بنفسه تلك الليلة اغلق باب غرفته واحتلأ المصباح واشتغل في ابدال تلك النقود خمسة وهو يحذر انت يسمع زينتها

وكان الضحاك يعرف ابراهيم هذا ويعرف اباءه من قبله . فلما كلفه ريجانة بذلك المهمة عوَّل على استخدام ابراهيم في الامر بواسطة المال لعله باستهلاكه في سبيله . واما ابراهيم فلم يكن يعرف الضحاك ولا يفهم من امره الا انه "رجل مهزار خليع او مجنون" فشى الضحاك في المدينة والقصر قد تكبَّد السهام وجعل يخطر الموئنة وهو ينظر الى

(١) الاحكام السلطانية

السماه كأنه يعد ثيوبها او كأنه يقرأ صحفة مكتوبة فيها حتى دنا من غرفة ابراهيم وهو حاكي . فوق بيابها وتظاهر بالبله واذاته مصفيتان فتنت حركة فتصت فسم خشنة ضعيفة . وكان ابو مسلم وخالد قد ناما وانصرف انظم ولم يبق في الحديقة احد ولم يعد يسمع غير جمجمة الجمال خارج المحلة عن بعد . وظل الضحاك وافناً يباب ابراهيم حتى ظهرت فرغ من عمليته فطرح كيس النقود الذي معه على بلاطة هناك فكان لوفمه طنين وخشنة ظهرت قوية هدوء الليل

وكان ابراهيم يستغل في ايدال النقود ويحاذر ان تسم حركته او احتكاك النقود فاصبح لشدة حمازته يخاف ان يكون لنفسه صوت . وكان يتوم كل شيء ساكتاً هادئاً فلما سمع وقع كيس الضحاك على البلاط اجل وفتح وظال هنيبة جامداً فتصت لعله يسمع صوتاً آخر فلم يسمع . فاقبلى الى الباب ففتحه رويداً رويداً اخوفاً من صريوه وخرج راسه ونلت فرأى الضحاك على بعض خطوات من غرفته واقفاً متعنساً وبداء على اوراكه وقد ولَّ وجهه نحو السماه ينظر الى غيمون تسابق الى القراء . فترى ابو ابراهيم في المكان الذي سمع المخيبة منه فرأى كيساً حريرياً ملوكاً خدشه نفسه ان يخرج لانتقامه ولكن خاف ان يتباهي له الضحاك . ثم تذكر انه ابله لا يتفقه شيئاً وانه لو كان من ينتبهون لم يسقط منه الكيس على تلك الصورة . فاختلس خطواتين حتى تناول الكيس وهم بالرجوع واذا بذلك الابله يقنه بصوت عال . فارتعدت فرائص ابراهيم وافتفض انتقام الطير حتى كاد الكيس يسقط من يده . ولكن تجألاً وتظاهر انه خرج من الغرفة لغرض له ونظر الى الضحاك فرأه يمشي نحوه وهو يختظر ويطيل خطاه كأنه يستعمل اقنية . فابتدره ابو ابراهيم بالكلام يظهر انه خلي الذهن من كل شيء وقال « هل انت تذرع الارض ام تعد ثيوب السماه »

قال وهو ينظر الى السماه « بل انا اخش عن نقودي فقد كان معه كيس وافنه وقع هنا » وأشار الى القمر

ففحشك ابراهيم وتأكّد به الرجل وعوّل على اخفاء الكيس وقال « يتحمل ذلك » وتحول الى غرفته ولم يبلغ الى الباب حتى ادركه الضحاك وقبض على رقبته قبضة شديدة ودخل به الغرفة دفأً وكان ابراهيم لنصر قامته ووجهه لواد الضحاك ان يقبض عليه ويرمي به من فوق السور لفعل . على انه لو كان شجاعاً ما استطاع غير السقوط خوف الفضيحة لانه لوحظ لايقطل الثنائي وربما استيقظ ابو مسلم او خالد او غيرهما من يخاف

الفضيحة على يده وجاء إلى غرفته فانكشف أمره لأن الأكياس كانت لا تزال مفتوحة والتقدود مبعثرة . وزد على ذلك أن الذنب يصغر النفس ويندمها ويجعل السيد عبداً . ولكن إبراهيم لم يكن ليفتح باب غرفته في تلك الساعة ولم يسمع شيئاً الدراما فلما رأى الكيس على الأرض توم انه يتقططه ويرجع حالاً . فلما رأى نفسه بين يدي الضحاك وقد دخل معه الغرفة ارتبك في أمره ولكنه فضل السكت ثم اظهر الملازمة وقال له « هذا كيسك قد سقط لي من السهام خذه »

الفصل الثاني عشر

الطريقة

فوقف الضحاك وتناول الكيس باطراف انامله ثم تركه فسقط على الأرض تفتخش فامسح إبراهيم فالتحقق وهو يقول « أليس هذا كيسك ؟ »
قال وهو يضحك « لا اعرفه إلا في النور بالله لا اخشت لي شفاعة ؟ »
قال « تعال ننظر إليه في ضوء القمر » قال ذلك وامسك يده واراد اخراجه فإذا هو ثابت في مكانه كالشجرة المغروسة لا يتزحزح فقال له « اذا كنت تظن قوتك قليلة فانا ازيدك منها »

فنظر إليه وهو يمحي رأسه كالساجد وقال « ولكنني لا آخذ إلا نقوداً يومية »
فلا سمع إبراهيم قوله خفق قلبه لات ضميره يكتئن وتصور ان ذلك الإبله مطلع على اسراره — وال مجرم يخاف خياله ويحسب العناصر الطبيعية ترابعاً عالماً — ولكن عاد إلى عقله واستبعد اظلاغ ذلك الإبله على مرتبة وقال « هي نقود يومية نعم »
قال « الم تبدهما بعد ؟ » وضحك

فتحقق إبراهيم ان الضحاك مطلع على شيء من أمره وربما كان فادحاً إليه بدسية ولكن عمد إلى المغالطة واراد اخراجه من الغرفة ليبعده عن مكان الشبهة فلم يستطع فقال له « تفضل اقعد » وهو يتوم انه سيحالقه فيخرج فإذا هو قد قعد على الأرض وامسك يد إبراهيم واجله بجلس وهو لا بدري ماذا يحمل وقد خاف ذلك الإبله فاطاعه ليبرى ما يبذو منه والغرفة لم تكن في ظلة حائلة لأن ضوء القمر كان قد نفذ إليها من الباب

وكانت الاكياس والتقدود ظاهرة لاقل تأمل فاللثافت الضحاك نحوما وقال «هل اساعدك في جمع هذه الاكياس وهل اعفي عنها لفظ «بوسنية» وكتب لك مكانه «مجاجية» فان ذلك أولى من ظلمور الخيانة »

فأشعر بدن ابراهيم عند ذلك التصریح وقال له «قل لي بالله من انت وما غرضك .. فانك لست ابله كما تظاهر .. من انت ؟»

قال له «انا الضحاك الا تعرفي وهذه عامتني وهذه جبتي وهذه نعمالي ثم ماذا ؟»

قال «لا تخدعني بالزراوح صرخ والك مني ما شاء»

قال «انا الضحاك المبكي وارجون لا تكون باكيًّا وانت خازن هذه الهمة ..»

قال «قلت لك صرخ واخبرني عن حقيقة امرك وانا طوع ارادتك»

قال «لا تبكي حقيقة امري فانا سائر ذنبك ولي عندك حاجة القضاها لي ؟»

فسر ابراهيم بذلك السؤال واحس بانه راجٍ كربه وقال «اطلب ماشئت فاني قادر

ما تريده»

قال «هل لك دالة على ابي مسلم»

فاطرق ابراهيم وقد ظهر في الاربتك وقال «ان ابا مسلم ليس من تؤخذ الدالة عليه لانه شديد غضوب فمقدر ان يضحك ولا يمكن الا قيلياً وجلسواه يخافون غضبه لانه يقتل لاقل شبهة . واظنك سمعت وصية الامام التي تلاها على مولاك المحقق البليل وهو يوصيه فيها ان يقتل كل من يشك فيه . فمن كان هذا شأنه فهل من سبيل الى الدالة عليه . اما اذا كان لك غرض منه فاني ابذل ما في وسي للتوصيل اليه ..»

قال «لقد نطقت بالصواب ولو قلت لي غير ذلك لاتبعتك وشككت فيك وعند ذلك يتحقق لي ان اقذ وصية الامام فيك ..» وضحك ثم قال «ومرادني ان اسألك سؤالاً آخر هل عندك للسر مكان ..»

قال «بئر عميقه .. لا تخفي»

قال «لا اخاف منك لان روحك في قبضي وليس امهل علي من ان الذي الشك في قلب ابي مسلم ... ويكتفي ان اذكر له مسألة التقدود اليوسنية ..» ثم نهض بعده ويده في منطقتها فاخرج منها التعدين ولبسها ووقف فجج ابراهيم لعمله وخاف ان يعود جنونه فتحدث نفسه ان يشككه الى الامير في تلك الساعة . فنهض معه واظهر الاهتمام به وقال «ما بالك يا اخي .. قل ما هو ذلك السر»

قال « نسيته في البيت فانا ذاهب لاستدعائه .. » وضحك
فحشك ابراهيم بحارة له ولكنكه ازداد خوفاً من ذلك الشبهه ولم يعلم كيف يسترضيه
فقال له « باقئه كف عن المزاح واخبرني وانت القابض على حياتي فلا تخف وانا انا ازيد
قضاء حاجة لك »

فشي الفحاك فبيه ابراهيم حتى خرجا من الغرفة فلما استقبلا ضوء التمر الثابت الفحاك
وقال « هل يحمل ابو مسلم اهله معه اذا صافر ؟ »

قال « تعني هل يصطحب امراته في سفره .. كلام الله يتذكرها في مازطا وحوطا الارصاد
والعيون لانه شديد الغيرة عليها حتى لا يدع لها سبلاً للخروج من البيت ولا يدع احداً
يدخل قصره غيره . وفي قصره كوى يطرح لنسائه منها ما يخجّن اليه . وبلفني انه يوم زفت
اليه امراته امر باليرذون الذي ركبته فذبح واحرق السرج لثلا يركبه احد بعدها »

قطع الفحاك كلامه قائلاً « لقول لنسائه كلامه تزوج عدة نساء .. »

قال « كلام الله لم يتزوج اثنين معاً فقط وهو يكره الزواج وبعد جنونا ومن اقواله
الماثورة « الزواج جنون ويکفي الانسان ان يجن في السنة مرة »^(١) فنـ كـانـ هـذـاـ
اعتقاده كيف يهتم بالسادة . ولكنني اردت بنسائه النساء الاولئ في قصره من الجواري
والخواشن ونحوهن مما تفضيه مظاهر الامارة »

فلما سمع الفحاك قوله اطرق وكأنه ثاب اليه رشده . وادرك ابراهيم ان ذلك السؤال
لم يكن عيناً فاستأنس بهدوه فقال له « ان امر هذا الرجل غريب جداً لم اسمع بهله ولعل
هذه الخلل من اسباب نجاحه لانه ينقطع عن كل شيء الى القيام بدعوه فتراء لا يضحك
ولا يمزح ولا يلهو بشيء قط .. »

قال الفحاك « وصلنا الى السر .. بلاني انه لما شاهد مولاتي الدعفانة الليلة شغف بها
وكأنه اراد ان يتزوجها . ويا ان مولاتي المذكورة مخطوبة لامر آخر فاذاك انت ابو مسلم
يريدتها لنفسه فاني قادر على تحويل الخطيبة اليه . هذا سرٌ يابني وبينك . فهمت ؟ »

قال ابراهيم « لا تخيف يا اخي فقد اوعستني تحديراً . اما انه راي الدعفانة واجبها
هذا امرٌ بعيد وهو لا يرفع بصره الى النساء قط لانه غبي ويزور قدر الغيرة . اما اذا
كان الامر بخلاف ذلك فارجوان تصرح لي .. »

فافق الفحاك بده على كف ابراهيم وهو يخفى بصره لبراءة اقصرو وقال « اذنك

(١) ابن خلكان ج ١

تعني ان الدهقانة احبته وكأنها احببت الاقتران به . . . فربما ان هذا هو الواقع فما قولك ؟
 قال وهو يرفع يصريه ثخونه « ان ذلك يحتاج الى استرضاء الي مسلم . . . واسترضاؤه ليس بالامر السهل وخصوصاً في مثل هذا الامر لانه يكره الزواج كَا اخبرتك »
 قال « اذا انت لا ترجو قبوله ذلك »

قال « لا ارجوه ولا انا قادر منه ولكن الامر يحتاج الى روية وسعي قال ذلك
 وامسك بمنطقة الفحراك وقال « اسمع . . . انك تجعل نفسك مهزاراً وانت ادهى مني —
 قد خطر بيالي سبيل افانه يُؤدي الى المطلوب . . . لا يستطيع احد ان ينافيه هذا القائد
 باسم الزواج وخصوصاً الان . ولكنني ارى ان خطأه بثانية من حيث تستلقيت انتباها .
 فاذا قلنا له مثلاً ان الدهقانة شديدة الغيرة على اهل الشيعة مثانية في نصرتهم وانها تحب
 ان تخدمه في ما يُؤدي دعوته وينصره على اعدائه — ففشل هذه المواعيد تستلقيت انكاراه
 فلعله اذا قابل الدهقانة مرة او غير مرّة بهذه الصدد ثم رأى منها ما يدل على نصرته حقيقة
 لا اظنه الا يرضاها . . . هذا ما اراه وقد اكون خطئاً » قال ذلك وهو متذمّر
 قال « لقد رأيت الصواب . . . وهل يمكنني ان تكون واسطة في ايصالها لمقابلته اذا
 اقتضت الحالة فاني اقول هذا من عند نفسى وأخاف ان لا تقبل هي به »
 قال « اني اكون لك كما تشاء جهد امكانى »

وكانت سخنة الفحراك قد اكتسبت في اثناء هذه المحادية صورة الجد وقاد الجنون
 يذهب عنها . فلما سمع قول ابراهيم عاد الى مجونه فالقطط ذيل حيته وادارها حول ابراهيم
 فاختنق فيها لفصره واجفل وانسحب من مجتها فوسمت عمامته على الارض فالتقطها وهو
 يضحك فقال له الفحراك « والله انت رجل لطيف ومتواضع لانك خازن الامير وتحمل
 قباهه خادم مهزار مثلّي »

قال « ما اظنك مهزاراً يا اخي ولا بد لك من شأن . . . والآن الا تأخذ الکيس
 بما فيه ؟ »

قال « ليس هو لي وانما سقط من القمر وانت التقطته . فاحتضر به لنفسك واما
 وفيت لنا بوعودك فلما عدنا من هذه الاكياس ما يغريك عن استبدال الدرهم بالدرهم
 سرّا حتى تخاف خادماً مهزاراً . . . هل فهمت . . . السلام عليكم » قال ذلك وتناول
 لعله بيديه وهرول مسرعاً الى ريجانة وقد تغير الطقس وتليدت الفيوم بغنة وهبت الريح
 وفيها رائحة الشتا، وهم في اوائل الربيع والطقس فيه يتقلب على غير انتظام

الفصل الثالث عشر

على مثل الجمر

أما جلنار فلها مكنت في الغرفة على شوك الانتظار وقد تعاظم قلقها واضطربت لها متوجهة من نتائج المهمة التي ذهبت بها ريحانة . واصبحت اذا سمعت حركة او خبر بشدة خفق قلبها وخدتها نفسها ان تخرج من الغرفة لعلها تأبه بشيء او تسمع من ريحانة او الضحاك ما يقوى قلبها او يطمئن خاطرها . واستقرت في المواجه مدة ثم انتهت لمجموعة جل في الجهة الاخرى من القصر فاستأنست بصوته لانه من مسكن حبيبها ثم تزايدت الجمجمة فهمت بالخروج بهذه الحجة وهي اغاثة الخروج ضجرة من الانتظار . فوقت واصفت فلم تعد تسمع صوتاً فعادت الى الفراش وعاد السكت فترجمت الى الاصفاء والقلق . فسمعت بالباب وقع خطوات خفيفة كأنها اخطوات حافية فاستقربت ذلك ثم ما لبثت ان سمعت نقرًا حقيقياً على قفل الباب فهبت وفتحه وقلبت يدق دقاً شديداً فإذا هي بريحانة فابسطت نفسها لرؤيتها فدخلت ريحانة مسرعة وهي تشعر بسراريتها المتخفية والفتنة بادية في وجهها . فابتدرتها جلنار بالسؤال عما جرى فضفت انامل يدها اليقى اشاره الاستهلال وقالت بصوت منخفض وهي تأبه وتلتفت « تهلي يامولاني » ثم أصاحت باسمها نحو الدار

فسكتت جلنار واصفت فلم تسمع شيئاً فنظرت الى ريحانة نظر الاستفهام فاجابتها وهي تبالغ في خفض صوتها كأنها تتكلم هسأ « اتيت الضحاك وارسلته في المهمة المعلومة ومكثت في غرفتي قليلاً ثم خربت اليك وانا احذرك ان يراني احد » . وقبل دخولي في هذا الرواق سمعت مولاي الدهقان يتتحقق على مقربة مني فذعرت وخفت ان يكون قد رآني فوقت هنية والضوء ضعيف فلم اسمع شيئاً خلعت لعالي ومشيت حافية على اطراف اقاملي حتى جئت اليك وانا اخاف ان يكون سيدي الدهقان في اثرى ولكن يظهر اني واهمة »

فقالت « اظننك واهمة لان والدي لا يبقى ساهراً الى هذا الوقت . وهب انه راك فما في رؤيتك ما يوجب قلقنا » . اخبرني الان عن الضحاك ومهنته »

فقصت عليها اهم ما دار بينها وبينه الى ان قالت « وانا في انتظار رجوعه لارى ما يكون ولا زيب عندي اتنا وضعننا فكتا في محلها لان هذا المربى مع ما يظهر من عجونه وباهه ذو ارجحية وحاسة ولا اظن مجونه الا تصنعاً »

قالت « وما الذي يدعوه الى التظاهر بالليل وهو عربي والعرب اهل الدولة فلو لم يكن البله سجية فيه مع ما تذكر من ارجحيته لكان من اكبر رجال الدولة وكان في غنى عن هذه الخدمة »

فشاررت ريحانة برأسها وعينها ان « صدق مولاني » ثم قالت « ومهم ما يكن من شأنه فاني واقفة بجinite وصدق خدمته وسترين ٠٠٠ ولكن لا بد لي من الذهاب الى غرفتي لانتظره فيها كما توعادنا »

فقالت « أرى ان اخرج معك فلتقي به عندك وذلك خير من ان نلتقي في غرفتي واسلم عاقبة »

فمضت ريحانة قصدها وأومنأت أيام الاستحسان والطاعة ولبثت تنتظر امرها . فاذا هي قد نهضت من الفراش وكان على اللحاف مطرف من خرا حمر مبطن بالفرو فاتتحفت به فطاعتها كلها ولفت رأسها بشال من الكشمير موئي بالحرير فلم يبق ظاهر منها الا مقدم وجهها . فشت الماشطة امامها وسارتا نحو غرفتها ولم تخربجا من ذلك الرواق حتى سمعتا هبوب الزوابع وتسمتا رائحة الشتاء فانبسطت نفس جلنار لسبب لا تعلمه . وأرادت ان تخطاطب ريحانة بشيء لكنها صبرت نفسها حتى وصلتا الغرفة فدخلتا واغلقتا ريحانة الباب واسرعت لاعداد مقعد لسيدها فقعدت جلنار ووجهها تجاه المسروقة ونور السراج يرقصه ما ينفذ الى الغرفة من بقایا تلك الزوابع . ولما قدمت ترعرع الشال عن رأسها فبان وجهها وقد زاده الدفء رونقاً وجلاً فتأملتها ريحانة وهي في تلك الحالة وابتسمت ابتسام منذر بذلك الحال ولم تهالك عن تقبيل رأسها . ثم جئت بين يديها وأخذت في اصلاح بعض ما افسده الحال من شعرها وهي تقول « سبحان الحلال . كيف لا يسحر ذلك الحراساني بهذا الحال الذي لا مثيل له في خراسان ولا ما وراء النهر »

فنهدت جلنار وسكتت هنيهة ثم نذ كرت شيئاً خطط لها لما سمعت هبوب الرطاح وعوّلت على ان تقوله لما شطتها فقالت « شعرت يا ريحانة ونحن قادمان الآن براحة وطمأنينة لسبب لا اعلمها »

فابتسمت الماشطة وقالت « جعل الله كل ايامك راحة وسعادة » ثم نهضت وهي

تقول « وانا أيضاً شعرت بخو ذلك واظن السبب واحداً وهو هبوب الرياح وتوقع المطر فاني كثيراً ما اكون متنبضة النفس مفمومة فإذا امطرت السماء ابسعت فسي وذهب عنى الغم ٠٠٠ » ثم وقفت هنئه بخواص المرأة لغير غرض مقصود ثم تحولت بفتة الى سيدتها وهي تقول « ولكن لا يبساطنا بهذه الرياح سبياً آخر هل اقوله ؟ »

قالت « قولي »

قالت وهي تضحك « لان الزوابع يعقبها المطر الشديد وإذا اشتدت الامطار كثرت الاوحال وسدت الطرق فتأخر اضيافها عن السفر يوماً او بضعة ايام ٠٠٠ وحقيقة الحديث عندك »

فيسبمت جلنار بعد ان طال انتقادها وقلتها وهت بالكلام فسمعت ضحكة غلبت قوهها على صفير الرياح • فعلمت انه الضحاك ولكنها لم تكن توقيع ان يجعل لقدرمه قرقعة وضوضاء وهم في حال تدعوه الى التكتم • فنظرت الى ريحانة فرأتها في مثل حيرتها وهي تقول « صدقت يا مولاني انه ابله حقيقة بلا تكلف ٠٠٠ »

ولبنتا بعد تلك الضحكة توقعان وصوله فاذا هو يقول بصوت عالٍ « صدقت يا مولاي الدهقان ان الطقس قد تغير ولا يلبث المطر ان يتسلط لان مطر الرياح قد يكون جارفاً ٠٠٠ وانا لا أستطيع النوم في مثل هذه الليلة » وضحك • فلما سمعتا ذلك علمتا ان الدهقان لا يزال ساهراً خافت ريحانة ان يعلم بهما فتقدمت الى السراج وغضته بمحبت لا يبدو نوره من شفوق الباب الخارج فلما فات ذلك سمعتا ضحكة أخرى وبعد من تلك وسائل يقول « ألم أقل لمولاي ان ما ظنه نوراً خارجاً من الغرف انا هو من فضلات البرق اذ ليس في هذا القصر ساهر سوى مولاي وانا ٠٠٠ وادا ظل مولاي الدهقان ساهراً فلا عجب اذا كان اهل القصر كافة سهارياً ٠ أما أنا فاني ذاهب الى الفراش بعد ان اكون في خدمة مولاي حتى يدخل فراشه لان سائر الخدم نائم وادا أحب ان أؤنسه بحقيقة هذا الليل فعلت »

تففق قلب جلنار عند سماعها ذلك لانها ادركت منه ان والدها اساء الظن بريحانة ويبحث عن سبب التور الخارج من غرفتها واستحسنست اسلوب الضحاك في انقاذهما من ذلك الخطط • على ائمها مكتتا صامتين لا تحركان وتكلدان تسکان عن التقى القساً لل拉斯باء • فلما مضت مدة ولم تسمعا فيها صوتاً ايقتنا ان الدهقان ذهب الى فراشه ولا يلبث الضحاك ان يعود اليهما • فأخذت جلنار تأهباً لسماع صورة الحكم على عواطفها

فاما الى النعيم واما الى الجحيم . ولم تكن توقيع الشعور يمحيه الفضحاء او سباع خطواته قبل وصوله للباب لتعاظم هبوب الرياح وخفيف الشجر وقفز الرعد

الفصل الرابع عشر

ابلاغ الرسالة

فلبنتا صامتين كان على رأسهما الطير حتى سمعتا قرع الباب فرعاً خفيقاً فاجفنا وأسرعت ريحانة الى فتحه فإذا بالفضحاء دخل مسرعاً وهو في ذلك القباه المقلوب وعماته مشوهة وعلمه في منطقته وشعر لحيته متتشش وهياه في غاية الفراية . فلما وجد جلنار هناك اجهل وتأدب واشتغل باصلاح شعره وتسوية عمامته وهو يفضح بالفوهه وأخرج التعلين من منطقته فوضعهما بالباب ووقف متأدباً كأنه مارد لطوله . فابتسمت جلنار من منقاره وحركاته فقال لها « اعذرني يا ولاتي على هذا المنظر فاني لم اكن أحبك هنا والحق على هذه الملمونة » وأشار بادمي يديه الى ريحانة وباليد الأخرى الى عمامته . فلم تهلك جلنار عن الفضح لاسلوه في التخلص من غضب ريحانة وأما ريحانة فالطالعه وقالت « ان الدعفه مسروورة من هنوك ونشاطك » . فقطع كلامها بعنوت مخضن وقال « وطبعاً انت زعلانة » . لأن الرئيس ليس لك » . فقالت « دعنا من الجعون واخبرنا ما الذي فحسته واظنك لاتلزم الجد الا اذا حلفتك بقولنا الدعفه فبحياتها الا تكلمت الجد » . فلما سمع قوله وقف بين يدي جلنار متأدباً فاشارت اليه ان يقعد فقعد فقالت له ريحانة « قص علينا ما جرى » .

فاخذ في سرد الواقعه من ساعه خروجه من غرفتها الى ان لقي ابراهيم الخازن وكيف احتفال عليه واخرجه من حجرته وما دار بينهما حتى انتهى الى ما تم الاتفاق عليه بينهما ولكن لم يذكر ما قاله الخازن عن كره اي سلم للنساء لعلمه ان هذا يسيء جلنار ويوقنه في اليأس وهو يريد ان ترجو الحصول عليه . على انه اخبرها ان ابا مسلم لا يستطيع أحد من خاصته ان يخاطبه بشأن الزواج تهياً وانها اذا لقيته وخاطبته لازب انه يحبها ويتغى الحصول عليها وخصوصاً اذا أظهرت له غيرها على الدعوه التي هو

فاثم بتأييدها ٠

وكانت جلدار تطأول بعنفها لسباع ذلك الحديث فلما بلغت الى ختامه أقيمت نفسها لانها كانت ترجو ان تعرف شيئاً عن قلب ابي مسلم من جهةها فسكت وظهر الاقباب في وجهها فادركت ريحانة سبب انقاضها فارادت اعاش املها فقالت « بورك فيك يا نحراك ما الطاف اسلوبك فقد فعلت ما لا سبيل الى سواه ٠٠٠ »

قال « لا احب المزايق يا ريحانة فاني لم اعمل شيئاً ولكنني مهدت السبيل لاعمل فاذ رأت مولاتي ان اعرض عليها رأيي في ما يتبيني ان تعامله فعلت ٠»

قالت جلدار « قل يا نحراك ٠

قال « أرى أولاً أن نذير وسيلة لتجتمعي بابي مسلم ويدور يشكرا الحديث ٠٠٠ » فاحر وجه جلدار خجلاً اذ تصورت نفسها في خلوة مع ابي مسلم وقد شافت ولم تخاطب من الرجال غير والدها وخدم قصرها ٠ ثم تذكرت انها لا تستطيع الوصول الى تلك الجلسة الا بالزلف والتذلل والتزول عن عرش انتها وعزتها نفسها ٠ تم هي فوق ذلك ستخالف اراده والدها فضلاً عن تعرضاً لنفسها اذا علم بذلك الاجماع السري ٠ فلما تصورت ذلك غابت عنها عزة النفس فتراءجت وهي جالمة وهررت رأسها ولسان حاطها يقول « لا أفعل ذلك ٠

فهم الضحاك فكرها فرفع حاجبيه وقلب شفته السفلية كأنه يقول لها « الخاطر لك ٠ ثم قال « لا انكر يا مولاتي ان ذهابك للاجماع به لا يخلو من التنازل و ٠٠٠ ٠»

نفافت ريحانة ان يذكر لها اصل ابي مسلم ومنشاءه فاعتبرت حديثه قائمة « لا أرى في ذلك ضعة ولا تنازل لا انما اذا ذهبت اليه او خاطبته فانها تخاطب اعظم رجل في خراسان وهو قائد رجال الشيعة مع انه شاب ومحظ امره شيوخ من قواد الخراسانيين واما اهم ويكفي ان الامام اختاره لهذا المنصب العظيم واذا افترت الى وجهه وهيته علمت ان المستقبل له لا محالة ٠٠٠ ٠»

فلما سمعت جلدار ذلك الاطناب تحركت فيها عوامل الحب فهان عليها كل عسير في سبيله ولكنها غلت ساكتة ٠ وفهم الضحاك ان الفرض من ذلك الاعتزاس ان لا يذكر اصل ابي مسلم في حضرتها فقال « لا انكر منزلة هذا البطل الشاب وانما اردت بالتنازل ذهاب مولاتي الدعفانة اليه وهي فتاة ٠٠٠ الا اذا كانت تحب ٠٠٠٠ (ويطلع ريقه) فتلك مسألة أخرى هي أعلم بها ٠» قال ذلك وضحك وهو مطرق برأسه

وعيناه من قعستان نحوها

أما جلتار فأن الاهتمام ظهر في عينيها وسكتت وتشاغلت بارسال ضفائر من شعرها إلى ظهرها كانت قد استرسلت إلى الألام عند أخنثها . ثم اصاحت القرط في اذتها وهي مطرقة . وادركت ريحانة وخلط الضحاك أنها تتردد في أمر ذلك الاجتماع وظلوا صامتين هنية كأنهم صاغون لاسئل قصف الرغد وزخ المطر ولو أصاخوا بسمعهم لسمعوا جمجمة الجمال عن بعد ولكن تساقط المطر وهبوب الرياح أضاءا جمجمتها وأخيراً فتحت ريحانة الحديث قائلة « تبصري يا مولاني في الامر على مهل فإن القوم باقون هنا بضعة أيام بسبب الامطار »

فظلت جلتار صامتة مطرقة فادرك الضحاك أنها لا تزال تعظام أمر لقائهما أبا مسلم فقال لها « اذا اذنت مولاني لمعلوكها ان يصرح بما في ضميره فعل »

قالت جلتار « قل »

قال « يظهر لي انك تكبرين أمر ذلك الاجتماع ولا لوم عليك ونحن نعلم اذنك وعزّة نفسك وعندي رأي هل اعرضه عليك ؟ »
فشارت برأسها أن « قل »

قال « ان ابا مسلم كالا يخفى عليك قد حضر قواه وعواطفه في أمر الدعوة التي قام بها وما من سبيل يوصلنا إلى قلبك غير هذه الدعوة . فالذى أرءاه ان مولاني اذا شق عليها لقاوه وجهاً لوجه ان تبدأ الخبرة بيتها وبينه بشيء يدل على اشتراكها معه في هذا الامر ويكون ذلك فاتحة العلاقة ثم نرى ما يكون »

فابتسط وجه جلتار وكان ابساطه جواباً كافياً للضحاك فتاوالت ريحانة طرف الحديث عنها وقالت « لقد رأيت صواباً يا ضحاك بورك فيك فافصح عن سائر رأيك »
قال « هذا رأيي وهو واضح لا يحتمل شرعاً كثيراً . فملراد ان تبعث مولاني إلى ابي مسلم بما يدل على لصرتها دعوه ورغبتها في رضاه او اشتراكها في امره ونرى ما يكون منه »

قالت ريحانة « اذنك تعني ان ترسل اليه المال »

قال « المال وغير المال كما تشاء »

فقطعت جلتار حديثها قائلة « فهمت . ولكن ونظرت في وجه ريحانة كأنها تستطلع رأيها في امر آخر لا يريد التصرع به بين يدي الضحاك فادركت ريحانة

شيئاً مما في خاطرها فنهضت وهي قائلة « اظلتك يامولائي تعبت من السهر »
 ففهم الصاحب مرادها فنهض وحني رأسه ويداه على صدره كأنه يستأذن مولاته
 بالذهاب وقال « اني رهين ما تأمرني باجرائه ولو كان طربق الى من ضالك على
 مراهف السيف » قال ذلك وخرج

الفصل الخامس عشر

المدية

فسرت جلنار بذلك ونهضت ومشت نحو غرفتها وهي تسترق الخطى مخافة ان
 يسمع وقع قدميها . اما ريحانة فلما اطفلت السراج وسارت في اثرها حتى وصلتا الى
 غرفة جلنار فدخلتا وتوسدت جلنار على فراشها وتنعلت باللاحاف والتفت بالمعطر دفماً
 لما احسست به من البرد في اثناء مرورها في الرواق وجلست ريحانة بين يديها وقد لفّت
 رأسها وحول عنقها بالشال فلما استتبّ بهما المقام قالت ريحانة « قد فهمت اعتراضك
 يا مولائي »

قالت « هارايك ۰۰۰ الا ترين اني في مشكل صعب »

قالت « اذا كنت مصيبة في ظني فالشكل على سعيته لاندم وسيلة حلله ۰۰۰ »
 فقطمت جلنار كلامها قائلة « وكيف استطيع حلها واراني سكرجر ابن عمارتين او
 ثلاث ۰۰۰ ان والدي من جهة قد عقد خطبني على ابن الکرماني وسأزف اليه قريباً واري
 نفسي من جهة اخرى مقيدة القلب ۰۰۰۰۰ (وتحمّلت وباشت ريقها حياء) وانا مع ذلك
 لا ادرى اذا كانت الحبة متبدلة ، فكيف الخلاص من امر والدي وكيف اذا لم تكون الحبة
 متبدلة ۰۰۰ » قالت ذلك وشرقت بريقها واحترت وجنتها او زادتا احراراً لان وجهها
 كان قد تورد من الدفء واعمال الفكره وخلقت ريحانة في عينيها دمعتين ترددان بين
 الاماقي فتأثرت لهاها وشعرت بخطر موقعها فبادرت الى التخفيف عنها فقالت « اما
 ابن الکرماني فليس امره همماً لاتك لو زففت اليه من الغد فبقاوك عنده لا يكون الا بختله
 على ابي مسلم فاذا غلبه قابو مسام لا يليق بك واما اذا كانت الغلة لابي مسام فاتت له
 لا خالة لانه يغبن كل ما هو للکرماني ، واذا كنت تكرهين هذا العريس وتروهين بعده

ذلك من حكمتك وحسن أسلوبك ما يضمن بقاءك عنده مدة طويلة مصونة كذاك في
بيت أبيك »

فادركت جلنار ما عرضت به ريحانة وقد أخجلها لكن مسرورها بهذا الحال هوئ عليها ذلك التعريض فابتسمت والانقباض ينذر الابتسام في وجهها فعادت ريحانة إلى حدتها فقالت « يقى علينا النظر في الوسيلة إلى إيمسلم ... والحق يقال إن هذا العربي المهزار قد رأى رأياً حسناً لا غروراً إذا وقع لديك موقع الاستحسان ... لأن زيارتك لابني مسلم دفعه واحدة بدون خاتمة أو مبادلة سابقة لا تخلو من الابتسال فالذى أراه أن ترسل إليه مع الفحواك مبلغاً من المال على سبيل الاعانة والفحواك يفهمه باسلوب لطيف أنك بعثت بهذه المدية جبأ به وبدعونه ونرى ما يكون من جوابه ... وإذا رأيتر أن ترسل إليه هدية خصوصية توّكّد بعيتك فعلتر ... »

فأشرق وجه جلنار بهذا الرأي وكانت متكتة بفلست وقالت « لقد أتعجبني بارريحانة رأيك الأخير لأن ارسال المدية الخصوصية عبارة عن استطلاع رأي إلى مسلم في ... فما ان تكون تلك المدية؟ »

قالت « أجمل هدية تهدى للقواعد السيف فإذا بعثت إليه بسيف مرصع وبلطفه الرسول انه هدية منك إليه ازداد اعتقاداً بسلامة نيتك في نصرته وإذا كان في نفسه شيء ظاهر »
فقالت « ومن أين آتي بهذا السيف ... »

قالت « ذلك هين على من يبذل المال فاعطى الفحواك مالاً وفوضه أن يبتاع سيفاً
فا هو الا ان يذهب ويعود اليك بالسيف في ساعة ... »
ففرحت جلنار بهذا التدبير وقالت « أفي كل تدبير هذا الامر اليك وما التقد في
عند اخازنة خذى منها ما شائين واحذر ان يدرك والدي شيئاً من هذا التدبير فنفع في
مشكل يصعب حله ... »

قالت « كوني مطامنة يا مولا تقي فلا يكون الاخير ان شاء الله والآن خففي عنك
وننادي وعلی تدبير كل شيء »

ثم قبلت رأسها وبدها وخرجت حافية حتى عادت إلى غرفتها . ولا نظن جلنار
نامت في تلك الليلة الا قليلاً لعظم اضطرابها وفقلها
فلم ينفع هو لاد في تدبیرهم ولنرجع الى ابي مسلم فقد تركاه في دار الضيافة ومعه خالد
ابن يرمك وقد قاما وابو مسلم فما غمض جفنه وهو يفك في مشروعه وفي ما عساه ان يقول

دونه من العقبات . وكان ابو مسلم شديد الحذر متى يقطن المخاطر ^{سيء}، لظن في المستقبل لا يأمن كوارث المدائن . فكان وهو في فراشه سائحاً في بحار الأحلام يفرض المكبات ويهيء الاسباب حذرًا من الفشل . وبعد ان نام هزيعاً من الليل افاق على هبوب الرياح وقفز الرعد وتساقط الامطار فشق عليه ذلك عفافة ان تتحول الاحوال دون مسيرة . فلما استيقظ نهض من الفراش وااطلَّ من نافذة غرفته الى ما حوله وكان المطر قد انقطع والصبح قد ابايج فرأى المياه ملاطِّت الطرق ووصلت في اخاذيد الارض . ^{تتحول} الى غرفة خالد ولم يكدر بدخلها حتى رأه خارجًا منها وقد تزمل بعباته وتختهر بعامتها فصاح فيه ابو مسلم « خالد !

فقال « ليك ايها الامير . »

قال « ما رأيك بصاحب الخبر الذي يعشاه بالامس هل تظنه تتمكن من التجسس »

قال « لا اظنه الا فعل واذا ابطأ علينا فلا يُؤخره الا الامطار والاحوال لانه من

أهل الفجدة والفسدة »

قال « اني في انتظاره على مثل اجر لتعلم حال اعدائنا في مرو فتندب في حربهم »

قال خالد « ذلك هو الامر الذي شغل خاطري الليلة واحرموني النوم على اني واثق

بالرجل واخلاصه لانه يخاف غضبك وهو يكره نصر ابن سيار كرهًا شديدًا »

قال ابو مسلم « ما في معسركنا من يحب نصرًا ولكنني اخاف من ان يخدعنيم الکرماني

لأنه من دهاء الرجال وقد بلغني انه اخرج نصرًا من مرو وقتلها »

وها في ذلك ^{بعا} حركة في داخل الدار وادا ي بعض الغلنان قد اقبلوا وهم يحملون

كانوا في نار قد تجمدت وضعوه في بعض جوانب الغرفة الاستدفاه وذروا فيه شيئاً من

البغور فاقتشرت رائحته في الدار كلها فاستأنس ابو مسلم بالذرف والبغور وجلس على وسادة

فوق البساط والثف يطرف خز اسود ولاك عامته على راسه يغير نظام وأشار الى خالد

فتعذر على جانبه ثم تذكر انه لم يصل بعد نهض ونهض معه خالد وصلبا الصبح وقعدا وكلاهما

يفكران في امر الرجل الذي ارسله لتجسس احوال مرو قبل وصوفهم الى تلك الحلة

وكانت قد اوعزا اليه ان يوافيها الى هناك

الفصل السادس عشر

ابو مسلم والضحاك

و بعد هنئية جاء ابا مسلم بالطعام فاكله وغسل ايديها ولم يتكللا الا قليلاً لان ابا مسلم كان قليل الكلام جداً . و بنحو الشعري دخل بعض غلنان ابي مسلم و اوصى انه ينقل رسالة فقال ابو مسلم « ما ورائك »

قال « ان في الباب رجل يطلب مقابلة الامير »

قال « عليه من رجالنا »

قال « كلاماً بله هو من رجال المحققان »

قال « يدخل .. »

فدخل الضحاك وهو يحمل خريطة قد اثقلت كاهله فوضعها بجانب الكانون واغلق الباب ودخل وهو يتأدب بمشيته حق وقف بين يدي ابي مسلم فصاح به ابو مسلم « من انت وما غرضك ؟ »

قال « اني من موالي المحققان ولی مع الامير شان اذا سمح بخلوة بنته اياه »

وكان الضحاك يتكلم وهو يتماول اخفاء امارات المجنون من وجهه ولم يتم كلامه حتى نهض خالد وخرج . فأشار ابو مسلم الى الضحاك ان يقعدفا كعب على يد ابي مسلم قبلها وهو يقول « قد اتيت مولاي الامير بحمة مرتبة ارجو ان يكتسبها لوجه الله وانا رسول وما على الرسول الا البلاغ »

قال « قل لا خوف عليك »

فدخل الضحاك يده واستخرج من تحت عباءته سيفاً مرصعاً دفعه الى ابي مسلم . و لما رأى ابو مسلم السيف اجفل لاول وهلة مخافة ان يكون في الامر دسسة او اغتيال فاقطب وجهه ونظر في وجه الضحاك وامارات الفضب والحندر بادية في عينيه فضحك الضحاك ضحكة يازجها شيء من البهاء وقال « ايتها صاحب هذا الجلد من مهزار مثل جاءه بهدية . ومن يجزئ ان يقدم على الامير بغیر اظهاره والطاعة .. اني ارى الموت بين ثنيتيك والقفار المبرم في عينيك فبالله الا تبسمت قبل ان اقع قتيلاً » قال ذلك وهو يناظر بالنظر او هو ذعر فعلاً لان ابا مسلم كان شديد الحيبة لا يستطيع احد التعرض في وجهه فتكلف ابو مسلم الابتسام وهو يتناول السيف بيده وما في ابتسامته ما يدعوه الى

الاستئناس او السكينة . ولما تناول ابو مسلم السيف تأمله وقلبه بين يديه ثم نظر الى الضحاك وكان لا يزال واقفاً وقال «اعدد فقعد متأنياً وهو يتلفت بيناً وشمالاً فقال له ابو مسلم «ما شافك يا رجل .. اراك عريضاً »

فتراجع الضحاك واظهر الخوف وقال « وهل عليَّ باس من وصية الامام ؟ » فلم يبال ابا مسلم عن الضحك من حركاته وهيأته ويندران يضحك وقال « ان وصية الامام لا تخرب على كل عربي لان الامام نفسه عربي » فكن مطمئناً وقل ما شافك « خظر الضحاك بخواصه نظر اخائف الخادر وقال « القدم الى مولاي اولاً ان يكتم ما سيدور بيدي وينته فقد جئته بأمر ارجو ان ينفعه . واذا شاع اضرفي » قال « قل لا باس عليك اننا كالمون امرك »

قال « اعلم يا سيدى ان مولاي في الدهقانة جلنار .. هل تعرفها ؟ »

فوجم ابو مسلم لحظة ثم قال « اليست ابنة الدهقان صاحب هذه الخلعة ؟ »

قال « هي بعينها . اظنك تعرفها فاعلم يا مولاي انها شهدت بجسلك بالامس وقد سحرت بها شاهدته من حيثتك واعجبها الامر الذي انت قائم به وعلمت بما دفعه ابوها واجبت ان تخصل نفسها بحال تدفعه هي من جيوبها اخلاص قبعت بجانب منه في هذه الطريقة (ولاما خوارطريطة) على شرط ان لا يعلم بذلك احد وخصوصاً ابوها . ولا تلتسم في مقابل ذلك الا رضى الامير اعزه الله .. ثم انها بعثت اليك بهذا السيف المرصع على سبيل التذكرة

وهو قد يرمي فيه سر عظيم ولم يحمله احد الا ظفر بعدوه » فعاد ابو مسلم نظرة في السيف وتناوله وامته من قرابة وتأمل فرنده فاذاهو بلع كالزجاج وفيه تلوّح بدينع فقال « يظهر انه مسموم »

قال « افته كذلك لان مولاي قالت لي انه لم يصب به احد الا مات لساعته ولو كان جرحه خفيفاً »

قال « انها هدية ثمينة ثم ماذا ؟ »

قال « وعندى كلة اخرى احب كنهها حتى عن الدهقانة نفسها .. فذا عاهدني الامير بذلك بمحنة لها والا لا يهمني لو قتلني بهذا السيف الساعة واراحني من حياتي » فاستغث بـ ابو مسلم قوله وطريقة تعيره واستأنس بمحنة روحه فقال له « قل ما تشاء ولا تحف »

قال « وهل تعدني انك لا تغضب من جساري ؟ »

قال « قلت لك لا تخنف »

قال « ان مولاني الدهقان؛ اجل اهل عصرها و ما من امير ولا دعاقان الاً ويغنى رضاها ولكنها تخون نفسها من كل طالب ولم يعل قلبها الى احد حتى الکرماني امير العرب الحاصلين مرسو فانه طلبها لابنه ورضي ابوها واما هي فقلبها تافر منه . وقد تطبع اباها وتذهب الى الکرماني ولكنها اذا سارت اليه فقلبها لا يسرع معها . لانه عالق برجل اعظم منه وأعظم من كل رجل في خراسان . هل يأذن لي مولاي ان اذكر اسم ذلك الرجل ؟ »

فادرك ابو مسلم انه يعرض بمحبها اياه ولم يكن قاتمه ذلك من قبل فقال « اذكر اسمه الاً اذا كان داخل هذه الفرقة »

فقال « كلامك تأمرني ان لا اذكريه . لانه داخل هذه الفرقة ولكنك ليس انا » ونحوك فلم يهالك ابو مسلم عن الضحك ثم قال « لقد اعجبني اسلوبك يا رجل فاتك حقيق الروح »

فقال « وما ينفعني اعجبا بك يا سيدى وانا اخاف ان اذكري اسمك »

قال « قلت لك لا تخنف ها انا ناقم على جساريك لانك على ما يظهر لا تعرف عني كثيراً »

قال « انا اعلم عن مولاي الامير اكثراً مما يظن واندك فاني لا اقصد برسالتي هذه ان اكافئه مالا يريده ولكنني تعهدت لصاحب هذه الهدية برضي ابي مسلم عنها وبحوز ان يكون ذلك الرضا ظاهرياً فقط — ثم لا اخفي عن حامل علم الامام ان نظرة منه تشفى عن رضي او ارياح تحمل هذه الفتنة آلة يسمى قد يستخدمها في امور شفاعة ولو كانت في فسطاط الکرماني نفسه او في قصر لصر بن سيار صاحب مرواد تكون اقدر على خدمته وهي هناك وان كان ما ترجوه من ابي مسلم اضغاث احلام لا يصح منها شيء . وعهدي بالامير لا يحتاج الى تصریح »

فاطرق ابو مسلم هنچه وهو يعمل فکرته ويتذر ما سمعه من الضحاك فرأى قوله لا يخلو من التصيحة ولكن امسك عن الخوض معه في ذلك . ثم رفع السيف من زبن يديه ووضعه وراء الوسادة ولظاهر نحو الباب فادرك الضحاك انه يريد الصرافة فوق وهو يقول « يأمر مولاي خازنه ان يستلم هذه الاكياس » ومشى نحو المربطة

بقرب الكانون

صفق أبو مسلم فدخل حاجيَهُ فقال « اليَّ بالخازن »
خرج الحاجب وعاد ومعه إبراهيم الخازن فلما دخل إبراهيم ورأى الضحاك في
خلوة مع أبي مسلم أوجس خفنة ولكنه باعْتَمَ أن سمه يقول له « خذ من هذا الرجل
ما يعطيك وقيده في دفاترك »

تحول نحو الضحاك ففتح الضحاك الخزينة واستخرج منها عشرة أكياس مختوِّنة
وقال له « هذه عشرة أكياس في كل منها ألف دينار يوسفية » + واطال لفظ يوسفية عنوة
فتاولها الخازن وقد فهم أشارته ولكنَّه ادرك أنه يقول ذلك على سبيل المخون فتناول
الآكياس وهو يقول « من هي »

قال أبو مسلم « قل هي مفي وكفى »
فعلمها إبراهيم وخرج وهو لا يصدق أنه نجا من شراك الضحاك + وبعد خروج
إبراهيم عاد الضحاك نحو أبي مسلم وأنجف يقبل يديه ثم خرج

الفصل السابع عشر

صاحب الخبر

ولبث أبو مسلم هنيمة بعد مخروج الضحاك وهو معارف يفكِّر في ما سمعه منه وقد
توسم في هذا الرجل غير ما يظهر من مجده وباهته وقال في نفسه « لا يخلو هذا الرببي
المهزار من دهاء مستور » + وفكَّر في أمر جلنار وتملقها به وكان قد لفظ يليها إليه من
قبل ولم يعبأ به فرأى بعد ما سمعه من الأبيحة الضحاك أن يتنفس شفتها به لاتصال
مقاصده في مدهنه + قضى ساعة في نحو ذلك وأذا بالغلام دخل وقد عاق بعنقه جراباً فيه
البعض والند وذر شيئاً منه في الكانون + فلم يأبه أبو مسلم نذكر خالداً فصاح فيه
« أين الأمير خالد؟ »

قال « هو يا سيدِي في المدينة يكلم رجالاً قادماً من سفر »

قال « دعهما اليَّ معاً » وقد تربيع عنده ان القادر صاحب الخبر الذي هم في
انتظاره على مثل الخبر

وما عتم ان دخل خالد وهو يتيم ويقول «لقد جاء صاحب الخبر يا امير هل يدخل؟»

قال «يدخل حالاً» ودعاه خالداً للجلوس وكان ابو مسلم يعتقد في خالد التعلم والدهاء ويستخصه بالمشورة ولا يخفي عن شيئاً . جلس خالد بجانب ابي مسلم ثم دخل الرسول وهو لا يزال بلباس السفر عليه العباءة وعلى راسه الكوفية فوق القلنسوة + وقد تجبرت العباءة مما اجترقها من المطر في الليل الماضي — فلما دخل الى التحية ووقف فقال ابو مسلم «المطلب هنا من زمن طوبل ٤٠٠»

قال «منذ ساعة او ساعتين»

قال «ما الذي اخرك عن الدخول علينا؟»

قال «كنت في استظار الاذن»

قال «ليس على صاحب الخبر من حرج ولا ينافي ان يؤخر اذنه» ، والتفت الى خالد ك انه يستطلع رأيه في ذلك فاجاب خالد باشاره رأسه ان ذلك هو الصواب . ثم أمره حاجبه ان يغلق الباب ويخرج واتصل الى الرسول ان يغمد قعده متاداً فقال له ابو مسلم «ما حدرك وكيف فارقت مرسو؟»

قال «فارقتها والمحاصر شديد عليها والاعداء محددون بها»

قال «اطنك تعني ابن الكرماني»

قال «اعني واعني شيبان الخارجي فانهما يقاتلان نصر بن سيار صاحب مرسو مما وكل منهما يضرم السوء لاصحجه»

فقال خالد «وكيف ذلك وعهدى بالكرماني انه دخل مرسو وخرج نصراً منها»

قال الجاسوس «نعم يا ولادي قد كان ذلك ولكن لم يتم ولدي يتضمن لكم الواقع استأذن الامير ببعض التفصيل»

قال ابو مسلم «قل ولا توجز»

قال «لا يخفى علي ولو لاي ان امر بي أمية اخذ في الضغب منذ عدة سنين واعتبا
تقى الحكم في ايديهم تبليباً من ائمـة الـخلافـةـ واحـتـراـماً لـالـدـينـ ، فـلـامـاـ اـفـضـتـ الـخـلـافـةـ إـلـيـ
رسـوانـ بـنـ مـحـمـدـ وـاـخـتـلـفـ أـهـلـهـ فـيـ بـيـتـهـ وـاـنـقـضـواـ عـلـيـهـ تـجـراـاـ النـاسـ عـلـىـ مـخـالـفـتـهـ ، وـبـعـدـ
أـنـ كـانـ الـاحـزـابـ نـائـةـ أـوـ سـاـكـنـةـ هـبـتـ عـلـيـهـ دـفـعـةـ وـاـحـدـةـ ، فـقـامـ الـخـارـجـ وـغـيرـهـ
مـنـ يـطـعـونـ بـالـسـلـطـةـ لـاـنـفـسـهـمـ وـمـنـهـمـ الـكـرـمـانـيـ — وـالـكـرـمـانـيـ أـيـهـ الـأـمـيرـ حدـيـثـ طـوـبـيلـ

مع لصر بن سيار امير من و هل اقصه عليكم ؟

قال « لا بد من ذلك لأن التفصيل يهدينا إلى خارج الأمور ومداخلها »

قال « لما مات أسد بن عبد الله والي خراسان منذ عشر سنين استشار هشام بن عبد الملك (الخليفة يومئذ) بعض خاسته في من يوليه مكانة ففرض عليه بعضهم أن يولي الكرماني وهو من رجال الدولة وأهل التجدة والحزم فاعتراض عنده هشام وقال « ما اسمه » قال « جديع بن علي » فقال هشام « لا حاجة لي به » لأنه تغير من اسمه فعرض عليه غيره وغيره حتى استقر الأمر لنصر بن سيار والي خراسان الآن فكان الكرماني حقد ذلك في نفسه فلما مات الوليد بن يزيد بن عبد الملك وفرغ كرسى الخليفة واختلف عليها بنو مروان وحصلت الفتنة ونهض كل ذي سلطان يسى إلى نفسه اعتنمت الكرماني هذه الفرصة واظهر الخلاف لنصر بن سيار ولا يخفى على مولاي أن الرجل إذا قام بطلب سلطة اعتمد على حزبه من الأحزاب والكرمانى وان كان اسمه يدل على انه فارسي من كرمان الا انه لقب بذلك لأنه ولد في كرمان ولكنها عربى من بي ازد وهم يهية فاستنصرهم فنصروه على ابن سيار لأن رجاله كلها مصرية من عرب المحيان والخلاف بين العرب اليهية والمصرية قديم ولايزال شديداً وسيكون من اكبر اسباب سقوط العرب على الاجمال و كان اهل خراسان اقسام منقسمين فيما بينهم لأن بعضهم يهية وبعض الآخر مصرية (او زيارة) فلما مات الخليفة كما قدمت لكم بعض من هذين الحزبين من يطلب الخليفة لبعض بي مروان غير مروان بن محمد وفي جلتهم عرب خراسان فقد اختلفوا فيما بينهم لنفس هذا السبب فاهم نصر بن سيار في التوفيق بينهم فلما أعياد ذلك منع عنهم العطاء ولما كان في بعض الأيام وقد وقف في المسجد يخطب بعض الناس وطلبو منه اعطياتهم فصال لهم « ياكم والمعصية عليكم بالطاعة والجماعة » فوتب اهل السوق إلى اسواقهم وتارت الافكار فغضب لصر خطب فيهم خطباً لا يزالون يتناقلونه إلى اليوم قال في جلته « ما لكم عندي عطاء كاني بكم وقد بع من تحت ارجلكم شر لا يطاق وكاني بكم مطرحين في الاسواق كالجزر المتحورة انه لم تطل ولاية رجل الاملاوها واتم يا أهل خراسان مسلحة في خمور العدو فإذاكم ان يختلف فيكم سيفان انكم ترشون أمراً يريدون به الفتنة ولا أبقى الله عليكم لقد اشر تكم وطوبتكم فاعندي منكم الا عشرة واني واياكم كما قيل

استنسكوا اصحابنا بمحذركم فقد عرقنا خيركم وشركم

فأقروا الله فواهه لئن اختلف فيكم سيفان ليتمنى أحدكم انه يتخالع من ماله وولده يا أهل خراسان انكم قد غضتم الجماعة وركبتم الى الفرقه ثم تقتل بقول الاباغة الذياني فان يغلب شقاوكم علىكم فاني في صلاحكمو سعيت

« فعل الكرماني بذلك الخلاف وكان نصر قد عزره عن منصب كان فيه من قبل فشاور الكرماني اصحابه في القيام فوافقوه على ان يكتابوا من في مرو من اليهية ويستجدهم وقد اخبرني رجل من خاصة ابن سيار ان المقربية اشاروا على نصر من ذلك الحين ان يقتل الكرماني وقالوا له « ان هذا الرجل يفسد عليك امرك فارسل اليه فاتحه او احبه » فلم يصح لهم وقال « لا ولكن لي اولاد ذكور واثاث فازوج بنيه من بناته وبناتي من بنيه » قالوا « لا » فقال « فابعد اليه بائنة الف درهم وهو بخبل ولا يعطي اصحابه منها فيتقرون عنه » قالوا « لا » هذه قوة له » وطال الجدل بينهم حتى قالوا له اخيرا « ان الكرماني لو لم يقدر على السلطان والملائكة الا بالنصرة واليهودية لتنصر وتهود » فلما رأى نصر اطاحهم عنهم على حبه فارسل صاحب حرسه ليأتيه به فارادت الاخذ ان تخلاصه من يده فنفعهم الكرماني من ذلك وسار مع صاحب الحرس الى نصر وهو يتحقق فلما دخل عليه قال نصر « يا كرماني الم يأتني كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعته وقلت شيخ خراسان وفارسها لحقت دمك » قال « بلى » قال « الم اغنم عنك ما كان لزمك من الغرم وفسمته في اعطيات الناس » قال « بلى » قال « الم ارتش ابنك علياً على كره من قومك » قال « بلى » قال « بدىلت ذلك اجماعاً على الفتنة » فقال الكرماني « لم يقل الامير شيئا الا وقد كان اكثرا منه وانا لذلك شاكرا وقد كان مني ايام اسد ما قد عملت فلينا ان الامر فلست احب الفتنة » ثم امر نصر بضرره وحبسه في القهندز (قلمة مرو) سنة ١٢٦ هـ وتكلمت الاخذ بشانه فقال نصر « اني حالفت ان احبه ولا يناله سوء فان خشيتم عليه فالاخذاروا رجالاً يكون معه » فاختاروا رجالاً امده بزيبد التحوي اقام معه . ولكن ذلك الحبس لم يطرد وقته فان رجالاً من اهل نسف قاول اهل الكرماني على اخراجه بمحيلة لطيفة — وذلك انه اتي بجرى الماء في القهندز فوسعه وادخل الكرماني في السرب خرج بكل جهد وركب فرسه والقيود في رجله . فاصبح الكرماني بعد ذلك من الاداء اعداء نصر وندم هذا على استيقائه حياً وتوسط الناس ينهى وطلبوا الى نصر ان يومته ولا يحبه فامته ولكن لم يكن يأمهنه : فكان يدخل الكرماني الجامع للصلوة ومعه ٥٠٠ وارجل واكثر فيصل خارج المقصورة ثم يدخل على نصر في المقصورة فيسلم عليه ولا يجلس . ثم ترك ايان نصر واظهر الخلاف فبعث اليه نصر

من يستقبله ويعتذر إليه عن حبه فإنه وإن ظهر الجفاء فاصبح وجوده بلية على نصره»

الفصل الثامن عشر

الحرث بن سرج والكرماني

وكان صاحب الخبر يتكلّم وأبو مسلم صاحب يحدّق بعينيه وبفم في الرجل كأنه يستنزل الكلام من صدره وهو يتأثر من مطاولة نصر الكرماني وتصور نفسه في موضع نصر قل الانتظار فلما بلغ الرجل إلى قوله «وان وجود الكرماني أصبح بلية على نصر» صاح أبو مسلم «ذلك جزاؤه على ضعفه وتردداته — فتجده الله لماذا لم يقتله ويكتفي نفسه مؤنة الجذر منه — اطّال الله بقاء الإمام وأيّد دعوته ان في وصيته ما يقتينا عن هذه المطاولة» : من شكّكت فيه فاقته .. والسلام .. قال ذلك وهو يبعث بشعارات من لحيته وخلاله قد تبيّب لما ظهر من تجسسه ثم قال أبو مسلم للجاسوس «ثم ماذا؟» قال «وما زال الكرماني حتى حارب نصرًا وخرج من مرو فهراً في العام المأذني أو الذي قبّله وبكله انتقام من الحرث بن سرج ..»

قطع خالد كلامه قائلاً «انا اعرف الحرث هذا فقد كان في بلاد الترك وأولى بلاه حيناً وكان بيته وبين نصر اختلاف بخلافه واشتاد الجدال ورغم نصران يحكم بعض الوجهاء ولم يتم ذلك» ثم التفت خالد نحو أبي مسلم وقال «والحرث المذكور يزعم انه صاحب الزيارات السود»

فنظر أبو مسلم إليه نظر الاستغراب ثم تكلّم الرسول قائلاً «ولكن نصرًا لم يصدقه فابن مسلم إليه يقول : ان كنت تزعم انكم تهددون سور دمشق وتزيلون مالك بني امية بخد مني خبيجاً لة رأس وما تقي بغير واحد من الاموال ما شئت وآلة المرب وسر فاعمرى لكن كنت صاحب ميادِّكَرتَ الْيَنِي يَدِكَ وَانْ كُنْتَ لَتْ ذَلِكَ ثَقِيدَ اهْلَكْتَ عَشِيرَتَكَ» فأجابه الحرث «قد علمت ان هذا حق ولكنني لا يأبهني عليه من صحبي» فقلّل له نصر «فقد ظهر انهم ليسوا على رأيك فاذكر الله في عشرين الفاً من ربيعة واليدين وبالكون فيما ينتكم»

قطع أبو مسلم كلام صاحب الخبر وقال وهو يهز رأسه «انهم يخافون أصحاب الزيارات السود وسيرون منهم ويرون بالآدم فيهم فهو إلا لا يتربّدون في حكم ولا يصيرون على ضم ..»

بل يقتلون كل من يشكون فيه » وسكت فعاد الرجل الى حدبه فقال « ولم يكن ذلك ليثني الحrust عن عزمه فرأى نصر ان يضرب به الكرماني فقال له « ان كنت تزعم كما تقول فابدا بالكرماني فان قتله فانا في طاعتك » فلم يفعل . وبالاختصار فان الحrust تعامل على نصر حتى صاروا يقرون سيرته في اسواق مرو وفي المساجد يدعون الناس الى يبعثه . حتى فرحا وهامرة على باب نصر نفسه فماج الناس والحمد لله رب العالمين وكانت معركة هائلة فلم يرب نصر الا ان يستجد الكرماني فبعث اليه فلم يستخلصه . وكانت معركة مركبة كل منهم يحارب الآخرين وانقضت بفراق نصر من مرو وتغلب الكرماني عليها . فلما رأى الحrust قد فاز بعث اليه يطلب ان يكون الامر شوري ينتها فلما يقبل الكرماني فاقتلا فقتل الحrust وتفرق توابه وصارت قبائل الين كلها مع الكرماني وقد انتصروا على المفرية اصحاب نصر فاستبدوا فيهم وانتقاموا منهم وهدموا منازلهم وكان الحrust نفسه مضربيا فلما قتل قال فيه نصر

يا مدخل الذل على قومه
بعداً وتحقّا لك من هالك
شوكك اردى مصرأ كلامها
وخر منْ فوهك بالحوارك
ما كانت الا زد واشياعها
تقطع بي عمر ولا مالك
ولا بنو سعد اذا الجعوا كل طهر لونه حالك

فقال ابو مسلم « فالكرماني الان صاحب مرو . . . وابن نصر . . . »

قال « لم تطل اقامة الكرماني في مرو لان المفرية اشتد ساعدهم بقتل الحrust وانقسم اليهم جماعة كبيرة من رجال الحrust فعاد نصر الى مرو وخرج الكرماني منها وعسكر خارجها »
قال « فالكرماني الان محاصر مرو »

قال « وليس وحده »

قال « ومن معه ؟ اغلبك تعفي شيئاً الحوروي »

قال « نعم يا مولاي . . . وليس شيئاً بالشيء القليل لانه يرى رأي الخارج فهو مختلف لنصر لانه من عمال مروان والخارج لا يختلفون بخلافة مروان . . . وند اتفق مع الكرماني على قتال نصر لان الكرماني يعني ونصر مضربي كما تعلمون . . . فانفق الاثنان على نصر »
فقطع خالد كلام الرجل وخطاب ابا مسلم بالفارسية بما معناه « ولا يخفى عليك ايهما الامير ان هذين لا يكرهان دعوتا لانا ندعوا الى خلع مروان ايفاً . . . »
فاجابه ابو مسلم « ساذب قيم طعم الحزم والعزم وسار بهم كيف نؤكّل الكشف . . . »

ثم التفت الى الرسول وقال «فالآن مرو مخصوصة بيدن الكرماني وشيبان . . .»

قال «نعم يا مولاي . . . وها على وفاق»

قال «وهل تعرف عدد رجالها»

قال «لا اعرف ذلك تماماً ولكنهم يزيدون على بضعة آلاف»

فجرب ابو مسلم في مجلسه كأنه يختبر للهوض ففهم الرسول انه يريد خروجه فنهض وخرج

الفصل التاسع عشر

الاستعداد

فضل ابو مسلم وخالد في خلوة فقال ابو مسلم « علينا معاربة هؤلاء جميعاً . الكرماني وشيبان ونصر . . .»

فسكت خالد ولم يجب فللحظ ابو مسلم غرشه فقال «كأني بك لقول وكيف نحارب هؤلاء وليس معنا من الرجال احد» . . . تمهل وسترى كيف يأتيك الناس مئات والوفا . . . كيف الطقس يا ترى؟» قال ذلك ونهض ليمرى الجوفشى معه خالد الى الباب فاطلاً على الحديقة فرأيا الشمس مشرقة وقد صفا الجو واقبل الدفء واخذت المياه بالجلفاف فقال ابو مسلم «نقدر على السفر الليلة ان شيئاً

فقال خالد «اذا رأى الامير ان نيت الليلة هنا وترحل في الصباح كان ذلك اقرب الى الصواب»

قال لا بأس من ذلك وأرى ان نبعث الى كبار القباء بخبرهم بعزمنا وشاورهم في امرنا والاظطة التي يجب ان نعمل بها قبل الاقبال على مرو . لانا في حاجة الى الرجال والاموال كما ذكرت وان كنت على يقين من نجدة كل دهاقين خراسان ومن يقول بقوتهم ومما في خصم ينتهم مثل خصم العرب العينية والمصرية بل هم متقدون على النقطة من العرب كافة لما يسمونهم من الخلف والذل . . .»

فقال خالد «رأيك هو الصواب الا ترى ان نكتب الدهاقين ونستجدهم ونبث الدعاة هل نهوضنا من هنا حتى اذا نهضنا الى مرو لا يطول انتظارنا النجدة ثم تواتي علينا النجدات باذن الله . . .»

قال ابو مسلم « سكاكن الدهاقين ونبت الدعاء من خرجنا من هذا المفيف ومتزل في اقرب القرى اليانا تقيم فيها جنباً لهذا الغرض ثم نرحل الى سفيذنج تنزل فيها على صاحبنا سليمان بن كثير ونكون مجاهه مرو »

فلا سمع خالد اسماً ابن كثير تذكر ما في قلب ابي مسلم من هذا الرجل مع ما يظهره من احترامه له . لان ابن كثير كان يدعوا لاهل البيت قبل ظهور ابي مسلم وقد اقبل في ذلك بلا حسنة ونال مقاماً رفيعاً فلما بعث ابراهيم الامام ابا مسلم الى خرامان وعهد برئاسة الدعاء اليه لم يقبله سليمان بن كثير لصغر سنّه وقد كبر عليه ان يكون تحت امره . وكان في جملة الدعاء رجال اسمهم ابو داود غرض الدعاء على قبواه رئيساً عليهم وتحمّم بما لا محل له هنا فقبلوه وكان قد بلغ ابا مسلم ما قاله ابن كثير فيه فقد علّمه عليه وعرف فضل ابي داود - فلما سمع خالد بن برمك ابا مسلم يذكر ابن كثير تذكر هذه الحادثة ولكنّه تجاهل واسرع الى الجواب لثلاً يتبه ابو مسلم لما جال في خاطره لانه كان دقيق القراءة جداً فقال خالد « حسناً رأيت ايها الامير فلتذهب للسير وفي اللد نسافر الى اقرب القرى اليانا وهي « قفين » على ما اظن »

قال « نعم هي بعينها فابعدت الى النقباء ان يكونوا على اهبة الرحيل في اللد ولا بدّ لها قبل الرحيل من وداع دعقاتنا لتوصيه بخاتمة اصدقائه من دهاقين مرو ان يدوا لنا يد المساعدة بالمال او الرجال والله الموفق ... »

فأشار خالد اشارة الاستحسان وخرج

واما جلكار فقد تركناها بعد خروج ريحانة من عندها وهي مضطربة البال فففت تلك الليلة في المواجه وكذا تصورت ذهاب المحاكم لقابلة ابي مسلم وتقديم المدينة اليه يتحقق قليلاً فلم تتم الا قليلاً . فاصبحت مخرفة الصحة لعلم ما قاسته من التلق والاضطراب في الامس مع فلة النوم فظللت على فراشها لتأشغل بالاذكار المضاربة وتخفّف ان يذكر والدها اليها ويختلطها بشأن خطبة ابن الكرمانى وهي تحب الاطلاع على ما يكتبه قلب ابي مسلم اولاً . فلما تراكت عليها الاذكار شعرت بالاحتياج الى ريحانة واستبطأتها فصبرت نفسها ومكثت في التراشق تارة تجعل الحلف فوق رأسها للامتناد او للالستغراق في التفكير وتارة يضيق صدرها فتزوجه الى اسفل كتفها وتنهد وهي توقع عيني « احد ثلاثة اما ان يأتي والدها بخبر الكرمانى او تأتّيها ريحانة وحدّها تبّتها بارسال بلدية او تأتّيها بالمحاكم بعد الفراغ من مهمته »

الفصل العشرون

الوساطة

قضت في ذلك عدة ساعات وادا بريحانة فرعت الباب ودخلت فلارأتها جنار
جلست في الفراش وتفرست في وجهها تستطلع ما يتجلى فيه من الانباء فلما رأتها تبسم
انشرح صدرها ولكنها لم تجالسك عن الاستفهام منها عما فعلته فاجابت «قد ارسلنا المدية
وهي جليلة و . . . »

قالت «هل عاد الشحاذ؟»

قالت «كلا يا مولاي لم يعد بعد . . . الا تزيدين الطعام؟»

قالت «لا اشعر بمحاجة اليه . . . دعينا من الاكل واخبرني بما توقعينه من امرنا»

قالت «خيرا ان شاء الله ولكن . . . » وسكت

فاستغل خاطر جنار وقالت «ولكن ماذا؟»

قالت «جئتك بأمر من والدك»

فتصاعد الدم الى وجهها بمنتهى وتسارع خلقان قلبها وقالت «واي امر هو؟»

قالت «لا باسم عليك يا سيدتي لا تخافي فاني لا اذخر وسعاً في كل ما يرضيك
ويريحك . اما مولاي الدھقان فقد استقدمي في هذا الصباح ومرر اليه امراً اوصاني ان
لا ابرح به اليك ولكنني سأخالله في ذلك كوني في راحة وساقضي عليك الخبر كما كان -
بعث اليه ياكرا فلما وقفت امامه مدّ يده الي خاتم كان بين يديه ودفعه اليه وهو هذا
(وارتها خاتماً من الذهب فيه حجر من الفيروز جيل) وقال هذه هدية لك تتناولها وقبلت
يده ثم ذكر لي مقدار حبه لك ورغبته في راحتكم وسعيه في سعادتكم وانه استغرب تمنعك
في مسألة ابن الكرماني الى ان قال انه نظراً لما يعلمه من ذاتك عليك عهد اليه ان اتفعل
بتقبيله لأن الكرماني امير ابن امير وهو صاحب الامر والنبي و . . . اخ

قطعت جنار كلامها قائلة «وماذا قلت له؟»

قالت «طاؤ عده في بادى الامرا وابدلت استخفافى رايه - ولا يكفي غير ذلك -
حق اذا آتى في الموافقة قلت له «ولكنني لا أرى ان تتعجل عليها في التهاب اليه فما
لا يقفى اليوم الا بالعنف والضغط قد يقفى غداً بالرفق والراحة فارى ان لا يخاطب

مولاي الدعفانة في هذا الشأن الاً بعد بضعة ايام ربيعاً اكلها واقعها» قلت له ذلك يا سيدتي لنرى ما يبدو من خيّناً وضحك تخفيناً لما في قلب جلنار فابتسمت هذه والاتقباض يغشى ذلك الابتسام ولكنها استحسنـت حيلة ريحانة . ثم قالت هذه « وقد جأرت سيدـي الدعفـانـ في قوله حتى املك منه سبباً خدمـتكـ بما في الامـكـانـ والاـ فـانـهـ فـاعـلـ ماـ يـرـيدـ ولاـ يـحـتـاجـ الىـ اـكـثـرـ منـ انـ يـامرـ . فـلوـ قالـ لـكـ اـذـهـيـ الـآنـ الـىـ الـكـرمـانـ لـاـ اـفـلـكـ الاـ ذـاهـبـةـ»

فـقالـتـ جـلنـارـ «ـ اـذـهـبـ وـلـكـ ..»

قـالـتـ «ـ تـذـهـبـينـ مـكـرـهـهـ وـلـاـ يـسـاعـدـكـ اـدـبـكـ عـلـىـ خـالـفـةـ وـالـدـكـ فـضـلـاـ عـنـ غـصـبـهـ الـذـيـ رـبـاـ حـمـلـهـ عـلـىـ اـجـارـكـ بـالـقـوـةـ»

فـصـمـحتـ جـلنـارـ وـظـلـلـتـ مـطـرـقـةـ وـارـادـتـ انـ تـعـودـ الـىـ السـؤـالـ عـنـ الضـحـاكـ وـمـنـعـهاـ الـحـيـاءـ مـنـ تـكـرارـ السـؤـالـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـوعـ وـلـمـ يـفـتـ ذـالـكـ رـيـحانـةـ فـوقـتـ وـهـيـ تـقـولـ «ـ هـلـ بـنـاـ الـمـائـدـةـ وـمـقـىـ تـنـاوـلـتـ الـطـعـامـ نـظـرـ ماـ يـكـونـ ..»

فـهـنـهـتـ واـخـذـتـ رـيـحانـةـ فـيـ تـبـدـيلـ ثـيـاجـهاـ وـتـنـظـيـبـهاـ وـضـفـرـ شـعـرـهاـ وـجـلنـارـ لـاـ تـتـبـهـ حـقـ اـنـتـهـاـ بـالـمـرأـةـ وـهـيـ تـقـولـ «ـ اـنـظـريـ اـلـىـ هـذـاـ الـحـيـاـ وـقـولـ سـيـاحـ اـخـلـاـقـ»

فـخـوـلتـ جـلنـارـ وـجـهـهاـ عـنـ الـمـرأـةـ كـانـهـاـ لـاـ تـرـيدـ انـ تـرـىـ صـورـهـاـ وـقـالـتـ «ـ لـاـ تـخـدـعـنـيـ هـذـاـ الـاـطـرـاءـ يـاـ رـيـحانـةـ ..ـ لـوـكـانـ فـيـ وـجـهـيـ جـالـ لـاـ كـنـتـ فـيـ هـذـاـ الشـقـاءـ ..ـ وـغـصـتـ بـرـيقـهاـ

فـابـشـرـتـهـاـ رـيـحانـةـ قـائلـةـ «ـ لـاـ تـيـأسـيـ يـاـ مـولـايـ ..ـ طـوـليـ بـالـكـ وـهـلـ بـنـاـ الـطـعـامـ» قـالـتـ ذـالـكـ وـخـرـجـتـ مـعـاـ وـجـلنـارـ تـنـظـرـ خـوـ الرـوـاقـ الـمـؤـديـ إـلـىـ الـحـدـيـقـةـ لـعـلـهاـ تـجـدـ الضـحـاكـ حـالـدـاـ فـسـمـحتـ رـيـحانـةـ تـقـولـ طـاـ «ـ اـذـاـ كـلـمـكـ مـولـايـ الدـعـفـانـ بـشـانـ الـكـرمـانـ اوـ اـيـهـ فـلاـ تـدـيـ قـبـعـاـ ..ـ اـيـهـ ؟ـ»

فـاـشـارـتـ جـلنـارـ بـهـزـ الرـاسـ انـ نـعـمـ «ـ نـعـمـ» وـهـيـ لـاـ تـرـالـ تـنـظـرـ خـوـ الرـوـاقـ وـمـعـ كـثـرـةـ مـنـ فـيـ تـلـكـ الدـارـ مـنـ اـخـدـمـ وـالـجـوارـيـ بـيـنـ ذـاهـبـ وـغـادـيـ لـمـ تـتـبـهـ لـاـحـدـ مـنـهـمـ لـاـتـجـاهـ جـوارـهـاـ جـيـعـاـ مـاـ لـهـ وـاحـدـةـ .ـ فـوـصـلـتـ غـرـفـةـ الـطـعـامـ وـلـمـ تـرـ اـحـدـ قـعـدـتـ إـلـىـ الـمـائـدـةـ وـعـلـيـهـاـ الـوـانـ الـاطـعـمـةـ الـبـارـدـةـ وـالـحـارـةـ وـالـفـاكـهـةـ فـتـنـاوـلـتـ يـسـرـاـ مـنـهـاـ وـهـيـ لـاـ تـكـلـمـ وـكـلـاـ سـمـحتـ صـوتـاـ يـشـهـ وـقـعـ اـقـدامـ الضـحـاكـ التـنـتـتـ خـوـ الـبـابـ وـرـيـحانـةـ تـلـاحـظـ حـرـكـاتـهـاـ وـتـنـأـلـ لـقـلـقـهاـ وـتـخـاـولـ مـشـاغـلـهـاـ بـالـحـدـيـثـ عـيـنـاـمـ تـنـاوـلـ تـفـاحـةـ وـقـدـمـتـهـاـ إـلـيـهـاـ وـهـيـ تـقـولـ «ـ مـاـ اـشـهـ لـوـنـ هـذـهـ التـفـاحـةـ

«للون خديبك» ودفعتها اليها فأخذت جلنار التفاحة وقضيت قطعة منها بغير انتباه فسمعت اقرأ على الباب فاصاحت بسمها والقمة في فها وقد امسكت عن المفع ووقفت لفتح الباب فسبقتها ريحانة اليه وفتحته فسمعت جلنار ضحك الفحاح ولم تر وجهه فاصطبي وجهها بالاحمرار وكادت تشرق بريقها ولكنها تجلدت واخذت في مضغ التفاحة نشاغل بذلك عما كاد يغاب عليها من القلق ونظرت الى الفحاح وقد دخل وهو يتاذب في مثيشه فايندرته ريحانة قائلة «ما وراءك؟»
فضحك وتباله وتكتف ووقف فائزه ريحانة قائلة «لا تبالغ .. اخبرنا بما فعلته حاجلا»

قال «دعيني اصحابك فاني مسرور»

فasherق وجه جلنار فاستبشرت ونظرت اليه وهي تبتسم ولسان حالمها يقول «اخبرنا بهذه البشرى»

فالتقت الى جلنار وقال «ابشرك يا مولانى ان عند صاحبنا الخراسانى اضعاف ما عندك من .. وتشنج

فلم تبالك جلنار من الفحاح بعثت ثم انتبهت لما في ذلك من ظواهر الخلة فامسكت نفسها وقالت «بارك الله فيك لقد اتعناك يا صاح ونرجو ان تكونك .. قص علينا خبرك»

الفصل الخامس والعشرون

قال وهو يلتفت يميناً وشمالاً كأنه يخاف أن يسمعه أحد «ذهبت الى ابي مسلم بالهدية قبلها وكأنه كان على موعد من قدومي بها ولم يشأ ان يخاطبني في حضرة رفيقه ابن برمك فاشار اليه نخرج فلما خلوت به سأله عنك وطالع في الاستفهام عن حالك فكنت اطير من الفرح ..

فلما سمعت جلنار قوله تارعنت ضربات قلبها وكاد السرور يخرج بها عن حدود الحشمة وكادت ترقص طر Isa لو لم تذكر أنها أمام ذلك الخادم فتجددت ونظرت الى ريحانة

كالها تقول لها استزيد به بياناً فقالت ريحانة « ماذا قال لك ؟ .. هلرأيت فيه
المعطايا الى مولاتنا ؟ »

قال « قلت اني رأيت عنده اضعاف ما عندها وقد شهدت له بسلامة النوق لانه
قدّر هذا الجمال حق قدره » قال ذلك وهو ينظر الى الارض مطرقاً من الحياة فخرجت
جلاثار وقد غفت عن جسارتة في سبيل ما جاءها به من البشري وظلت ساكتة فقالت
ريحانة « دعنـا من التلـيم وقل صـرحـما ما الذـي قالـه لك ؟ »

قال « قال لي .. لا اذـكر كلامـه بـيرـفـه ولكنـي فـهمـت منه انه عـالـقـ
الـقـلـبـ بـولـانـيـ وـكانـ يـخـافـ انـ لاـ يـكـونـ عـنـدـهاـ مـثـلـ ماـ عـنـدـهـ ولـذـاـ السـبـ كـانـ يـظـهـرـ
الـاعـرـاضـ فـيـ اـثـاءـ تـالـكـ الجـلـسـةـ بـالـامـسـ لـكـنهـ اوـصـانـيـ وـبـالـغـ فـيـ التـذـيرـ مـنـ اـظـهـارـ ذـاكـ
لـوـلـايـ الدـهـقـانـ لـفـرـضـ فـيـ نـفـسـهـ وـهـوـ مـرـعـيـ عـمـيقـ اـزـهـقـ روـسـيـ قـبـيلـ اـطـلـاعـيـ عـلـيـهـ »
فـقـالـتـ رـيـحـانـةـ « وـمـاـ هـوـ ذـاكـ السـرـ »

فـوـجـمـ الصـحـاحـكـ وـأـقـطـبـ وـجـهـ كـانـ نـدـمـ عـلـىـ ماـ فـرـطـ مـنـهـ وـتـرـاجـعـ خـوـ الـبـابـ فـأـبـتـدـرـهـ
رـيـحـانـةـ قـائـلـةـ « مـاـ بـالـكـ تـرـاجـعـ الـمـلـكـ نـدـمـتـ عـلـىـ صـدـقـ خـدـمـتـكـ ؟ »
فـوـقـ وـتـشـاغـلـ باـسـلـاحـ عـامـاتـهـ وـقـدـ حـوـلـ وـجـهـ إـلـىـ جـنـارـ وـجـعـ ذـرـاعـهـ بـينـ
عـيـنـيهـ وـوـجـهـ رـيـحـانـةـ وـاـشـارـ إـلـىـ جـلـاثـارـ بـيـغـفـيـهـ وـعـضـ عـلـىـ شـفـتـهـ السـفـلـ فـهـمـتـ جـلـاثـارـ أـنـهـ
لـاـ يـرـيدـ أـنـ يـقـولـ ذـاكـ لـرـيـحـانـةـ فـأـبـتـدـرـهـ قـائـلـةـ « دـعـيـهـ .. أـنـيـ أـرـيدـ أـنـ أـسـأـلـهـ ذـاكـ مـرـئـاـ »
فـرـجـمـتـ رـيـحـانـةـ إـلـىـ مـقـعـدـهـاـ وـسـكـتـ وـظـلـ الـجـمـيعـ سـكـوتـاـ لـحظـةـ ثـمـ أـدـرـكـ رـيـحـانـةـ إـنـ
الـحـالـ نـدـعـواـلـىـ خـرـوجـهـاـ خـرـوجـتـ

فـلـمـ خـلـتـ جـلـاثـارـ بـالـصـحـاحـكـ نـفـرـتـ إـلـىـ وـجـهـ مـسـتـفـعـمـةـ قـدـنـاـ مـنـهـ اـنـتـتـ إـلـىـ الـبـابـ
الـذـيـ خـرـجـتـ مـنـهـ رـيـحـانـةـ لـيـأـكـدـ خـرـوجـهـاـ وـقـالـ « أـنـيـ سـأـبـوحـ لـكـ بـسـرـيـ عـاهـدـيـ اـبـوـ مـسـلمـ
أـنـ أـقـيـمـ إـلـيـكـ وـطـابـ إـلـيـ » أـنـ تـعـاهـدـيـهـ عـلـىـ كـتـابـهـ عـنـ كـلـ اـنـسـانـ فـهـلـ تـعـديـنـ يـذـاكـ ؟
فـقـالـتـ وـقـدـ تـعـلـاـوـتـ بـعـنـقـهـ خـوـهـ « لـمـ أـعـاهـدـكـ قـلـ ؟ »

قـالـ « هـوـ يـحـبـ يـاـ سـيـديـ كـثـيرـاـ وـلـكـهـ مـاهـدـ نـفـسـهـ أـنـ لـاـ يـقـرـبـ النـسـاءـ وـلـاـ يـعـقـدـ عـقدـاـ
حـقـ يـنـرـغـ مـنـ مـهـمـتـهـ وـيـخـرـجـ مـنـ سـرـبـهـ فـأـنـرـأـيـهـ ذـاكـ أـعـدـاءـ » .. فـهـمـتـ ؟ »

فـاطـرـتـ وـهـيـ تـفـكـرـ بـاـ يـنـطـاوـيـ عـلـيـهـ ذـاكـ القـوـلـ مـنـ المـفـاعـلـ فـلـ تـفـهـمـ مـرـادـهـ تـمـاماـ
فـقـالـتـ « اـفـصـحـ يـاـ رـجـلـ .. قـلـ كـلـمـةـ أـخـرىـ »

قـالـ « أـنـتـ تـعـلـمـيـنـ اـنـ اـبـوـ مـسـلمـ قـاتـمـ بـهـنـهـ الدـعـوةـ وـاعـدـاءـ كـثـيرـونـ وـأـكـبرـهـ اـبـنـ

الكرماني ونصر بن سيار ولا يضمن الفوز لنفسه الاً بعد قتلهما . وقد أخبرته ان الكرماني خطبك لابنه فسر وابه هج . قال ذلك وتشاغل بحث ذقنه وتحريك فاطرقت وأعملت فكرتها فاستفزبت تلك المناقصة كيف ان أبي مسلم يحبها وكيف أنه سر بخطبها لابن الكرماني فرفعت بصيرها الى الضحاك وفي عينيها علامه الاستفهام فضلاً عن ملامح الاضطراب ففهم سبب استغرابها فقال « لم يسره ان تكوني للكرماني بل سر انت ذاهبة اليه وأنت تزددين أبي مسلم وتحبين فصرته على اعدائه »

فادركت جلنار ان أبي مسلم يرجو منها أن تساعدته على غرضه وهي عند الكرماني ولا يكون ذلك الا اذا أعادته في قتله وقتل ابن سيار فاكتبرت الطلب لانه لا يتم لها الا بخيانة الكرماني بعد ان تصير زوجته فضلاً عن الاقدام على القتل وهي لم تسموده فوجئت ولبنت صامة وقد حارت في أمرها واعظمت ان تصرح للضحاك بما فهمته من خلال كلامه وأصبحت بين حاملين قويين أحدهما يدفعها الى مرضاه حبيبها بأبي وسية كانت والاخر يمسكها عن الاشتراك في قتل رجل سعيد نفسه زوجها ولا تستطيع الاشتراك في قتله الا وهي في بيته . فشعرت لحال أنها في شدة وقلق لا تنجو منها الا بالازماع على احد أمرتين اما ان تقبل بالكرماني على أمل ان تناول أبي مسلم بالاشراك في قتله أو ان تأبى ذلك الرأي فتختسر أبي مسلم

قضت مدة وهي تتردد في الحكم بين الوجهين فاتبعها التردد واحست بصداع شديد وضاق صدرها فلم تهالك عن الوقوف بفتحة والضحاك يراهي حر كلامها ويتوقع أن يسمع منها جواباً . فلما رأها وفت علم أنها في حيرة شديدة فقال لها لا تمجي في الحكم يا سيدني . . . تمجي في أعمال الفكره فان العطلب شاق وعلى كل حال لا سيل الى ابي مسلم الا بما ذكرته لك لأن الرجل شديد المتسك بعزمها ولا يرى العدول عنه الى سواه . فارادت أن تستوضح الطلب فقالت « لم أفهم المراد تماماً . . . لماذا لا تتلو علي قوله بحرفه ؟ »

قال « لو أردت ذلك اطالت في المقام غير اني أقول لك ما قد فهمته منه ايجالاً — هو يحبك ولكنه طاهر نفسه ان لا يكتب كتاباً الا بعد الفراغ من حربه وهو فائز ولكنك لا ترجو الفوز الا بالتلعب على هذين الرجلين وقد يمكن التغلب عليهم بدون قتالهما وقد لا يكون الا بقتلهما فإذا كنت أنت عند أحدهما كنت عوناً له على ذلك اذا أردت والا فالاطمار بك . . . النظر في الامر على مهل . . . »

فاحسست جلناز يعجزها عن الحكم في المسألة فوراً واجب تأجيله وإنما تخبر ريحانة في شأنه رغم ما وعدت به من كتمان عنها — والانسان اذا أبغزه الحكم في مسألة أحـس بـيل شـديد الى مـكـاشـفة بعض أـخـصـائـهـ بهاـ ولاـ عـبرـةـ بـعـهـودـهـ عـلـيـ الـكـتـهـانـ وقدـ يـكـونـ الـإـلـاحـ عـلـيـهـ فـيـ كـتـهـانـ السـرـ منـ بـوـاعـثـ تـرـغـيـهـ فـيـ اـفـشـائـهـ وـخـصـوصـاـ السـاءـ فـاتـهـنـ أـقـلـ صـبـراـ عـلـىـ حـفـظـ الـاسـرـارـ منـ الرـجـالـ بـمـاـ فـطـرـنـ عـلـيـهـ مـنـ ضـعـفـ المـزـاجـ وـخـصـوصـاـ فـيـ مـاـ يـتـعلـقـ بـالـحـبـ وـأـسـيـاهـ وـيـقـلـ أـنـ يـكـونـ اـنـشـاؤـهـ عـنـ السـرـ عـلـىـ سـيـلـ الـمـسـارـةـ فـاـذـاـ عـهـدـتـ إـلـىـ أـحـدـاهـنـ بـسـرـ وـأـوـصـيـهـ بـكـتـهـانـ فـاتـهـ تـخـبـرـ بـهـ صـاحـبـهـ سـرـاـ وـهـذـهـ مـنـهـنـ بـالـمـسـارـةـ إـلـىـ صـاحـبـةـ أـخـرـيـ وـلـاـ بـرـىـءـ الرـجـالـ مـنـ مـثـلـ ذـلـكـ وـانـ كـانـواـ اـصـبـرـ عـلـىـ الـكـتـهـانـ مـنـهـنـ .
وـقـدـ قـالـوـ «ـكـلـ سـرـ جـاـوـزـ الـاتـيـنـ شـاعـ»ـ وـالـحـقـيـقـةـ «ـأـنـ كـلـ سـرـ جـاـوـزـ الشـفـقـيـنـ شـاعـ»ـ
يـقـالـ ذـلـكـ فـيـ الـاسـرـارـ عـلـىـ الـعـوـمـ بـقـطـعـ الـنـظـارـ عـنـ مـصـلـحةـ أـخـلـيـهـاـ فـيـ اـفـشـائـهـ وـقـدـ يـمـدـرـ مـنـ يـفـشـيـ سـرـاـ مـنـ أـسـرـارـ الـهـاسـاـ لـالـمـشـورـةـ بـعـدـ أـنـ يـضـيقـ صـدـرـهـ وـيـعـجزـ عـنـ الـحـكـمـ فـيـهـ كـاـمـبـ عـرـوـسـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ فـاتـهـ أـخـذـتـ رـيـحـانـةـ خـزـانـةـ لـاـسـرـارـهـاـ مـنـذـ أـعـوـامـ وـهـيـ شـدـيدـةـ الثـقـةـ بـاخـلـاصـهـ وـتـعـقـلـهـاـ قـلـاـ لـوـمـ عـلـيـهـ اـذـاـ كـاـشـفـهـاـ بـاـنـ أـضـجـرـهـاـ مـنـ أـمـرـ أـبـيـ مـسـلـمـ فـيـ طـلـبـهـ عـلـىـ مـاـ حـلـهـ إـلـيـهـ الـفـحـاكـ

الفصل الثاني والعشرون

الوداع

فـلـمـاـ ضـاقـتـ ذـرـعاـ عـنـ القـطـلـ فـيـ الـأـمـرـ أـشـارتـ إـلـىـ الـفـحـاكـ بـالـاـنـصـارـ وـمـضـتـ إـلـىـ غـرـفـهـاـ لـتـخلـوـ بـنـفـسـهـاـ لـعـلـهـ تـتوـصـلـ إـلـىـ حلـ تـلـكـ الـمـشـكـلةـ فـأـغـلـقـتـ بـاـهـاـ وـأـنـكـاتـ عـلـىـ الـقـرـاشـ وـقـدـ اـسـتـغـرـقـتـ فـيـ الـمـهـاجـرـ فـقـضـتـ فـيـ ذـلـكـ سـاعـةـ وـهـيـ تـعـلـوـ فـيـ عـلـمـ الـحـيـالـ ثـمـ تـهـوـدـ إـلـىـ حـيـثـ بـدـأـتـ سـقـيـ صـدـرـهـ فـاحـسـتـ بـاـنـقـارـ كـلـيـ اـلـىـ رـيـحـانـةـ وـصـارـتـ تـسـوـقـ قـدـوـمـهـاـ عـلـىـ مـثـلـ الـجـرـمـ غـلـبـ عـلـيـهـ التـعبـ وـالـقـلـقـ وـهـيـ مـتـكـثـةـ فـاحـسـتـ بـالـنـعـاسـ وـشـعـرـتـ بـالـبـردـ فـالـتـفـتـ بـالـعـاـفـ وـنـامـتـ وـاـسـتـغـرـقـتـ فـيـ النـوـمـ وـقـدـ تـرـكـ الـبـابـ مـفـلـقاـ وـلـمـ تـوـصـدـهـ فـوـاهـتـ رـيـحـانـةـ لـتـقـدـدـهـ فـرـأـهـاـ نـافـخـةـ فـتـرـكـهـاـ وـمـضـتـ وـهـيـ أـكـثـرـ قـلـقاـ مـنـهـ لـاـسـطـلـاعـ مـاـ سـرـهـ

إليها الفتحاك وكانت على يقين أن سيدتها لا تكتم عنها شيئاً
وخلت نافذة إلى الغروب ففاقت على مشوشاء الخدم ففتحت عينها وهي تحسب نفسها
في السباح فهضت فرأته ريحانة جالسة بجانب فراشها ففتحت عينها وتلفت حولها
فأنيت أنها في الغروب فلما رأت ريحانة قالت لها « لقد أطاعت وغلب النهار على »
قالت « تخلفت عنك لستوعي سرك ثم جئت فرأيتكم نائمة »
فقالت « ما هذه الضوضاء التي اسمها؟ »

قالت « إن الأشياف في القاعة مع مولاي الدهقان والخدم في خدمتهم »
فلما سمعت ذلك اجفلت وأحسست بليل شديد إلى مشاهدة أبي مسلم وادركت ريحانة
غرضها فقالت « إن مولاي الدهقان سأله عنك فأخبرته أنك نائمة فهل تخفين الذئاب
إلى القاعة »

قالت « وماذا يفعلون بذلك؟ »

قالت « أظهم جاؤوا لوداع وهم على أهبة السفر في صباح الغد »
فوفقت ودنت من لراة المعلقة بالخائط لتصلح من شأنها ولم تصبر على ريحانة
لتصلحها فاسرعت هذه إلى المشهد فسرّحت شعرها وشفرته وأتتها بقارورة الطيب فتطيبت
ولبس ثوبها سااوي الألوان والتنت بشال موئي بالمارير وهي تشعر بمن التأثر وترتد
رعدة الحب وتنفاثر أنها إنما ترتد من البرد فجاءتها ريحانة بعطر من الخز الفتت به
فقطلي مهملة أتواها ومشت ريحانة بين يديها حتى دخلت القاعة من بابها السري وتناحت
ريحانة وأشرفت جلنار على الجلوس بحيث تراهم ولا يرونها فرأيت والدها جالساً على
وسادة في صدر القاعة وبين يديه محبون فيه مسك وهو يتاغل بتقنيت المسك بين أصابعه
وقد فاحت رائحة حتى تتضو المكان بها ورأيت أبي مسلم جالساً وقد بدأ بباب السفر
التي رأته بها بالامس يحمل على رأسه قلنسوة من خز أسود وفرق أوابه قباء أسود
فتقذرت ما سمعته عن الشعار الأسود الخاص باتحاد هذه الدعوة ورأيت خالداً بجانب
أبي مسلم ينزل إيماته وقد جلس على وسادتين متباين دلالة على علو منزلته عند صاحب
الشيافة ووقفت هنيرة وهي لا تمتلك نفسها من الرعدة فاتته لها والدها فنادها وأشار إليها
أن تجلس إلى بعض الأساطيل بجلست ولم تستسلم ولكنها كانت متوجة بكل جوارحها
نحو أبي مسلم لترى ما يجد منه بعد ما سمعته عنه فلما حضرت منه الثنائي لم تمهده من قبل
فأشعر صدرها وكانت قد أخذت باطراف الحديث قبل وصولها لفاطمهم والدها بالفارسية

فاثلاً « اراك مسرعين في الرحيل عنا ملوككم لم تر تاحوا الى ضيافتنا »
 فقال ابو مسلم « كلاماً يا حضرة الدهقان بل نحن لا ننسى حسن وفاديكم وتعني ان يكون سائر الدهاقين مثلكم »

قال « لا رب عندي انكم ستلافقون من اخواننا الدهاقين كل رعاية وسيكونون عوناً لكم في هذه الدعوة لانكم اغناتم دونن الى نصرتهم بل اتم تسعون في انشاء دولة سيكون لآل خراسان فخود عظيم فيها قوى تحكم العرب في شؤونها واستئثارهم بالاموال دوننا . فقد كنا من قبلهم وفي اوائل دولتهم نحن اهل السلطة والصحاب الحكومة فالذالوا ينزا عوتنا عليها حتى كادوا يحكمون فينا ولا يمر يوم لا يأتوننا فيه بضربيه »
 فقال ابو مسلم « واظن هذا هو السبب في بقاء معظم الدهاقين على الزردشتية او الجبوسية »

قال الدهقان « نعم هذا هو السبب وانا اعرف جماعة من هؤلاء لولا ظلم هذه الدولة واستبدادها لاعتنقوا الاسلام على ان بعضهم هم بالاسلام ثم عدل عنه ولا رب عندي افهم اذا آنسوا من حكامهم رفقاً لا يتختلف احد منهم عن الاسلام وانا اشمن ذلك اذا شئتم »

قال خالد « يكفيانا من حضرة الدهقان ان يبعث بعض اتباعه الى من والاه من الدهاقين ان يمحسووا القلن بدعوتنا »

الفصل الثالث والعشرون

الدهاء المتبادل

وكان ابو مسلم في أثناء كلام خالد ينظر الى جلنار من طرف خفي وهي تارة
 الاحفظ وقد كاد قلبها يطير سروراً لما رأته ي Prism لها واصبحت لا تبالي بما قد يحول بينها
 وبينه من المشاق واستقررت ترددتها في أمره بأثناء النهار — ولا غرابة في ذلك لأن
 الانسان اذا هاجت عواطفه اصابه ضرب من الجنون لا يقدر معه عاقبة ولا يخاف خطراً
 والحب سلطان مستبد اذا لم يتمرضه المقل جر صاحبه الى اكبر الكباير وهو لا يدرى .
 فكم من اديب عاقل تفوق عقوله في ساعه تغلبت فيها عواطفه فارتكب امراً جر عليه

الحراب او المار ايد الدهر وقد كان في حل من ذلك لو استطاع الصبر على عواطفه ساعة او بعض الساعة . ولو أعمات الفكرة في أكثر الجرائم التي يرتكبها البشر ويشقون بسبيها لرأيتها أنها حدثت في مثل تلك الغفلة . فلا غرو اذا هان على جنائار ركوب ذلك المركب الخشن في سبيل رضا حبيبها ولم يوزعها للاسهالاك في ذات الا بشامة خرفت احشائنا واصاعت رشدتها وهي مع ذلك تتجلد وتنتلاهر بخلو الذهن عن خافية ان يبدو ذلك لاحد الحاضرين

اما ابو مسلم فلما سمع كلام خالد قال « نعم يكفيانا ان يحسن الادهارين ظهم في دعوتا واذا رضي هؤلاء هان كل عسير ولم يهدى اليهمنا جند العرب ولو كثروا فان دواهم آخذة في الزوال »

فتقذر الدعكان ان هذا التعميم يشمل جند الکرماني لان جنده من العرب ولكنهم من عرب اليون خلافاً لجند نصر بن سوار قاتلهم من المفترية فقال « انتم تتعقى عرب مصر لان عرب اليون مخالفون لبني أمية »

فادرك ابو مسلم انه يمر من بالکرماني وتقذر ما سمه من الشياطين عن خطبة الکرماني جنائار فقال « ان الجنية ينصرون دعوتنا ويدعون لا براهم الامام فهم اعواصنا ونحن اعوانهم » اما اذا وقفوا في سيلنا ودعوا لاقسم او لرجل آخر فهم اعداؤنا والسيف بيتنا ويزبون »

فالحتاج قلب جنائار لهذا التصریح وتقذر شائما في ذات فاتحة لونها فباتت بالاتفاق بالشال وتشاغلت باصلاح المألف حوله يذكرها وتنتحت وهي تتظاهر بسماع داهمها فادرك ابو مسلم انها تختالبه قبسم وتشغل بمحك ذكره ثم قال ووجه خطابه الى الدعكان « اذا أصبحت صرفا فريسة وانتا وبين الکرماني او بيننا وبين شیان فهي الفائز منا بعد التنازع عليها »

وكان الدعكان منذ سبع قول ابي مسلم الاول بشأن عرب اليون يذكر في مصير ابته اذا تزوجها ابن الکرماني وهو يعتقد ان الکرماني اقوى وامتع من ابي مسام الکرتة جنده واستعداده وابو مسلم لم يجتمع عنده من الجند أحد بعد . فموال ان يمسك الطبل من العطريقين فاذاغل الکرماني كانت ابته عنده وطال بالصاعقة غرضه . وادا غلب ابو مسلم فمن على حياته وامواله بما ابداء من المساعدة . ولم يكن حازماً على نصرته حقيقة وانما وعده بالمساعدة خذلناه فقال « نعم ان الکرماني متلاه من حيث هبوشه على بني أمية

ورجاله من القبائل اليمنية وهم اعداء عرب هضر المغاربة في أمية . ولكن الكرماني عربي في الأصل وإن كان اسمه يوهم غير ذلك فخاف اذا فاز ان لا يكون لنا في دولته مصالحة وأمام أمته فانكم منا ونحن منكم ودولتكم دولتنا . نعم ان الدعوة باسم خاتمة عربى ولكنك سيمكن نصيراً لانا نصر ناد في دعوته . وزد على ذلك انه أوصى بإلادة العرب من خراسان على ما سمعناه من وصيته التي بعث بها اليك - ٠٠

فلم سمعت جلنار كلام والدها استبشرت وخيل لها انه غير رأيه في الكرماني واحتاج قلبها فرحاً وظهر ذلك في وجهها . ولو دخلت في الحديث معهم لما خفي حماها على أبي مسلم ولكنها كانت صامتة متزوجة لا تخسر على الكلام ثلاثة يدوئيَّة من عواطفها فيقتضي امرها عند والدها فيفسد عليها تدبرها

واما ابو مسلم فلم ينخدع باقوال القهور من كل الانخداع لانه كان أكثر دهاء منه وهو يديه الفلان باقرب الناس اليه ولا يأن أحداً على امره ولا يسلم سرمه الى احد بل كان يضمر السوء لكل انسان اذا لم ينفعه او ينصره فكان يقين الناس على ما يعلمه في نفسه — والناس مقطورون على حب الذات قلما يعملون عملاً الا وينظرون من وراءهم المصاححهم الحخصوصية وان تظاهروا بغير ذلك فلا يقوم أحد بنصرة الوطنية الا اذا توقيع منها فعلاً لنفسه ولا ينصر الحكومة الملائكة المصاححة ولا يسوي في قيام الجمهورية الا ما يرجوه من المصاححة فيها فالانسان لا يعدل عملاً كبيراً ولا صغيراً الا اذا توقيع الافتتاح به عجلأ او آجلأ حق الصلاة والمبادرة وكل عمل ادبي او مادي . واذا انكر احد ذلك فانه ينخدع نفسه او اهله او انه من العامة الذين يساقون سوق الاغنام في آرائهم ومذاهبهم . واما كلامنا عن خاصة الناس قادة الافكار . لان الناس من هذا القبيل ثبتان قلة قائد وفتاة مقدمة والثانية الاولى مخيرة الانقام واهل العقول الكبيرة واصحاب المطاعم فهؤلاء لا يقدرون على عمل الا وهم يرجون منه النفع لاقسمهم ولكنهم يختلفون في حدود مطاعتهم ففيهم من يربد النفع لنفسه وياب الشرر لسوءهم وهم اهل اختيار وفتاة لا يحبهم الا الوصول الى اغراضهم ولو تحظوا اليها على جيش الناس . وفيهم من لا يالي ان يتغطى الى غرضه على جيش اقرب الناس اليه وقد يضحي اصدقائه وخاصة اهل في هذا السبيل . وامثال هؤلاء كثيرون في تلك العصور واكثرهم يعذبون من عذاب الرجال وبئنهم ابو مسلم هذا فقد كان واسع المطاعم كبار الناس متصلب القلب لا يهمه الا بلوغ غاياته وهي النوز في دعوته فإذا اعترضه ظل اخيه قتل

اخاه ولو توه المظروف من اصدق اصدقائه يادر الى قتله عملاً بنص الوصية التي اوصاه بها الامام «من شرکت فيه فاقتله» فنـ كان هذا شأنه لا يحسن الظن في احد — فلما سمع مراجعـ الدـهـقـان افـلـهـ تـصـدـيقـهـ اـبـاهـ تـشـيـعـاـهـ عـلـىـ الشـبـاتـ فـيـ قـوـلـهـ وـهـوـ فـيـ الـاـقـاعـدـ يـعـتـقـدـ صـدـقـهـ وـخـصـوـصـاـ بـعـدـ انـ عـلـمـ بـخـطـبـةـ اـبـنـ الـكـرـمـانـيـ مـلـنـارـ فـكـيفـ يـزـوـجـ اـبـنـهـ مـنـ رـجـلـ يـعـتـقـدـ قـرـبـ مـقـبـلـهـ . . . وـلـمـ يـكـنـ اـبـوـ مـسـلـ مـيـهـولـ حـقـيـقـةـ حـالـهـ يـوـمـتـذـرـ وـلـيـسـ عـنـدـهـ مـنـ الرـجـالـ الاـ قـلـيلـ . فـلـاـ تـدـرـرـ ذـلـكـ حـبـتـ مـنـ مـقـعـدـهـ كـاـنـهـ اـتـيـهـ لـشـيـهـ نـسـيـهـ وـرـفـقـ فـوـقـ الـجـمـيعـ فـقـالـ اـبـوـ مـسـلـ لـلـدـهـقـانـ «اـسـتـوـدـعـكـ اللـهـ فـاـنـاـ نـيـتـ الـاـيـلـةـ عـلـىـ اـنـ تـرـحـلـ فـيـ بـغـرـ الغـدـ وـاـنـمـ نـيـامـ فـلـاـ نـسـ وـعـدـكـ فـاـنـاـ خـارـبـ فـيـ سـبـيلـ اـخـرـاـتـاـ الـطـرـاسـاـنـيـنـ وـسـائـرـ رـجـالـ فـارـسـ»

فـقـالـ «كـنـ فـيـ رـاحـةـ اـنـيـ باـذـلـ اـقـدـىـ الجـهـدـ فـيـ جـمـعـ كـلـةـ الـدـهـاقـينـ عـلـىـ نـصـرـتـكـ»

فـقـالـ خـالـدـ «اـذـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ فـاـنـكـ فـاعـلـهـ خـلـيرـكـ وـخـيرـ اـهـلـكـ» وـقـبـلـ انـ يـتـحـوـلـ اـبـوـ مـسـلـ مـنـ القـاعـةـ التـفـتـ اـلـىـ جـلـدـارـ وـكـانـ تـرـاعـيـ كـلـ حـرـكـةـ مـنـ حـرـكـاتـهـ وـتـدـهـيـ لـكـلـ قـوـلـ مـنـ اـقـوالـهـ فـلـاـ وـقـعـ نـظـارـهـ عـلـىـ نـظـارـهـ توـهمـتـ اـنـهـ اـيـسـمـ لـهـ وـاـنـهـ وـعـدـهـ بـالـلـقـاءـ الـقـرـيبـ اـعـتـادـاـ عـلـىـ رـمـالـهـ اـلـيـهـ عـلـىـ يـدـ الـفـحـاحـ فـزـادـ هـيـامـهـ بـهـ وـاحـسـتـ وـهـ خـارـجـ كـاـنـهـ اـخـلـعـ مـنـ قـلـبـهـ وـلـكـنـهـ عـلـاتـ نـفـسـهاـ بـاـ سـمـعـهـ مـنـ وـالـدـهـاـ مـنـ تـحـقـيرـ اـمـرـ الـكـرـمـانـيـ وـاعـظـامـ اـمـرـ اـبـيـ مـسـلـ وـحـدـثـهـ تـسـبـهاـ اـنـ وـالـدـهـاـ قـدـ غـيـرـ رـايـهـ فـيـ خـطـبـتـهـ

الفصل الرابع والعشرون

الخيبة

وـخـرـجـ اـبـوـ مـسـلـ وـخـالـدـ وـالـفـلـانـ بـالـشـمـوـعـ بـيـنـ اـيـدـيـهـ حـقـ بـلـاـ مـيـةـهـ وـظـلـاتـ جـلـدـارـ فـيـ مـكـانـهـ تـتـنـظـرـ اـلـظـاءـ بـوـالـدـهـاـ لـعـلـهـ يـبـدـيـ مـاـ يـأـمـلـهـاـ . فـلـاـ عـادـ مـنـ وـدـاعـ الرـجـلـيـنـ وـرـأـهـ اـيـسـمـ لـهـ وـدـنـاـ مـنـهـ حـقـ جـمـلـ بـنـاءـ عـلـىـ كـتـنـهـ وـهـ يـتـبـعـ اـبـوـ مـسـلـ بـنـظـارـهـ وـبـقـولـ «مـلـلـاـ قـلـمـ وـلـمـ قـنـعـلـواـ . . .

فـلـمـ يـمـجـدـهـ قـوـلـهـ لـانـهـ دـلـ عـلـ اـنـكـارـهـ اـمـ اـبـوـ مـسـلـ فـتـجـاهـاتـ وـقـالـ « وـمـنـ هـؤـلـاهـ يـاـ اـبـيـ »

فـقـالـ هـؤـلـاهـ اـهـلـ بـيـتـ اـبـيـ فـاـنـهـ مـاـ زـالـواـ مـنـذـ مـلـكـ بـنـ اـمـيـةـ زـمـامـ الـمـلـكـ وـهـ بـيـنـونـ

الدعاة يدعون الناس الى انفسهم فـ**فَيَا يَتَّا هُولَاءِ كَمَا أَبْوَ مُسْلِمَ الْيَوْمَ فَهُنَّ حَسِنٌ وَفَادِهِمْ**
وندفع اليهم المال وننصرهم جهداً ثم لا ثبات ان نسمع بذهاب دعوهم وان الامورين قتلوا
صاحب الدعوة او صلبوه فيقوم سواه • وهكذا • وكانت الدعوة قبل ابناء بنت النبي وأما
اليوم فـ**فَاتَّمْ يَدُعُونَ لِابْنَاهُ عَمَهُ • وَلَرِبِّ عَنْدِي أَنَّ هَذِهِ الدُّعَوَةَ سَاقِطَةٌ لِبَيْنِ مَهْمَيْنِ**
الاول لأن تقل هذه الدعوة من آل أبي طالب الى آل العباس يوضح غضب الطالبيين كافة
وهم اصحاب هذه الدعوة وأهل خراسان لا يعرفونها اسواهم • والسبب الثاني أن هذا
الغلام مغدور بنفسه يريد ان يحارب هذه الدولة بسبعين رجلاً او مئة رجل • • •

وكانت جلنار تسمع كلام والدها باصناء واستقرار ولو اتبه وهو واضح يده على
كتفها لشعر يشعرها اعتزتها عند ساع قوله • وخافت هي ظهور ذلك منها فتظاهرت
باصلاح شعرها وتخلصت من يده وبجدت وقالت • **سَعْتُكَ آتِيرِيْهِ وَتَعْدِهِ بِالسَّاعِدَةِ**
وَتَؤْمِنُهُ بِالنَّصْرِ • • •

قال وهو يضحك **وَمَا الَّذِي خَسِرَتِ أَلِيسْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ أَعْدِيهِ أَوْ أَعْتَرِضُ**
على رأيه وهو كاعلمت شديد الوطأة لا يالي بالعواقب وإذا عادانا لا تكون في مأمن من
اذاه • وزد على ذلك اني لا اقول بفشل هذه الدعوة قطرياً اذا لا آمن ان ينقلب الامر
الى عكس ما أراده فيكون لنا عند ابي مسلم شفاعة لاعتقادي اتنا على دعوه • وإذا كانت
القبلة للكرمانى كنتر لنا شيئاً عنده • • • قال ذلك وكشاغل هنئه بالشمال وتخنج ثم
اتم كلامه **فَاتَّلَأَ** **أَمَا نَصَرُ بْنُ سِيَارٍ فَانَّهُ مَقْلُوبٌ فِي كُلِّ حَالٍ لَا يَنْسَاطُ بَيْنِ أَمْيَةِ ذَاهِبٍ**
لا حالية وستقسم مملكتهم الواسعة الى دول صغيرة يملكونها أمراء مستقلون كما حدث
لملكة الفرس بعد الاسكندر اذ ملكها ملوك الطوائف • وفي اعتقادى ان خراسان
ستكون احدى تلك الممالك وسيملكونها الكرمانى كما قلت لك غير مررة والمائل من اغتنم
الفرص عند سوحها • وكأنه تذكر وصية ريحانة ان لا يقع على ابنته بشأن ابن الكرمانى
وان يترك امرها اليها فقال **« حَلَمَّ بِنًا إِلَى الْمَائِدَةِ تَنَاهُوا عَنِ الْمَائِدَةِ**
ومشي وهو يجر عطره ويختظر في مشيته والخدم يقفون له اذا مر بهم وجلنار تسير في
آخرة حتى وصل غرفة المائدة وقد اعدت فيها المائدة على خوان فوق البساط وعلى
اصناف الاطعمة والاشريه والفاكهه • وكان الدهاقين اهل ترف وتألق شأن اهل التروء
والتفوز وخصوصاً في تلك الاعصر — وكانت جلنار في أثناء الطعام لا تكلم وإنما تلهمي
بالطعام عن غير قابلية وافكارها تذهب في ابي مسلم وهي تتصوره خارجاً من القاعة

وعليه تلك الحلة السوداء بعد ان نظر اليها انفارة الاخيرة . فلما تذكرت انه ذاهب في الفجر وان رداء الا اذا قدّر لها لقاومه وهي تحسب ذلك بعيداً سبباً وتفتت اللقمة في حلقها ودهمت عينها رغم ارادتها . فشاررت الى أحد الفادان الوقوف المخدمة بالمال فجاءها بكأس من القهوة فيه ماء فشربت وهي تتغاضر ان عينها دمعتا من النعمة وودعت الفراغ من الطعام والذهب الى غرفتها للابحث عن ريحانة ليث شوكاها والمداولة في امرها ولم تكن ريحانة تأكل ممهم على مائدة واحدة فتناهى عنها جاندار ايتها تأملت من تلك النعمة وازعجت والقصت الذهب الى فراشها قبل الفراغ من المائدة لأن التأني يدعو الى المعاولة في الاكل والشرب . فاذن لها فأسرعت الى غرفتها فوجدت ريحانة في انتظارها هناك فجلستها بالمداولة

الفصل الخامس والعشرون

الرِّحْيلُ وَالظَّهَارُ الدُّعَوَةُ

فانقركم بما في حدبيها لا انه يطلول ولتمد الى ما كان من أمير ابن مسام بعد خروجه من حضرة الدهقان فإنه استقدم كبار القبائل اليه وهم اثناء عشر كان خند بن علي والده ابراهيم الامام قد اختارهم في اول الدعوة نحو سنة ١٠٠ هـ قبل ظهور ابي مسلم وتأميره عليهم وأكثرهم عرب يمانية وكثير من اصحاب القواد من جماعة سليمان بن ابي شيبة وكان يومئذ في سفييفيتش كذا تقدم وهم ابو الحكيم عيسى بن اعين وهو في « قذيب » التي هي ساورةون اليها وكان من جهة الذين حضره تلك المائدة قحطانية بن شبيب الماتاني ولاهن بن قريظة القميي وابو داود الذي تقدم ذكره ونصر بن سعيد التبعي وشريك بن عضبي التبعي وعبد الرحمن بن سليمان^١ وكان من جملة رجال تلك الدعوة من الفرس خالد بن برمك وابو عون الحراساني وكذا في جهة الحضور تلك الزيارة فتناولوا المشاه مما اعدوه خدم الدهقان كالعادة . فلما فرغوا من الطعام قال لهم ابو مسام « اعلموا اني ناهضون في صباح اللذ الذي قذيب اذ سرل فيها على اخيها ابن الحكيم عيسى بن اعين القبيط وحذك تنظر في توجيه القواد الى الشيعة في الاطراف فناهبوها لانهوض باكراً واصروا

(١) ابن البارج ٥

رجالكم باعداد الاحوال اللازمه حتى تقوم من هنا في الفجر ونصل « قين » في الفجى «
 فتحادنوا في ذلك ملائكة ثم هضروا الى خيامهم واصبحوا في النجر وقد تأهلا بالرحيل
 وكانت مياه المطر قد جفت واعتدل الطقس ولكنهم لم يستقتو اعن الاكتاف بالمعي والفرو دفعتا البرد
 وصلوا « قين » في الفجى وقد اشرقت الشمس ودفقات الطبيعة فنزلوا هناك على
 عيسى بن اعين فصبوا الحيات للرجال وتزل ابو مسلم وخاصة الذين ذكرناهم في
 بيت عيسى المذكور في شعبان سنة ١٢٩هـ وفي حال وصولهم عقدوا جلسة افروا فيها
 على انفاذ القباء الى الاطراف لاظهار الدعوة وجمع الرجال للحرب . وكانت تلك الجلسة
 في قاعة غصت بالصحابيين الاصحاحيين وكثيرون ينقادون لرأي ابي مسلم وهو شاب كاحد
 اولادهم ولكنهم كانوا لا يرون بدلاً من امر الامام لانهم اثنا قاموا يدعون له ويمقدون
 صدقة وياطلون برأيه . فلما اجتمعوا وتأدواوا أخذ ابو مسلم في توجيههم فوجه ابا اداود
 القبي وعمرو بن اعين اخو عيسى الى طخارستان فعادون بلخ . ووجه نصر بن صبيح
 وشريك بن غضي التميمي الى من و الروذ (غير من و الخاصرة) . ووجه عبدالرحمن
 ابن سليم الى الطالقان . ووجه الحبيب بن عطية الى خوارزم وأرسل غيرهم ايضاً واصاهم
 جميعاً ان يظهروا الدعوة في رمضان تحسين بقين منه الا اذا انجامهم عدوهم دون الوقت
 بالاذى والمكره فقد حل لهم ان يدفعوا عن انفسهم وبجردوا السيف وبمجاهدوا
 اعداء الله ومن شغله منهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم ان يظهروا بعد الوقت
 واوصاهم بالصبر والثبات فنهضوا

وظل ابو مسلم في قين الى أول رمضان ثم هض بن يقي من رجاله حتى تزل سفينته
 في اليوم الثاني من رمضان وفي سليمان بن كثير الحزاعي المقدم ذكره فاشرقوا على
 صرو عن بعد لانها في سهل واسع مستو مخاط بالطيال حتى لا يرى المقيم فيها جيلاً^(١)
 وليس في شيء من حدودها جبل وارضاً سبخة كثيرة الرمال
 فلما تزل ابو مسلم سفينته استقبله سليمان بن كثير ورحب به وبرفقه وازله هو
 وخالد عنده وتزل الباقيون في الحيات ولبئوا ينتظرون اليوم العين لاظهار الدعوة يوم
 ٢٦ رمضان اي تحسين منه وهو اليوم الذي امر قواده باظهارها فيه

وفي اليوم التالي من وصوله هناك وقف هو وسليمان وخالد في مكان يشرفان منه
 على صرو وما حولها . فرأواها محاطة بسور من طين وفي وسطها بناء هائل هو قهندزها

اي قامها وهي في الكبر مثل مدينة حالية يراها القادم عن بعد . فقال أبو مسلم « اني لاستغرب امر هذا القهندز لضخامته وكبره وعلوّه »
 فقال سليمان « واغرب من ذلك انهم ساقوا اليه الماء من التهر بقناة على قاطر وقد دخلته مرّة فرأيهم قد غرسوا على سطحه مباظن ومباقل وغير ذلك فاذا مثثت هناك توهنت اشكاني في بستان على قمة جبل »
 ورأى أبو مسلم خياماً خارج الدور بريات مختلفة الالوان والاشكال فذكر ما سمعه من صاحب خبره عن الکرماني وشیان فقال سليمان « هذان المعکران للكرماني وشیان »

قال « قم وها يخاريان نصر بن سيار ورجلاهما كثيرون في المعکران »
 فقال أبو مسلم « كانك تخاف قلة عددهما سترى اتنا كثيرون باذن الله »
 الا ترى ان بنت دعاتها في هذه القرى حول مرو ؟
 قال « تفعل حسناً ايها الامير لان اهل هذه القرى ملؤا نعدي العرب على اغرائهم وهم لا يفرقون بين اليهودية والمصرية واغرا يعروفون ان العرب يظلونهم وان الناس خيرا منهم فاذا يثنوا الدعا على هذه الصورة اجابونا »

فذهب أبو مسلم الدعوة وبث جائعتهم في القرى المجاورة يدعون الى ابراهيم الامام تحت ظل أبي مسلم الظراساني بقائهم في ليلة واحدة اهل ستين قرية^(١) وظلوا على نحو ذلك الى ميعاد اظهار الدعوة . وكان أبو مسلم يقبّلهم صرفاً ثم يردهم الى قرام الى ان يجئن وقت اظهار الدعوة فيدعون اليه بنيان يوقدها علامه القديوم
 وفي ليلة الخميس ثلثين بقين من رمضان من سنة ١٢٩ هـ احتفل أبو مسلم بذلك احتفالاً رسمياً بفتح كبار الدعوة في ساحة بين بدبي سفينطي . وكان اول علامات الاظهار انه عقد اللواء الذي جاءه من عند الامام واسمها « الفل » على رمح طوله اربع عشرة ذراعاً وعرضه امام المنزل الذي يقيم فيه وجاء بفتح آخر طوله ١٣ ذراعاً عقد عليه الرأية التي سماها الصحاب - فعل ذلك في مشهد مورق حضره القباوه وهو يتناول « اذن للذين يقاتلون بأنهم خلوا وإن الله على نصرهم لقدير »
 ولما فرغ من تلاوة الآية التفت الى القباء وقال « اتعلمون لما ذا سمي مولانا الامام هذه الرأية الصحاب ؟ »

قالوا « لا »

قال « اشارة الى ان السحاب يطابق الارض . وهل تعلمون لما ذكرتني « هذا اللواء بالظل ؟ »

قالوا « لا »

قال « لان الارض لا تخلو من الظل وكذلك الارض لا تخلو من خليفة عبامي ابد الدهر »

ثم جاؤه بالالبسة السوداء وسمونها السواد فلبسوها رسميًا واول من ليها ابو مسلم سليمان ابن كثير واخوه سليمان ومواليه ومن كان اجاب الدعوة من اهل سفيذخ وسائر الدعاة ثم اوقدوا التبران على حسب الاتفاق مع الشيعة الذين بايعوا فجتمعوا اليه حين اصبهوا وكان اول من قدم عليه اهل التقادم مع ابي الوضاح في تسعائة راجل واربعة فرسان ومن اهل هرمزفه جماعة وقدم اهل التقادم مع ابي القاسم نعمر بن القاسم الجبواني في الف وثمانمائة راجل وستة عشر فارسًا فيهم من الدعاة ابو العباس المروزي فعمل اهل التقادم بكترون من ناحيتهم ويجيئهم اهل التقادم بالكترون فدخلوا عسكراً الى مسلم سفيذخ بعد ظهوره يومين وحصل ابو مسلم حصن سفيذخ ورمد وسد دروب الخلدة

الفصل السادس والعشرين

ابن الحب من اطلي

فلا حضر عبد النطير امر ابو مسلم سليمان بن كثير ان يهلي به وبالشيعة ونصب له منبراً بالمعسكر وامره ان يبدأ بالصلوة قبل الخطبة بغير اذان ولا اقامه وكان بنو امية يداون بالخطبة قبل الصلاة وبالاذان وبالاقامة . وامر ابو مسلم اياها سليمان بن كثير بست تكبيرات تباعاً ثم يقرأ ويرجع بالسابعة ويكرر في الركمة الثانية خمس تكبيرات تباعاً ثم يقرأ ويركع في السادسة ويفتح الخطبة بالتكبير ثم يختتمها بالقرآن . وكان بنو امية يكترون في الاولى اربع تكبيرات يوم العيد وفي الثانية ثلاث تكبيرات فلا فرقى سليمان الصلاة الصرف ابو مسلم والشيعة الى طعام اعد لهم ^(١)

(١) الطبرى ج ٣

وكانت المائدة التي اعدها سليمان في فسطاط كبيرة بجانب المعكرونة فجلسوا حولها مستبشرين . وابو مسلم في صدر المائدة ساكت منكر كعادته يتناول القمة في اثر المائدة على مهل وعيناه تنظران الى ما بوراء الباب من السهل الواسع الذي لا يقف البصر في آخره على غير الافق . وحوله النقباء والامراء وكلهم هائرون منظرة وفيهم من يذكر في ما يهددهم من الحرب العظيمة

وبعد الفراغ من الطعام وقد مالت الشمس عن خط الماجرة نهضوا لتدبر شؤونهم وكل في شاغل من امر نفسه او اهله الا ابا مسلم فلم يكن ^{هم} الا تدبر ما اجتمع اليه من الناس وهم كثيرون بالنظر الى قصر المدة التي اجتمعوا فيها ولكنهم قليلون بالقياس على رجال نصر في مرو ورجال الكرمانى وشيان خارجها . وكان ابو مسلم لا يخلو الا ومعه خالد ابن برمث فقد كان مقر ثقته ومستودع اسراره فلما خرجوا من فسطاط المائدة انصرفوا ^{هم} الى جانب من المعكرونة مرتفع يشرفان منه على مرو وضواحيها وعلى معسكرها

فلما رأى ابو مسلم قلة جنده بالنسبة الى اولئك التفت الى خالد وهو يزوج عمامته نحو الوراء وبيس ^{هذا} وذلك نادر منه فاقبل خالد نحوه بكابوس ^{كانه} يتأهب لتنفيذ امره فقال ابو مسلم « الا تخيفك قلة جندنا وكثرة عدونا ؟ »

فبush خالد وقال « لا تخيفني شيء واتت اميرونا واليك قيادتنا وقد استبشرت اليوم بكثرة من جاءنا من الشيعة على قصر مدة ظهورنا

فقطع ابو مسلم كلامه وقال « صدقت ولكن الغلبة ليست بالكثرة واغاثي بالتدبر والاتخاذ . فعم ان اعدانا كثيرون ولكنهم احزاب متفرقة قد يفني احدها الآخر قبل خروجنا اليهم . وربما كان لنا من منهم عون ^{عليهم} اليك اليمن مع الكرمانى ومضر مع ابن سبار والخوارج على الاثنين ؟ ساريك صير هو لاه جميعا ثم وقع نظره وهو يتكلم على سواد قادم من عرض الافق وغير متبع اعاد فدرس به واستبشر فابتدره خالد قائلاً « اظن جماعة من شيعتنا قادمين لنصرتنا

فلم يجيء ابو مسلم وظل متفرساً هنئه ثم قال « لا أرى أعلاماً سوداً فلا اظن القادمين شيعة لنا » ولبثا هنئه أخرى فاكتشف القبار عن قبة علي فيل أيض كبر وحول القبة بضعة فرسان يسرى في ركبائهم جماعة من العيد ووراء القبل جال ^{عليها} احوال الآية والفرش وغيرها . فاستغرب بذلك وزاد استغرابهما لما رأيا الموك بتجهيزاً نحوها فعلا ينظران اليه لعلهما يتبنان شيئاً من أمره فإذا بتلك القبة مصنوعة من الدجاج الآخر وقد

تدلت استارها حتى لا يظهر شيء مما في داخلها وحول عنق الفيل وعلى جبهته وفي مقدم صدره عقود وأوسمة مرصعة بمجاراة كثافة الألوان تسللأً بنور الشمس وقد كي ظهره وجوانبه بالديباج الاصفر الزاهي . يعود الفيل رجل طويل القامة عليه عباءة وعمامة ما بليث ابو مسلم ان رأء ما اقترب حتى عرفه وهو الضحاك فنذكر حكاية جلنار وخطيبها الى ابن الكرماني وما كان من حديثه بشأنها فاجفل لاول وهلة لامه فتبا مزفوفة اليه . فاذما بالضحاك قد عهد بعقود الفيل الى عبد كان بمحابيه وأسرع نحو أبي مسلم متأدباً حتى اذا وقف بين يديه حياه تحية الامراء وهم بتقبيل يده فتعجب ابو مسلم وابتدره قائلاً « ما شئت ؟ »

فضحك الرجل وقال بصوت ضعيف « لا تخف ليست مزفوفة اليك » ثم رفع صوته وقال « ايس هذا عسکر ابي علي الكرماني ؟ »
 فصاح خالد فيه « قبحك الله الا ترى الاعلام السوداء ؟ »
 فظاهر الضحاك بالاستغراب وقال « لقد أخذناااا الطريق أظن عسکر الكرماني ذاك
 وأشار بيده اليه ثم تشاغل بحث ثغراً عنقه وظل واقفاً مطرقاً
 فقال خالد « نعم »

وادرك ابو مسلم بما بينه وبين الضحاك بشأن جلنار انه لم يأت اليه الا لفرض فشى وبعده الضحاك وظل خالد في مكانه فاما اخراً قال الضحاك « ان هذه المسكنة مزفوفة الى ابن الكرماني رغم ارادتها وقد اوصتني ان احتال لها في الدنو من عسکر لكي ترك لان قلبها » وتنحنح ثم قال « واذا أرسلت نظرك الى القبة رايتها تنظر اليك من خلال الستور خاصة فاظظر اليها من باب العلم بالشيء » وضحك

فرفع ابو مسلم نظرة الى القبة وكانت قد صارت على نحو حسين خطوة منه فرأى وجهها محلاً من خلال الستور اذا شئناه بالقفز ظلماته لأن القدر حقيقة لا ماء فيها ولا حياة ولو كان لابي مسلم قلب يهوى ما استحق بعواطف تلك الفتاة المسماة . ولكنكه خلق من عقل ودهاء وطعم وكرياء وابعد قلبه عن حمية النساء . ولا نقول قلبه عرف نوعاً من انواع الحب وانما هو قلب يهوى العلى ويهوى سفك الدماء ولا يحكم في نفسه الا عقده من حيث الدهاء الهاسماً لما يتوقعه من الظاهر القريب

اما تلك الفتاة المفتونة فقد خافت وفاتها كغير ولم تتحرك عواطفها قبل ان عرفت ابا مسلم والحب كله رجاء والحب واسع الامل وقد زادها الضحاك أملاً بما قله اليها من حب

أبي مسلم فاسة سهلت كل صعب في سبيل مرضاته فقللت أمر أيها ورضيت بالزفاف إلى ابن الكرماني تقرباً من معسكر حبيبها وعملاً بارادته ، وأوصت الضحاك أن يختال في الوقوف هناك، ليعلم أبو مسلم أنها جاءت إلى الكرماني صورةً وإن قلبها مع أبي مسلم . فلما رأته ينظر إلى قلبها احتاج قلبها في صدرها وتوهت أنها رأت أباً مسلماً يبتسم لها وبمحبها فدمعت عيناهما وأرخت السر وتحولت إلى الداخل وريحانة معها ولم يخفَ عليها شيء لا من أمرها أما الضحاك فإنه حتى رأسه بين يدي أبي مسلم وقال « ثق بعبدك ولكن على قيئناني سأخذك بما يسرك »

الفصل السابع والعشرون

سياسة التقسيم

ثم جاء وتحول وهو يقول بصوت عال « فبحن إذا قد أخطأنا الطريق إلى معسكر أبي علي » هلم بنا ياقوم إلى تلك الأعلام البوية فإن الكرماني هناك « »
ولما وصل إلى القبيل تناول المقدود وأشار إلى بعض العبيد فانطلق مسرعاً يعدو نحو معسكر الكرماني ينبعهم بقدم المuros ليستقبلوها وكان الكرماني قد كتب الكتاب في منزل الدھقان قبل ذلك اليوم ودفع المهر وابرم الاتفاق
أما خالد فإنه ترك أباً مسلماً يخاطب الضحاك وانصرف نحو المعسكر فرأى رجالاً مسرعاً نحوه وهو يقول « أين الأمير؟ »
قال « وما الخبر؟ »

فأشار يده نحو مرو وقال « إن الحرب قد انتشت بين الكرماني ولنصر »
فالتفت خالد إلى مرو فرأى الفرسان قد خرجت من المدينة ومعها أعلام بني أمية وخرج إليهم رجال الكرماني بعلامتهم وقد تطايرت النبال وأشتبك القتال . وكان أبو مسلم قد أقبل نحو خالد ورأى مثل ما رأى ففرح وصاح « لقد أزفت ساعة العمل »
قال خالد « هل تستعد للهجوم إبها الأمير؟ »
قال « أحذر أن تفعل إنما شأنا اليوم الصبر لبرى عافية هذا القتال »

قال « ألا نقتضي اشتغال نصر بالحرب ونهاجم على المدينة »
 قال « اذا هبنا لا نأمن ان يعود العدو ان عالينا ولكن نذهب الى الغد » قل ذهبت
 ومضى الى منزل سليمان بن كثير فرأى النقباء قد أتوا هنالك وهم يسألون عن أبي مسلم
 وكاهم يرون رأي خالد بالهجوم « فلما أقبل ابو مسلم عليهم استشاروه فتح رأيهم
 وأمرهم بالربيع فسكتوا وأطاعوا
 فلما غربت الشمس تراجع الحشيشان وأمسكا عن القتال ورجع كل منها الى مكانه
 والقباء يرون أبي مسلم قد أخطأ لقاءه عن اغتنام تلك الفرصة وهو لا يقول شيئاً « فلما
 أمنى المساء طلب الخلوة بخالد وسلمان وأمر سائر النقباء ان يأتوا على حذر
 فلما خلا بخالد وسلمان هم « ان يكشفهم بما في ضميره فسمعوا طارقاً يطرق الباب
 ففتحوا له واذا بفارس ومه رجل موثق بعنته والفارس يقول « قد قبضنا على هذا
 الرجل ماراً في معسكرنا وليس هو منا » فلما رأه أبو مسلم بنور المصباح فصاح
 به « الفتحاك ؟ »

فقال « نعم يا مولاي »
 فشار الى الفارس فتركه وانصرف ودخل الفتحاك خلوا وثاقه وسأله عن أمره فقال
 « هل أتكلم ام تاذن بخلوة ؟ »
 فادرك انه يريد الخلوة فشار الى خالد وسلمان فذهبوا الى غرفة أخرى وجلس أبو
 مسلم على وسادة وأمره ان يجلس وقال « قل ما وراءك »
 يجلس الضحاك جائياً متأدباً وقال « اسمع لي يا مولاي ان اني على ترسبك الآية
 وقد كنت خائفآ ان تأسى جندك بالهجوم »
 قال « لا تخاف .. ثم ماذا ؟ »
 قال « هل أخاسرك رأي أبيديه ؟ »

قال « قل بارك الله فيك ... ما أسرع ما اطلعت على الحقايا »
 قال وهو لا يضحك « قد رأيت يا مولاي أمراً هالئي وخفت طافته على رجالك »
 قال « وما هو »

قال « وصلنا بالعروس الى فساطط الكرمانى فإذا هو قد ركب لخاربة نصر بن سبار
 صاحب مرس ووايته على ^جمعه اعني العرس المبارك (وضحك) فاتزل العروس في خباتها
 بين عيدها وجوارتها وخرجت لاستطلاع الاحوال فرأيت جند الكرمانى كبيراً وكاهماً من

رجال الدين الاشداء وفيهم العدة والتجدة وربما زادوا على خسارة اضطراف رجالات وابا خرج رجال نصر لقتاله رأيتهم ايضاً كثاراً ثقفت ان يفرك ذاك فتخرج برجالات للحرب وأما لا احسن لك القوز لعامي ان الجندين وان تباينت عصبيتهما بين الدين وضر فائم جميعاً من العرب فاذا رأوا الحرسانين يحاربونهم انحدروا عليهم

قال « صحيح أيه قل »

قال « فرأيت ان خير ما فعله الان ان تكون البنضاء بين هذين الجيشين »
فاستغرب ابو مسلم قوله واعجب بسداد رايته لأن هذا هو الرأي الذي كان قد عزم عليه وقال « ذلك هو الرأي الصواب يا رجل وهو الذي عزمنت عليه ولكن ما هو الطريق الى القاء الفتنة الاليلة حتى تم لنا الحيلة في صباح الغد »

قال « أستشيرني يا مولاي ؟ »

قال « لا بأس من المشورة فانها آمن عاقبة فاذا لم يعجبني رايتك رجمت الى رايي »
فأخذ الفحراك يبحث جانب رأسه يأخذ يديه ويده الاخرى على عاتقه يستدتها لثلاث ثغور ثم ضحك وقال « اكرم بك يا فحراك . . . ان الامير يستشيرك . . . ثم عاد الى حياده الجلد وقال « الرأي يا سيدى ان تكتب كتاباً تجعل عنوانه الى شبيان الحروري صاحب الجندي الآخر المعسكر وراة الكرماني . . . وتقول في عرض خطابك الى شبيان المذكور ما معناه » « ان قبائل الدين لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تيقن بهم ولا تظهر اليهم فاني ارجو ان يكتنك الله منهم واذا بقيت لا ادع لاهل الدين شرعاً ولا خلfraً او نحو ذلك مما يدل على انك تكره الدينية ولا ترجو خيراً منهم وترسل هذا الكتاب مع رسول تأمره ان يجعل طريقته الى معسكر شبيان من جهة معسكر المقربية اصحاب نصر بن سيار . . . فهم طبعاً سيستغشونه ويتفاخرون عليه ويأخذون الكتاب منه فيفتحونه ويطلعون عليه فيقوم في تقويمهم انك معهم قليلاً وقالوا فيميلون معك وتقوى تقويمهم على الدينية . . . واكتب كتاباً آخر الى شبيان ايضاً على نفس هذه الطريقة ولكنك تطعن فيه بالمقربية وتقول عنهم مثل الذي قلته عن الدينية بذلك الكتاب . . . وترسل هذا الكتاب مع رسول يجعل طريقته من جهة معسكر الكرماني وهم ينتظرونكم الرسول ويطلعون على الكتاب فيرون انك معهم على المقربية وتقوى تقويمهم بك ^(١) فاذا اثبتتك القتال في الغد واردت النزول كان الفرقان معك وضحك

شحنة طويلة فلم يتقاول أبو مسلم عن عجاراته في الفحشك ولو قليلاً وقد ابتهلت نفسه بذلك الدهاء وقال إنك لثأنا يا رجل وما أنت ضحاك كأن تظاهر نفسك .. أفي فاعل كأنما شرت الساعة ثم نهض ليأمر الكتاب بذلك فتعاقب الفحشك بذيله وقال « وانا ما ذا اعمل ؟ » قال « تأخذ هدية جزاً صدق خدمتك »

قال « هدية ! أفي لا ينس على خدتي اجرأ . وع ذلك فاني لم افعل شيئاً استحق عليه اجرة ولعلي استطيع ذلك بعد الان فانا منصرف الساعة الى مولاتي المحققانة وسابقها سلامك وامتنانك ليس لأنك تحبه ولكن لأن ذلك يسرها وينش كرها من رؤبة عريتها الاعور

قال « ومن تعني ؟ »

قال « اعني علياً ابن الكنمني فإنه نصف اعمى فضلاً عن غرابة شكله وهو مع ذلك زوجها بعقد مكتوب وهو مدفوع وسترى كم ينفعنا هذا العقد الان بامرك وسأريك بالاخبار عند الحاجة »

ثم وقف فقبل يدي أبي مسلم وخرج مهرولاً

الفصل الثامن والعشرون

المرب

اما ابو مسلم فدقق بخاء خالد وسلیمان وامر بالكتاب بخاء فاخبرهم عما عزم عليه من الخاتمة على الكيفية التي تقدم بيانها وامر على الكتاب فكتب كتابين الى شباب اخارجي وسلهما الى رسولين من اصحاب الخبر البارعين بالجاسوسية وامر احدهما ان ير بعضك نصر ابن سيار والآخر يمسك الكنمني ومق قرئ الكتابان برجمان بها اليه ولا يوصلها الى شباب فساد الر Sloan وفعلاً كما امرا

فلا افلع الكنمني على احد الكتابين وفيه ما فيه من نعمة ابي مسلم على قبائل مفسر توم ان ابا مسلم معه على المشرية . ولا افلع نصر بن سيار على الكتاب الآخر قوم ان ابا مسلم معه على الجهة فقويت نفس كل منها على قتال صاحبه . وكان ابو مسلم في اثناء اقامته هناك

قد كتب الى الكور يا فهار الامر فسود (لبس السواد) جماعة كبيرة في نسا وايورد ومردو الروذ وكثير من قرى مرو واقتربوا اليه تباعاً

في صباح الغد عاد الجيشان الى الحرب بقلوب قوية وهمواها مع اليه مسلم . ولاتمام الخليفة كتب ابو مسلم الى كل من نصر بن سيار والكرمياني كتاباً خصوصياً يقول فيه « ان الامام ابراهيم (صاحب الدعوة) قد اوصاني بك وبرجالك خيراً ولست اعدوا رايتك » فتزداد التريقان رغبة فيه ورهبة منه وزادت قلمة كل منها على ماجه فما اعتمد القتال ركب ابو مسلم بن معه من النقباء والاتباع وافتيل على المغاربين فلم يتعرض لهم احد بسوء فنزل بين معه بين خدق الكرماني وخدق نصر وهابه التريقان . ورأى بدھائه ان يجري الكرماني حق يعرضه للخطر فبعث اليه « اني معك » فقبل الكرماني ذلك بسرور فاقسم ابو مسلم اليه فعلاً فاشتد الكرماني به

فلا رأى نصر ذلك ادرك حيلة اليه مسلم فبعث الى الكرماني يقول له « ويحك لا تفتر فوالله اني مختلف عليك وعلى اصحابك منه فادخل مرو ونكتب كتاباً يهتنا بالصلح » وكان غرض نصر ايضاً ان يفرق بين الكرماني والي مسلم فلما سمع الكرماني كلامه رجع الى صوابه وخاف ان يكون نصر مصيباً فدخل الكرماني قطاعه وظلل ابو مسلم في العسكر

ثم خرج الكرماني حق وقف في الرحبة بين المعكرين في مابة نارس وعليه قرطاق وهو قبائل ذو طاق واحد وارسل الى نصر يقول « اخرج لكتاب يهنا ذلك الكتاب » فلما رأه ابو مسلم يقول ذلك خاف جبوط سباء . وكان ابو مسلم وافقاً على جواهده وعليه درع كاملة تعطي جميعه وبعض الجواود لا يالي بتساقط النبال عليه فلما ترند عنه خائبة . ويفتا هو في تلك الحيرة ابصر رجلاً ملماً حاوبل القامة يسرع سرعة الجواود الجروح فهو معكر نصر وهو يتقى السهام بكينيه فعرف من حركته وقيادته انه الخحاك وما لبث ان رأه حق تغلق في ذلك العسكر . ثم رأى كوكبة من الفرسان خرجت من معسكر نصر وفي مقدمتها فارس يصيح باعلى صوته « انا الرجل المطور انا ابن الحرش بن سرج جتنك يا كرماني يا ابن الفاعلة انت قلت ابي وانا افتلك به » قال ذلك وانقض انقضاض الصاعقة والقت الكوكبات واشتبكت واشتبكت ازر المضريه ثم رأوا فارساً خرج من مرو يحرض المفرية ويسوق فرسه امامهم وقد جلله الشيب ولكن الشيفوخة لم تغير شيئاً من شاعره وحياته . ولما ساق جواهده لعبت الرفع بلعيته وهي يضاوه عريضة حل صدره وصاح في رجاله يستفهم فعلم

ابو مسلم انه نصر بن سيار فقال في نفسه لو ظهر في بيبي امية مثل هذا الرجل قبل تذكر الاخلال فيه ما تمكنت سقوطهم ولكنها لن يستطيع امرأة وهي مع نصر كوكبة من الفرسان فغلبوا على الکرماني فاصابوه بطعنة نفر عن دابته فاقروا قتله وامر نصر بمحمل الجثة وصلبها فصلبوا ووضع سجدة

فلا رأى ابو مسلم قتل الکرماني تظاهر بالاسف وتوقع فشل المهمة واذا بعل بن الکرماني قد هجم يطالب بشار ايه فهجم ابو مسلم عليه ونادى رجاله فهجموا جميعاً على نصر ورجاله فارجعوا عن موقفهم ثم تراجع الجيشان رجع ابو مسلم من المعركة وقد سره مقتل الکرماني واخذ في اثناء رجوعه لعمل فكرته في تدبير الحيلة لقتل ابنه علي ولكنها رأى ان يستعين به على نصر اولاً ثم يقتله ويقتل شيئاً اخراجي فوصل معسكره واجتمع اليه النقاد فنظر اليهم وهو يقول «الم يكن رأينا صواباً .. قتلنا الکرماني ولم نشك في عجائب من دماء رجالنا - والرأي فوق شجاعة الشجعان فاتبعوا بدھائھ وغلب عليهم بفوزه في ميسانه فازدادوا ثقائیاً في طاعته وفاثوا « مر يا تشاء فانك صاحب الرأي النافذ والقول الفصل » واشتعلوا في مهابتهم

الفصل التاسع والعشرون

العروض في بيت حميا

اما جلنار فقد تركناها في القبة على القيل ذاهبة الى معسكر الکرماني . وقبل وصولها جاءها وقد من رجال الکرماني استقلوها وازلواها في خباء خاص نصبوه في مؤخر المعسكر وازلوا فيها اجمال الآنية والفرش وادخلوا جلنار غرفه من برقه ليس فيه من النساء سواها ومعها بعض الجنواري وريحانة وقد زادت تعلاقها بها في هذه الغربة واصبحت لا تدب على فراقها لحظة . وكانت ريحانة اكثراً تعلاقاً بها لاسباب عينه واحتست انها مسئولة عنها وحدتها وقد علمت بما يهددها من الاختصار الجسام وطلبت النفس على بذلك كل مافي وسعها في سبيل راحتها وسلامتها

فلا وصلت جلنار اخباراً سبقتها الجنواري الى تهيئة ما يلزم من اسباب الراحة واشتغلت الصحالك في ازالة الاجمال ومهلة العبيد واخذهم . ثم جاءت ريحانة الى جلنار فادخلتها غرفتها واحتلت

تنزع ما عليها من ثياب السفر وتلبسها ثوب البيت وهي صامته لاتكلم ثم لاحت منها الثناء الى جلنار فرأى عينيها تدمع فاقبضت قصها وابتدرتها فائلة « ما الذي ييكك يا مولاني » ولم تكن لتنظر هذه العبارة حق الاختنق صوتها وغضت بريقها فاكتفت جلنار بما شاءده من ريحانة ولم تجربها . فشافت ريحانة بضررها سيدتها وتجددت وعادت السؤال وهي تخاذل ان يختنق صوتها وقالت « ما بالك يا مولاني لا تجيبي على سؤالي ؟ » فاختفت جلنار الى ريحانة والدمع يتلاطلا في عينيها وقالت بالفارسية « اسألني عن الباب وانت اعلم به مني ؟ اين نحن الان ؟ كيف خرجت من دار اي وقد كنت فيها بمحض حسرين وبحثت الى دار الحرب والنيل تساقط على فساططي .. ثم اني لا اعرف الى من انا صائرة »

فاحجت ريحانة ان تلطف حالها فقالت وهي تنظر بالابتسام « انت صائرة الى الامير علي بن الکرماني وكل هذا المعكر رهن اشارتك .. »

قالت « وابن هو على هذا .. اني لم اره ولو رأيته ما عرفته .. سانعك الله يا اباه لقد فرطت في .. بل اللوم على .. كيف اسلم نسي لرجل لا اعرفه ولم اره .. وقد وصلت منزله ولم اجده .. »

قالت ريحانة « خفي عنك يا مولاني انه لا بلث ان ياتي فقد اتفق وصولنا ساعة خروج الامير الکرماني لللاقة جند مرو في حرب وطبعا ان عليا ابه معه وسترينه عائدآ وقد تلطخ صدر جواده بدم الاعداء وفي وجهه عز النصر وهو عز لك .. ان في ذلك لذة لم تعود بها فاذا ذقتها مرة لذات لك .. ان لذة النصر عظيمة يا مولاني »

فذعرت جلنار عند مسامعها امم الحرب وقالت بالفارسية ايضاً « هو في حرب ؟ اما تقولوا لي انه صاحب مرو وله الامر والنهي ويده الحل والعقد .. »

قالت « قد كان كذلك على ما علمنا فالظاهر انه خرج منها ولكنك لا بلث ان يفتحها كما فتحها قبلًا »

فصاحت وقد نيت موقفها « لا يهمني فتحها ام لم يفتحها .. اني لا اريده اخرجوني من هذا المكان .. يا ريحانة اخرجيوني الى حيث شئت .. »

فعحكت ريحانة في وجهها تخفيفاً لغاظها واظهرت الاستخفاف بعنوفها وكانت قد فرغت من تمشيتها وتبدل ثيابها والستها في ذلك اليوم ثوبها عذابي الالون تمطرقت عليه بمنطقة مرصعة ولقت كثنيها بطرف من الخزا الموشى ببطان بالفرو المثبن وقد احمر وجهها من

اثر السفر وتورّدت وجنتها وتكسرت عيناهما من البكاء وغشيمها ذبول الاعظام وتحلي في جيئتها وبين عينيها هيبة الانقباض واحدق يبسهما معنى يعبر عنه بالخوف او الخدر .
واسرسل شعرها ضفيرة واحدة على ظهرها وقد تلا لا القرطان في اذنيها وكل منها جوهرة واحدة تفي في الليلام . غير ما في عنقها من العقود الثمينة وغير ما يحيط بعصمها من الدعمالج والاساور . فاصبحت ملائكة بصورة انسان وكانت ريحانة لاترتوى من النظر اليها . فلما فرغت من الباسها دعتها الى الجلوس بخلست وهي تقول « وابن الفحراك يا ترى ؟ »

قالت « لا يابث ان ياتينا فقد تركته يهم بالاجمال ونحوها » وصنفت فدخل خادم كان في جملة الخدم خارجاً فقالت له « ابن الفحراك »

قال « كان حول انباء ثم ذهب لا ادري الى اين »

فاجفلت جلزار من قوله ونظرت الى ريحانة كأنها تستطلع رايهما بشانه فقالت ريحانة

« هلم بنا نطل من باب اطباء لتخرج بنظر هذا المعسكر لعلنا نرى الفحراك »

فنهضت ومشت على اثر ريحانة حتى اطلتا من باب اطباء وادا بهم سقط بين يديها عند الباب فذعرت جلزار وتراجعت ولم تذرع ريحانة لانها كثيراً ما شهدت مثل هذه المعارك فضلاً عن اضطرارها للظهور بالليل تشجعاً لموالاتها فقالت وهي تضحك « ما الذي اجعلك يا مولاقي . . . »

قالت وهي تردد خوفاً « يظهر انهم يحاربون على مقربة هنا . . . باقه ما هذا ؟ . . . ما الذي جاء بي الى هذا المكان ؟ كيف رضيت بالجيء . . . آه يا ابا مسلم . . . » وكأنها نطقت باسمه مهوا تجللت وتشاغلت بسجح دموعها هندبيل كان في منطقتها

وكان ريحانة أعلم منها بعلم المصيبة ولكنها لم يسعها الا التخفيف عنها وشعرت انها أساءت اليها اذ لم تكنها من الجيء فقالت « الحرب بعيدة عننا . . . آخرجي وانظاري الى المعركة فانها وراء هذا المعسكر يده وين المدينة . . . واما هذا السهم فقد أفلت وأبعد صدفة . . . آخرجي » قالت ذلك وامسكتها يدها وأخرجتها من اتجاه رغم ارادتها قاطلت على المعركة عن بعد فرأى الفرسان تتجاذب والبال تستطير والسيوف تبرق في أيدي الفرسان وبعضهم يحمل الارس وبعضهم يشرعون الرماح وأكثر القتال بين الفرسان . ولذلك قلما كانوا يتراون بالبال لأن البالاة أكثرهم من الشاة . . . فلم تستطع جلزار الصبر على ذلك المنظر فدخلت ريحانة في أثرها وكلاها صامتةان وقد شغل خاطرها لانهما لم يشاهدَا الفحراك . . . حتى اذا دنا المغيب وهي الساعة التي تتقبض فيها الفوس

بلا سبب تزأيد اقباض جلزار وتصورت قرب بجي، زوجها الذي لم تره عينها ولا أحبه
قبلها ذلاً ترجو أن يحبه لاشتغاله بسواء ، فامسك ريحانة يدها فاحت هذه بارتعاشها
فقالت « ما بالك ترتعدين يا مولاي ؟ »

قالت « أني أرمد لقرب الساعة التي ساقني بها ابن الكرماني أو كما تسمونه ٠٠ بالله
كيف أقبله ؟ ٠٠ أحقيقة هو بعل ؟ كلاماً ٠٠ اللوت أحب إليني من قربة ٠٠ ثم
قبضت على يد ريحانة يدها جميعاً وصاحت « لا اعرف بخافي إلا منك »

قالت « لا بأمس عليك يا سيدني ٠٠ أنا أدر كل شيء ومن يوم الى يوم فرج ٠٠
وانما أتقدم إليك أن شجاعتي بين يديه ولا تظهرني ثورتك منه ٠٠ وقد يكون لأمس منه ٠٠
كيف سبغضته قبل أن ترمه ٠٠ »

فنظرت إليها جلزار بطرف غينتها ولسان حالمها يقول « لا تعلمين ما يكتنه فؤادي
من حب أبي مسلم ؟ »

فادركت ريحانة مرادها وتبتست وهي تقول « كوني على يقين أنك ستدينني بفتيك
ولكن بالصبر والظمآن »

الفصل العشرون

الرئيس

ثم سمعا صهيلاً الحيل وضوضاء الناس فأجلفتا مما أوكلن ريحانة تضررت وقالت « يظهر
أن القرسان قد رجموا من المعركة » ثم سخرت حتى أطلت من باب الخبراء وعادت
وهي تقول « هذا الأمير قد أثني على فرسه وهو مخضب بالدماء كما قلت لك وسيأتي إليك
فلا تخزعني »

قالت « والضحاك لم يأت بعد ٠٠ أين هو » قدر ركنا في ساعة الحاجة إليه
قالت « لا تلوبي الفائب حتى يحضر ٠٠٠٠ »

ثم جاء بعض الخدم من رجال الكرماني يحملون الشموع متراوحة في أعواد نصبوها
في جواب الخبراء فاضاء المكان وجلنار لا تستطيع الوقوف ، من شدة التأثر فجلست وقد
اصطعكت ركباتها وأذاهي بالضوضاء هترتب من الخبراء ، ثم سمعت رجلاً يتكلم قرب الباب

بصوت طال يقول «أين خباء عروتنا الدهقانية »

فلا سمعت جلنار صوته تخفق أنه عربها فلما تعدد فرائصها وازداد اضطرابها
في شاغلت بعطرتها تلف به منكها ويداهها ترتعشان وقد برداها ثم خرجت ريحانة لاستقباله
باباً وقالت «أهلاً بالامير الجليل ان مولاي الدهقان يوصيك بابته خيراً ويقول لك انه
قد عهد اليك بقلادة كبدة فكن بها رفينا»

فقال «لقد أوصى حرباماً أن الدهقانة نزل عندنا في أرفع منزلة وأعز مكان»
ومشي نحو القرفة وهو يقول «وابن هي؟»

فقالت «هي جالسة في حجرتها وقد أهلكها النعب على أثر السفر في أيام النهار»
فادرك مرادها وقال «أني أنها اطلب راحتها ولكنني أحبت لفائها والترحيب بها»
ودخل وقد تسمى رائحة الطيب

وكانت جلنار جالسة وقد سمعت قوله فسكن روعها وأطربت وهي تراعي دخولة
بيهوارحها فلما دخل حجرتها وأقبل عليها ورأى جهالها أخذت بمحاجم قلبها ولكنه
هاها وقال «من حبنا بعروتنا لقد اتيت أهلاً وزلت سهلاً وارجو ان يكون مقامك عندنا
امن من مقامك في بيت ابيك»

فرفعت جلنار بصرها اليه لتزوي وجهه والحياة يقال لها فرأى شاباً في نحو الثلاثين
من عمره قصير القامة عريض المكين وقد توشع إباهة من الحrir وقد أله السيف وغرس
الحجر في منطقته وعلى راسه عمامة حمراء وكان مستدير الوجه واللحية دقيق الشاربين
وقد ذهبت أحدي عينيه فلما دنا منها قعد على البساط أمامها ووضع السيف معارضاً
على حجره وقال «لا يأس عليك يا جلنار ارجو ان يذهب عنك تعب السفر الالية
وان يكون قدومك فأجل خبر على هذا المعسكر فقد وصلت والحرب قائمة بيتاً وبين
صاحب مرو وعدنا من هذه المعركة ظافرين بحول الله فحسى ان بآتينا الفتح على يديك
وبيركه قدومك »

وكانت جلنار مطرقة حباً وتلعنها لا تدرى بما ذا تحيب وفتح على ريحانة برأي
توسمت من ورائه فرجأ فأجابت عنها قائلة «ذلك ما ترجوه ايها الامير البطل فقد
قدمنا ونحن متوقعين ان يكون مقامنا في مدينة مرو فحسى ان لا يكون مقرنا في هذا
المعسكر الا قليلاً »

فتعجبت على وقال «لو تقدمت بحبيبك يسراً لترثيم تواً في مرو وقد كانت في قبضتنا

نخرجت من ايدينا منذ ايام لكتها ستمود اليها باذن الله ٠٠
فادركت جلزار غرض وريحانة من ذلك التعريف فقالت والحياة بفالب منطقها « فكأن قدومنا اذا شئتما علينا ٠٠ فكيف توقفون ان يكون بركة ولو كان كذلك لما كان تزولنا في غير دار الامارة في مرو ٠٠ »

قال « عفوأ ايها الدهقانة ٠٠ ان قدومك بركة و قال حسن ٠٠ وانا على يقين من ذلك ٠٠ وسترين صدق قوله »

قالت « انت صادق ولكتنا علمنا شئم قدومنا من النبال التي رأيناها تساقط حولنا منذ أنيخت المطاطينا في هذا الجبلاء ٠٠ »

فازداد علي حسناً وارجحية وهان عليه كل صعب في سبيل رضاها وقال « أنت ستيبين غداً في دار الامارة باذن الله » قال ذلك ارضاً خاطرها ولم يدر انه قد نفسه بوعد دون الوصول اليه خرط القناد ٠ فلم تغفل ريحانة عن اغتنام تلك اللفوة فنظرت الى مولتها وهي تظهر الاعجاب بارجحية علي وقالت « ان الامير يا مولاتي قد قال وقوله عهد انت لا تيبين غداً الا في دار الامارة ٠٠ »

قال علي وقد اخذ اهليا منه مأخذنا علها واستهل الصعب « نعم لا تيبين غداً الا في دار الامارة » ثم ادرك تسرعه فاراد ان يوسع على نفسه فقال « واعاهدك على الاقل اني لا اتفهم بهذا الوجه الجميل الا في تلك الدار »

فاطرق جلزار حياءً وتشاغلت بنتية هدب المطرف وسكتت ٠ فاجابت ريحانة عنها قائلة « بورك فيك من شهم حر» والحر اذا عاهد وفي »

فمضى وقد ثارت التخوة في راسه وقال « استودعك الله وسترين بالاني غداً فاذهي الان الى فراشك واستريحي » ثم خرج وهو يجر سيفه وراءه ٠ فلما توارى نظرت ريحانة الى سيدتها وهي بتسم وقلت لها بالفارسية « ما قولك بهذا العهد ؟ »

قالت « لا يأس منه ولتكن اخاف ان يتمكن من دخول من وغداً ٠٠ »
قالت « لا اظنه يستطيع ذلك ٠٠ و اذا استطاعه كان جديراً بك اذ لا يكون لابي مسلم حينئذ شأن »

فقطعت كلامها وقالت « لا تقولي ذلك ان ابا مسلم وهو مكيل بالاغلال احب الي من سواه ولو كان على عرش كسرى ٠٠٠ »

فتأثرت ريحانة بن تلقها ببني مسلم الى هذا الحد وقالت « دعي ذلك الى تدبر العزى
الحكيم » وغداً لاظره قرباً ولكن غياب الضحاك قد شغل خاطري وهو انا جاء
معنا ليكون في خدمتك » قومي الان الى الطعام ثم تنظر ما يكون »

الفصل الحادى والثلاثون

الضحاك

فهضتا الى حجرة الطعام في ذلك الخبراء والجوارى قد اعددن الخوان فجلست
للاكل واداً بعض الخور قد دخل مهولاً وهو يقول « ان الضحاك بالباب »
فأبسطت نفس جذار وعافت الطعام لرغبتها في مقابلة الضحاك ولم تكن ريحانة اقل
منها رغبة في ذلك لكي تطلعه على ما توافقنا اليه تلك الليلة فقالت الخادم « ادخله » الى
الحجرة الوسطى واحمل اليه الطعام وقل له ان الدعقة نادمة اليه عاجلاً »
واسرعتنا في الاكل ثم نهضتا الى تلك الحجرة فوجدت الضحاك قد فرغ من طعامه وقد
في انتظارها فوقف لها فلما شاهدته جذار اترشح صدرها واحتست بجميل ثقيل تحول
عنها ولم تناولت ان صاحت فيه « اين كنت يا رجل .. »
فتاذب في موقفه وبداه في منطقته وعماته مائة على راسه وقد نبش شعر لحيته وشاربيه
حق تغيرت ساخته فلم تناولت جذار عن الضحاك فأجابها بضحكة طويلة فأشارت اليه ان
يقدم وقعدت واقعدت ريحانة بجانبها فقعد الضحاك جثوة على ركبتيه وقال « لقد اذنبت
بخروجي بلا استئذان ولكن العنوا قرب للنقوى »
فقالت ريحانة « كيف نتركنا وحدنا وقد اوصاك الدهقان برعاية مولاتنا وان
لاتفارقها ؟ »

قال « نعم اخطأت بمخالفتي وصية مولاي الدهقان ولكنني اصبت بمحاراة مولاتي
الدهقانة » قال ذلك واطرق اطراً الحبا وتكلف
فقالت « دعنا من محونك وقل اين كنت »
قال « اذا كنست لم تهمي كلامي فبولي الدهقانة قد فهمته » ونظر الى جذار وقال
« ايه ؟ .. »

فقالت جلزار « العالك ذهبت الى ابي مسلم ؟ »
 ففمه ثم قطع حنكه بنتة وقال لريحانة « ارأيت الفرق بين من يفهم ومن
 لا يفهم ؟ .. نعم يا مولاتي قد ذهبت اليه »
 فخاطلت جلزار بنتها نحوه وقالت « وماذا فعلت ؟ »
 قال « غداً تعلمين ماذا فعلت »
 فقالت ريحانة « قل الاآن .. فتقول لك ماذا فعلناحن »
 قال « أنا اقول لك ماذا فعلت يا ذكية .. قد عاشرت صاحبنا ان لا يتزوج الا في
 دار الامارة »

فبكت جلزار لاطلاعه على ذلك وافتقت الى ريحانة لشاركتها في الاستغراب
 فالكت الضحاك الى ريحانة وقال وهل من الغريب ان اعرف شيئاً انا فعلته »
 فقالت ريحانة « وكيف ذلك ؟ ونحن ائما جررناه الى هذا الوعد خطوة خطوة »
 قال « انا وضمت الاساس وقد فكرت في هذا الامر قبل خروجنا من بيت سيدى
 الدعكان فلما وصلنا كان قصاري هي ان الاقي العريس .. ففركتكم وذهبت الى جانب
 المعركة حتى اذا عاد الامير علي منها بشرته بمجيء العروس ثم القتليه كلاماً اعددت به
 ذهنه لذلك المهد » ..

فاستغربتا بيقظه ونباهته وقلت ريحانة « س الى اين ذهبت »
 قال « ذهبت الى العريس الآخر » ورفع بصره الى سقف الحباوه وتفاهموا انه يتقرس
 بما فيه من الرسوم والاشكال الملونة ولم يضحك .. س ارسل بصره الى جدران الحجرة
 فابتدرته ريحانة قائلة « وما الذي فعلته هناك »
 قال « غداً تعرفيه »

قال « عزمت عليك وكرامة مولاتنا ان تصم وترى الجحون »
 فتظاهرة بالجلد ووجه خطابه الى جلزار وقال « بحثت مع ابي مسلم في الطريق المؤدي
 الى بيته وحده في هذا الميدان »

فقالت جلزار « وكيف ذلك ؟ فلِ »
 فقص علينا ما دار بينه وبين ابي مسلم مختصرآ الى ان قال « والحق يقال ان هذا
 اخر انساني نشهده طلاق .. وخصوصاً لانه شهد لي بالباهة » وضحك
 فقالت ريحانة « ان بناهتك معلومة عندما »

قال « اراك تطبين بخطابي كأنك تعلمين بي وقد قلت لك اني ندرت العنة وليس لي ارب بالزواجه »

قططمت جلنار كلامه وقالت « اكتف عن ريحانة لاتعبث بها »

قال وهو يحكي ذقنه « كانك تطبينها نكره ذلك ... ولكن عملاً بأمرك قد عنوت عنها وخصوصاً لأنني اراها تحبك ... »

فحُمِّلَتْ جلنار وقد انبسطت قصها وخف ما بها فلما رأت ريحانة ابساط سيدتها شاركتها فيه وشعرت بقدار فضل الفحاك في كل ذلك وقالت في نفسها « لا بد لهذا الرجل المهزار من شأن وان اسره لغيب »

ثم التفت ريحانة الى سيدتها وقالت « الا تذهبين الى القراش يا مولاي »

قالت « تذهب » ووقفت فوق الفحاك وقال « وانا ذاهب وربما لا انام الايلة فاذأ طلبتياني في ساعة ولم تجدهاني فلا تحسبي فررت »

قالت جلنار « افعل ما بدا لك انا لانتي لك حسلاً تبذله في سبيل راحتنا واذا توافقنا الى ما نريد كان لك ما ترضاه ... اتصرف اذا شئت »

فخرج الى الميليت في فسطاط الاعوان والخاشية وكان الكرماني وابنه قد استأنسا به مذ لاقاهما في غروب ذلك اليوم وآنسا فيه خفة الروح وسهولة اطلق وخصوصاً علي بن الكرماني فإنه ارتاح الى رؤيته واطمأنت نفسه اليه

ولم يتم تلك الايلة حتى علم ان رسول الي مسلم مر بذلك المعسكر وقبضوا عليه ورأى الكرماني في فسطاطه يحمل كتاب ابي مسلم ومعه ابنه علي² وعثمان وكانا لا يفارقان مجلسه وها عمدته في حروبه وكان عثمان اصغر من علي . فلما تحقق الفحاك بخراج تدبره ذهب الى منامه مع اخذهن الاعوان ولم يخاطبه احد منهم الا استخف روحه واستلطنه

فلما اتى العجم اليشان في صباح الغد وقف الفحاك يرصد حرakanها فلما رأى الكرماني قد قبل بصالحة نصر بن سيار اسرع الى معسكر نصر ملثماً واستجهت ابن الحارث ان يثار لايده بفداء وقتل الكرماني كما لقدم

الفصل الثاني والثلاثون

ابو مسلم في خلوته

تركنا ابو مسلم في معسكره فرحاً با اوليه من نجاح حيله بالكرمانى . فلما تفرق عنده القباء الى خيامهم بعد العشاء ظل هو في غرفته وحده يعمل فكرته في اتمام مشروعه للتغريق بين تلك الجنود الخبيطة ببرو . وكان اذا خلا بنفسه ربع كالاسد واحد في تدبير الامور بدعوه يندر مثاله في الناس . فاذا ملّ الجلوس وقف وتشى ذهاباً واياياً كأنه نمر كامن حبس في قفص من حديد وقد جاع وفرسته على مقربة منه وهو يخفر للوثوب عليها . ولو نظرت الى ابو مسلم في تلك الساعة لرأيته عبوساً بكلاد يزبور غضاً ويخليل لك انه لو اراد الابتسم لعصته غضون وجهه . ولو امكنك الاختلاع على ما في خميره تلك الليلة لرأيته يخوض بافكاره في بحور من الدم فيقفي على هذا بالقتل وذاك بالاسر لا يالي اذا حال احد دون غرضه ان يقتلها ولو كان اخاه او اباه . وكان وهو ينتقل في تدابيره يرى شبح الفحاك نصب عينيه ويتوقع ان يراه قادماً اليه بجيشه يظنهما الفحاك فتحاً جديداً وهي عند ابو مسلم قديمة . وابو مسلم يظهر انجاته ب flattening تشجيعاً له على خدمة اخرى . والفحاك يتوم انه يخفي حقيقة مساميه عن ابو مسلم وما عالم ان هذا المتراساني يقرأ كل ما يحول في خاطره ويدرك ما سبأني به اليه او يشير به عليه وانما يظهر له استحسانه واجيائه دهاءً ومكرًا ولا يسايره الاعلى دخل وقد اضمر سوء الفطن به . لأن الناس اعداء بعضهم البعض كل منهم يترصد من صاحبه غنة يغناه وخصوصاً في ذلك العصر وقد اختافت العناصر وتباينت المفاهيم . وصدرت وصية الامام ابراهيم بالقتل على الشك وكان ابو مسلم سارحاً في عالم الظلال وهو يتشى ويدله قضيب يلاعبه بين انامله اذ جاءه الحرسى ان بالباب رجلان يطلب مواجهته فأدرك حالاً انه الفحاك فاذن له فدخل وقد تذكر بقلنسوة من قلنس الفرس وفوقها عمامة صغيرة كأنه من كينة الجوس . فلما اقبل عليه رحب به وبش له بمحققين لرعه ولكن الفحاك قرأ في احمرار عينيه وتغضن جيشه ما دله على اهية الامر الذي يذكر فيه فوقت متأدباً تفاطنه ابو مسلم قائلاً « اهلاء بصدقينا الفحاك »

فاعظم الفحاك هذا التنازل من ابو مسلم وبالغ بالتأدب في موقفه وقال « اني

لا اتحقق هذا الاكراام يا مولاي واغا انا عبدك وابنني رضاك »

قال « ومهى كان العربي يستعبد لغافاري »

فوجم الشحات لحظة ثم قال « ان المسلمين اخوة واغا يتضادون بالقوى والجهاد . وقد

ذهبت الدولة التي تحسب للعرب حزية على غير العرب وكانت عدوتهم للعرب سبباً لتعاب

سلطانهم . وكيف لا تكون عبداً بطل خراسان صاحب دعوة الامام »

فاستغنىك ابو مسلم وهو يبعد ثم اشار الى الشحات فنفعه جائياً على ركبته وند اطرق

وسكت فابتدره ابو مسلم قائلاً « ما وراءك يا ضحاك »

قال « ما ورائي الا اشlier .. وقد جئتكم به شيئاً مما اوتته من النوز الباهر ومستأمراً على

اقذفك امراً »

قال « اما نحن مدربون بهذا الفوز لتدبرك وسعيرك .. واما نعم لك النصر جعلناك في

منصب يليق بامثالك »

قال « لا المتس الا رفي مولاي الامير فرفي بما تشاء »

قال « قل ما الذي تراه الان .. ؟ لقد اعجبني سداد رايك بالامس »

فأطرق الشحات هنئه كأنه يحمل فكرته ثم قال « الا ترى بعد ان قتل الكرمانى ان

لتخلص من ابنه فيخلو لك الجبو .. ؟ »

قال « وشيبان ؟ »

ففتح الشحات وهو يقول « شيبان ؟ وما شأن هذا الظاربي امامك .. فهو ليس من

يحسن لهم حساب »

قال « كيف لا وهو صاحب جند وعدوية مثل الكرمانى »

قال « اذا قتلت ابن الكرمانى فعليه تدبیر شيبان »

وكان ابو مسلم في اثناء حديثه ينظر الى قلسسة الشحات وفي نفسه ان يعلم ما تختتها . وقد

لحظ من وراء حاجتها ان رأس الشحات حليل .. فاوهما بالقصد بالي القلسسة وقال « ومن

اثاك بهذه القلسسة » واذهاب انه غمزها بالقصد سهوًّا فسقطت قبانت راسه حليقاً .. فوش

الشحات وقد بعثت وتناظر بالملعون وبادر الى القلسسة فاعادها الى راسه حالاً وهو يفسح

وبقول « قد انتقمت في سلاك الجبوسية من عهد قریب »

فتجاهل ابو مسلم عمما استطلعه من حلق راسه وتضاحك وقال « ان الكائنات خلقة

بالقرس وليس بالعرب »

فأصلح الفحاك قلنسوته وقد امتنع لونه من تلك البغة ولكنني صدق ان ابا مسلم اغا فعل ذلك سهواً فقال «ان الرجل يغير زيه في سبيل غرضه ولم ابساها ما استطعت الوصول الى خيتك»

فظاهر ابو مسلم بصدقه وقال «انك تهيني بجده وهزلك فلتعد الى الجد» . . . فل لي اذا اردنا الخلوص من ابن الکرماني فما الحيلة»

قال «ان قتل هذا الرجل هينٌ صعبٌ»

قال «وما معنى ذلك؟»

قال «اذا اطعنتني في ما اشير به فقتله وقتل كل من في معكره اهون من قطع اطيب»

قال «وكيف ذلك؟»

قال «الا تذكر يا مولا ي جلسنا في منزل دهقان مرواذ قلت لك ان افالهارك الرضا لهذه الفتاة المتشونة سيكون عوناً لك في تنفيذ ما آمرك . . .»

فادرك ابو مسلم غرضه ولكنه تجاهل وقال «نعم اذكر ذلك ولكنني لم افهم ميرادك به»

قال «مرادي انه يكون لك بها نصيرٌ في خيمة ابن الکرماني وعلى فراشه»

قال «أتظنها تساعدنا على قتلها؟»

قال «نعم يا سيدى انا اضم ذلك على شرط»

قال «وما هو ذلك الشرط؟»

قال «ان شرط هين عليك . . . ترسل الى هذه الفتاة علامه توکد لها رضاك عنها وان قتل ابن الکرماني يرضيك وانا اقم الباقي»

فقال «وما في العلامه التي تعنیها؟»

قال «علامه تعلم هي اهنا منك»

فنظر الى الفحاك نظرة كشف بها اسرار قلبه كما يكشف اصحاب اشعة رنجن ما وراء الجواب و قال «لا اظنها تقنع منك بغير خاتمي»

قال «تلك خير علامه تتفق بها الارب»

فاطرق ابو مسلم كانه يتزدد في عزمه ثم قال «تعلم اهمية هذا الامر؟ . . . اتعلم اذا دفعت اليك خاتمي اني سلت اليك امري؟»

قال «اعلم ذلك يا مولاي ولو علمت ان الامر يفهي بدونه انعلمه»
 فاستخرج ابو مسلم الخاتم من اصبعه ودفعه اليه وهو يقول «هذا هو خذه واهض مسراً
 وعد الى» به الليلة فافي لا اينت بدوته»
 فوقف الضحاك اجلالاً وتناول الخاتم قبله ووضعه على راسه وهو يقول «ربا
 لا استطيع ملاقاة الدعقة الالية فآتيك في الصباح ومعي الخاتم باذن الله»
 قال «سر بحراستة المولى»

ثم استأنف الكلام قائلاً «تربيص هنا ربها اعود اليك» قال ذلك وخرج من
 باب مري في تلك الغرفة وظل الضحاك واقفاً وقلبه يطعن سرور المسا توهد من نجاح
 امره واصبح يسمعه لعله يشعر بحركة أو يسمع صوتاً يستدل به على شيء فلم يسمع شيئاً.
 ثم عاد ابو مسلم وهو يقول «سر يا ضحاك اذا توقفت في خدمتنا كافناك ... ولكن
 (وخفق صوته) متى استوثقت من موافقة الفتاة لك قل لها لا تتجهل بالامر بل تنظر
 من اشارة اخرى .. فهمت؟»

قال «سمماً وطاعة وخرج» واحتذى نعاله في الخارج ومنفى

الفصل الثالث والثلاثون

الاستبقاء

اما ما كان من امر جندار فانها اصبحت في ذلك اليوم وقد تهيا الجيشان للنزال وهي
 تخفاف ان ينتصر الکرماني فإذا انتصر تعرقلت مسامعيها وخابت آمالها فوفقت مع ما شطتها
 بحيث ترى المعركة عن بعد فرأى تضعضع جند الکرماني ثم رأى عاد الى معسكره ثم رجع
 وكاد ينتصر تخفافت واخيراً اعملت بما كان من قتلها كما تقدم في وصف المعركة . ثم شاهدت
 تضعضع عسکره وهجوم ابنه علي واتجاهه مع ابي مسلم فاستغربت ذلك ولم تقدر على تفسيره
 فعادت الى خبائثها مع ريمكانة وقد انتهت نفسها وقالت لها بالفارسية «ما الذي اراه
 ياريمكانة اليك ابو مسلم ينصر صاحبنا؟»

قالت «لا يدرك ما تشاهديه أنها حيلة من أبي مسلم وهي جاء الضحاك يفسر لنا

كل ذلك»

فدخلنا الجنة، وها صامتتان لا تدران كيف تفسر أن ما شاهدناه ولكن ما سمعنا نفسيهما
ربما يأتي الضحاك، فاما غرب الشمس ولم يأت اقبرت نفس جلنار و لم تستطع طعاماً ولا
شراباً، وربحانة تحفظ عنها وتنهى بالمواعيد، ثم سمعتا قرقعة الاجم وصريح الانفاس بباب
الجنة، فاجفلتا وعلمتا ان علياً قادم برجاته فركبتا صامتتين وإذا بباب الجنة افتتح ودخل
عليه ونباه ملطفة بالدماء وقد أخذ القبض منه وأخذنا عظيمها، خافت جلنار من منظره
ولم تعلم بماذا تخاطبه في تلك الحال وقد قتل أبوه فرأته تشجاعه فلبت صامتة، امار برحانة
تجددت واستقبلت علياً وقالت «احسن الله عزاء الامير ان من يقتل في ساحة الوعي
ويختلف بذلك لم يعت لانك آخذ بتأرد»

فأعجبه قوله فسرى عنه والتفت الى جلنار وقال «لابقاء عروتنا الدعامة أكبر
عزاء اما الذي فسوف تأخذ بتأرد من أولئك الانذال وما هي الا ان تطلع الشمس
ونعود الى القتال فلا تغرب الا ونحن في دار الامارة باذن الله» قال ذلك وهو يصلاح
خوذته على رأسه وأشار الى جلنار ان تجلس وهو يحاول الابتسام رغم ما جاش في
صدره من الاسف على قتل والده، وكأنه تسل عن ذلك برؤية جلنار لانه أحيا كثيراً
والحبُّ خير معزٍّ للانسان وهو ايضاً اصل متعابده، فلولا الحب لم تكبر النقوس ولا
اتسمت الطامع — واذا كبرت نفس المرء فانها يؤثر البقاء من أجل محبوه، ولو تبرت
احوال الناس لرأيت الحب عور معايلاتهم وسبب ملذاتهم ومتاعهم، والانسان اذا تجرد
من الحب رأى الحياة من العبث فتصغر نفسه وتختصر مطاعمه في الطعام والشراب فيشارك
الحيوان في الاقتدار على لوازم الحياة، اذا ملاً جوهر، أخذ الى الجحول ولا يتحرك حتى
تهضم لوعاج الحب فيطلب العلي ويرى الحياة تينية فتحمل المشاق في سبيل استيقانها،
والحب ربحانة النفس ومهديها ورافتها من حضيض الحيوانية الى سماء الملائكة، ولكنه
لا تتمكن عراه الا اذا تألفت القلوب وتوافقت لغاتها وتم التفاهم فيها بينما وقد تفاهم في
لحظة بلا لسان ولا يان، فتفتح للمحبين أبواب النعم والشهاء معاً، اذا لم تتفاهم القلوب
بسانها عجزت الاسنة وخابت المساعي في سبيل تأليفها فلا لذة هناك ولا شقاء، ويُنفرد
بالشهاء دون لذة حبٍّ تقييد قلبه وظل قلب حبيبه مطلقاً، قلبه يتكلم وقلب حبيبه أصم
مثل حال ابن الكرماني لو علم بعنور جلنار منه وتعلقةها بسواء واما آخر شقاء جهله ما في
ضميرها واعتقاده الحب المتبادل، ولو سمع مثل تلك التزية من فمها لذهب حزنه
ولنبي مصيته، على انه حل سكوت جلنار عن خطابه محل الحياة فمذرها واكتفى بما

سمعة من ريحانة

اما جلنار فلم يسمها عند سباع ما قاله علي^ع عنها الا ان تحييه قائلة « ان المزاء ببقاء
مولاي الامير حفظه المولى وأعاه على الاخذ بالثار »

فلما سمع علي قوله اشترح صدره^ر وقال « اني سأثار لابي بما يسر لك » ثم صفق
فيما ات قيمة الحباء فامرها ان تحسن رعاية الدهقانة وتلبي طلبها بكل ما تحتاج اليه . ثم تحول
وخرج للاهتمام بأمن العسكرية والاستعداد للحرب في الغد

فلما خرج ظلت الدهقانة صامتة وقد شعرت خاطرها شفقة على ذلك الشاب لما اضمره
له من الشر ثم خافت ان ييل قلبيها اليه فاستحضرت صورة ابي منثم الى ذهنها فهاجرت
عواطفها وذهب رسم علي من ذهنه حالاً . ولم تهالك عند اغراقها بريحانة ان قال
بالفارسية « اين متى يأتى الضحاك لسؤاله عما شاهدناه في هذا الellar »

قالت ريحانة « لا يليت ان يأتني وقد اوصانا بالامس ان لا تستبعطه اذا غاب »
قالت « ان لهذا الرجل لثائنا » . فقد جاء ليكون في خدمتي وأرأه يقضى اكثر
وقته خارجاً »

فقالت ريحانة « اذا غاب يا مولاني انا بغير في خدمتك ايضاً هكذا فعل في
الامس » . فلا تلومي النائب حق يحضر »

فقطمت جلنار كلامها قائلة « اني والحق يقال لم أر مثل اخلاق هذا العربي في خدمتنا
والقريب انه عربي ولم يستكشف ان يكون من موالينا »

قالت ريحانة « ان العرب ليسوا الان كما كانوا من قبل فقد انحدرت عصيهم واقسموا
فيها بضم ودالت دوائهم » . الا تذهبين الى اللائدة ؟ »
فهمشت جلنار ومشت وهي تقول « تذهب الى المسند نلاهي بالطعام ربيها يمود
ذلك المهزار »

فتشت ريحانة في أثرها وهي تتم قائلة « لا أظنه مهزاراً » .
تناولنا الطعام وقضت برحة تنشغلان بالاحاديث وكلا سمعنا وقع اقدام تظنن الضحاك
قادماً حتى طال استثارتها . وغلب عليها النعاس فذهبت جلنار الى الفراش وتوسدت
وخلت ريحانة جالسة بين يديها والنعاس ينالها والقلق ينبعها . فاضغت هزيع من الليل ونام
أهل العسكرية وساد السكون وسكت القضاة والقراء ولم يأت الضحاك . ثم غلب
النعاس على جلنار فنامت وخلت ريحانة جالسة وعينها مغمضتان من مذابة النعاس ونام

قتلت اجفانها وتطاوطأ رأسها رغم ارادتها ونامت نوماً متعباً وهي متيبة الحواس اذا سمعت خربشة استيقظت مذعورة لشدة قلقها على غياب الضحاك

—————
محضم——

الفصل الرابع والثلاثون

امر شاق

وفي احدى غمضاتها توهت أنها تسمع تحكمه الضحاك فذعرت وفتحت عينيها وإذا هو واقف بازاء عمود الجباء وكانتما عمودان « فهمت بأن تصريح فيه فاتته لسيتها وخافت ان تيقظها وترعبها فاقترب منه وقال بصوت منخفض « ساحنك الله على هذا الغراب » فشي وهو يشير اليها يديه ان تتبعه حتى خرجا من تلك الغرفة الى غرفة أخرى ليس فيها نور فتبعه ورجلان تناقلان فديده وأمسكها يديها وشددها ودو يقول « لا تخافي .. لا يأس عليك »

قالت « دعني احمل اليك السراج لأرى وجهك وانضم حديثك مما »
فضحكت وقال وقد أفلت يدها « ما أشد شوقك لرؤيه هذا الوجه ! طيب
هاني السراج »

فعادت وهي تثني على رؤوس أصحابها حتى جلت السراج من غرفة جلنار وجاءت به الى تلك الحجرة فاقرقته بجانب العمود وجلست « مجلس الضحاك وكان قد ابدل القائمة بالعمامة التي يعرف بها اهل ذلك المسرح فابتدرته قائلاً « لقد اطلت الشياطين وخف في قلق ومولاني الدعفانة نامت منقيضة النفس على أثر ما رأته من نصرة أبي مسلم الجند الكرماني »

فقطع الضحاك كلامها وقال « ألم يقتل الكرماني ؟ تلك هي نتيجة انتصاره له !!
وإذا طالت نصرته لهذا اليت اجهز على اهله واحداً بعد واحداً »
فلم تفهم ريمانا مقاله فقالت « بالله لا تكلامي باللغاز افصح »

قال « قبحك الله ما أغاظ فهمك الى كم افهمك وأنت لا تفهمين !!! أن هذا الخراساني ما تقرب من قوم الا يأدهم في سبيل مصلحته .. فاظهر أنه نصير الكرماني حتى يستعين به على صاحب مرس .. ولم يكن قصده سرعة قتلها ولكن القدر

عجلت عليه ٠٠٠٠

قالت « ان مولاتنا الدهقانة في فاق شديد بسبب غيابك بعد ما علمته من مقتل الكرماني فهل ايقظها لسماع حدثيك ؟ »

قال « سأيقظها بعد قليل واما أريد ان اسرء اليك أمرًا ارجو ان تساعدني فيه خدمة لمصلحة مولاتنا »

فحاولت بعنقها وقالت « وماذا تريد ؟ »

قال « ان مقتل الكرماني اثار كان يسعى انا توصله لقتل ابته ليرضى علينا ابو مسلم فتال مولاتنا ما تمناه ٠٠٠ »

قالت « انت سعيت في قتل الكرماني ؟ الله ما ادركك ٠٠٠ والآن تريد ان قتل ابته وكيف تستطيع ذلك ؟ »

ففتحك وقال « لا تستطيع ذلك الا بمساعدتك »

فبعثت وقالت « العلي من اهل السيف ؟ »

قال « ان القتل لا يكون بكثره الجند ياريمخانة واما رجال الانسان من امة بالدهاء والصبر ، وأنا الان آت من عند أبي مسلم وقد وعدته بقتل ابن الكرماني لانه اصح يتوقع ذلك منا منذ قتيته للمرة الاولى وخطبته بشأن مولاتنا الدهقانة فأخبرته أنها ستكون عوناً له في نجاح مهمته ، وليس مايسهل عليه تلك المهمة أكثر من قتل آل الكرماني لينفرد هو بالقوة ويطلب على من بي من جنود العرب ولا يتم له ذلك الا بهذه الطريقة »

فاجفلت ريمخانة لذلك الطالب وسكتت ولم تخر جواباً

فلا رأها ساكتة وقف وقال « دعيني اذهب الى مولاتي جلنار فانها اعلم منك باهية هذا الطلب »

فوقفت وهي تصعد كتفيها وتقول « لا أخلن الدهقانة توافق على قتل رجل يستهلك في حبها الى حد العبادة بلا ذنب افترقه نحوها ولا هي تعودت القتل ٠٠٠ امكث هنا رينها ايقظها ثم أدعوك » وتركته ومضت ثم طادت ونادته قبعها والمراج يهدأها حتى دخلت غرفة جلنار وكانت قد جلست في القرائش والتلت بالطرف فدخلت ريمخانة وكانت قد اخبرتها بقدوم الضحايا فلما دخلت سألتها عنه قنادة فدخل ووقف متأنياً فامرته بالجلوس فجلس على طئفة سفيرة عليها رسوم فارشية بلوية وجمل ركبته تحته وهي جلة التأدب عندهم

الفصل الخامس والثلاثون

لم تقبل

فلم استتب به المقام خاطبته جلنار قائلة « لقد شغلت بالتأديب عليك وانت تمام ان والدي اتنا اذن بمحبتك تكون معي لاني لا أزال اعد نفسى غريبة بين هؤلاء القوم وانت منذ اتيانا هذا المعسكر لم تذكرت معي الا قليلاً ونحن دائماعلى اخر من الجزر في انتظارك » فاطرق الضحاك ولم يجب فاستأنفت جلنار الكلام وكانت استدركت امرها فقالت « لا انكر انك لا تغيب الا في مهمة شهمني وانك من اشد الناس غيرة علي وسعيا في راحتي ولكنك افلقني في هذا المساء حتى كادت تزهق روحى »

فابتسم الضحاك ابتسام الاعتذار وأجاب بسكون ورزانة واحترام « يسونى يا مولاتى ان أسب لك تعباً او قلقاً ولكنني اقسم برأس مولاي الدعفان انى انا غبت في سبيل خدمتك ومتى عرفت من اين انا آتى الآن عذرتنى *** »

قالت « من اين ؟ »

فالتفت الى ريحانة كأنه يستشهد بها في ما قاله لها في هذا الشأن وقال « قصصت بعض حديثي على ريحانة في اثناء رقادك ولا باس من الاعادة *** ايت الآن من معسكر الحراسين بعد مدوالتي مع الامير ابي مسلم ساعة »

فلم سمعت الاسم بدا الاحرار في وجهها وتحبس علامات الحب في عينيها وغلب عليها الحباء فاطرقت وهي تبدي عدم الالتزام ثم قالت « وما الذي حدث ؟ » قال « لم يحدث شيء بعد وآخاف ان لا يحدث شيء فيذهب سعينا هدراً »

قالت وقد اوجست من ذلك التعرض « ما الذي يخافه »

قال وهو يخفض صوته « أخاف ان يتقلب سعينا علينا *** فتحن انا ركبنا هذا المركب الحشين وحملنا دعفانة مرو الى خيمة هذا الرجل وحملناها ما حملناها من المشقة وعرضناها للخطر على شرط الوصول الى ما تبتغيه من قائد جند الحراسين وقد تنسنت من كلام ريحانة الآن ان الامر يصير الى غير المراد »

فالتفت جلنار الى ريحانة وفي عينيها امارات الاستفهام فاجابها بنظر الاستغراب فقال الضحاك « لا تستغرب يا مولاتى فاني افصح لك عن مرادي بعبارة وجيزة *** »

قد رأيت اليوم ما كان من نصرة أبي مسلم لابن الكرماني ولا اظنك تجهل بين معنى هذه النصرة — فأبا أبو سلم لم ينشر عدوه هذا الاً احتيالاً حتى يتمكن من الفوز عليه في شيئاً مهماً من الاول أنت وهو الاهم عنده والثاني فتح مرو ولا يدركك ما يبديه ابن الكرماني من مسايرة أبي مسلم فهو ابداً يسايره وربما يملك غرضه فيتروج الدهاقنة ويفتح مرو وكل منهما لا يتناهى غرضه الاً بقتل صاحبه ليفرد بالغافتين فـ «الكرماني» يدبر الوسائل لقتل أبي مسلم وهذا يدبرها لقتل ابن الكرماني وترجح الفوز لـ احد المتناظرين
راجع الى رأيك »

فاستغربت جلنار هذا التفصيل وادركت بعض مراد الضحاك وأشكل عليها البعض الآخر فقالت « وما علاقتك رأي في ذلك ؟ »

قال وهو يبالغ في حفظ صوته وجلnar تطاول بعنقها نحوه « ان ابن الكرماني يبحث عن غفلة من ابي مسلم ليقتلها بها ولا ندرى اى ميسي تائى له ذلك فاراد ابى مسلم ان يسقه الى اغتalam تلك الغفلة منه قىقله وريحانة تائى ذلك فارجو ان لا يكون رأيك من رأينا »

قالت « هل ترضى ريحانة بفوز ابن الكرماني ؟ لا اظن »

قال « لم تقتل ذلك صريحاً ولكنني ذكرت لها طريقة تسهل قتل هذا الرجل وتحجعلك بـ ابى مسام فمررت مسامعي »

فقطعت ريحانة كلامه ووجهت خطابها نحو جلنار وقالت « ليس الامر كذلك يا مولا نى » ولتكن جاءتني برأي لا اظنك ترضى به »

فابتدرها الضحاك قائلاً « الا ترضى مولاتنا بقتل هذا الرجل وانتقلابها بـ ابى مسلم ؟ »

قالت ريحانة « ولكنك تريد ان يكون قتله على يدكها »
فـ لاما سمعت جلنار قوتها بدا الارتباك في وجهها ونظرت الى الضحاك فرأته يصعد كتفيه ورقبة شفتيه ولسان حاله يقول « ذلك لا يعنيني »

قالت جلنار « احقيقة انت تعني ذلك ؟ اعني ان اقتل هذا الرجل ؟ وكيف اقتله ؟ وهو لم يرسى الى بشيء »

قال « تعلمين كما ثنايني كلامك الفتح الاقامة هنا وليست وعدك »

قالت « لم انس وعدك ولا اريد تغيير عزمي وانت تعلم ذلك »

فديده الى جيئه واستخرج الخاتم ودفعه اليها وقال « هل تعرفين صاحب هذا الخاتم ؟ »

« قتاله وقرأته يقرب السراج فاذاعليه ام ابي مسلم فاحتاج قلبها في صدرها وهاجرت عواطفها وتشتمت منه رائحة حبيبها ونظرت الى الضحاك وقالت « هذا خاتمه ، ما الذي جاء به اليك ؟ »

قال « لم اسرقه .. ولكن صاحبه دفعه الى دليلاً على صدق رسالتي فهل تصدقين ما اقوله ؟ »

قالت « وهل كذبتك في شيء قبل الان ؟ »
قال « كلام »

قالت « وما الذي بعثك به الى ؟ »
قال قصصت عليك غرضه وخلاصة ذلك انا لم اقتل صاحب هذه الحية فهو يقتل صاحب هذا الخاتم ، فان احدهما سيقتل الآخر لا محالة فاذا توقيتنا عن مقتل هذا فكاننا سعينا في قتل ذاك ولا سيل الى ذلك الا بك فاختاري احد الوجهين »

فادركت جلنار غرضه فاعظمت الطلب ولكنها اعظمت ان تفرض حبيبها للخطر وهي تعتقد انه يحبها وفي قتلها ذهاب كل آمالها فثبتت متحيرة ساكتة واستولى السكوت على تلك الجلسة السرية لحظة وكل من الحضور مطرق يفكر .. ثم فتحت جلنار الكلام قائلة « قد اوقتنى في حيرة لا اعرف كيف أخبو منها .. اما القتل فلا طاقة لي به ولكنني ابذل جهدي في منع الازى عن ذاك »

فضحشك الرجل وقال « تمنين الازى ! طيب افضل ما بدا لك فانا غير مسئول عن تبعه ما يحدث من حادثة هذا التردد »

نفافت تهديده وزادت حيرة وعادت الى السكوت فقال الضحاك « كيف تخفين الازى وانت محبوسة في هذه الحية ولا يمكن خروجك منها الا بقتل صاحبها واذا لم ننجلي بقتله سبقنا هو الى قتل ماحبنا وندم حين لا ينفعنا الندم .. ومع ذلك فانت صاحبة الشأن ونحن طوع امرك فان الخسارة اما تعود عليك فافعل ما تشائين .. »

فقالت « اقتله يددي ؟ بالله كيف استطيع ذلك .. تبصر في الامر ياخفاك واجعل نفسك في موضع فما الذي فعله .. »

قال « انا لو كنت في مكانك لتفضي هذا الامر بشربة ماء او لفحة طعام .. »

فاطرت هنئه ثم قالت « لا .. لا اقدر على ذلك .. ولكنني ابذل جهدي في منع الادى عن اذا استطعت المساعدة في » وسكت ثم قالت « دعني اتدبر هذه المسألة وارى ما يفتح عليّ بها » فلهم الفحاك وقد ترجع عنده اتفاع جلزار في جلة اخرى وقال لها « ارجعي لي هنا الخامات لارده الى صاحبه وانا على يقين انك متعددين الى رابي » فقالت « وهل تردد اليه الليلة ؟ »

قال « لا بد من ذلك ولم يعطي ايام الا على هذا الشرط » فشافت جلزار في دفع الخامات اليه لانها استأنست به وتمسحت منه ريح حبيبها ثم انتهت لشاقلاها والفحاك واقف في انتظارها فدفعته اليه رغم ارادتها فتناوله وخرج وترك الدعقة وما شطتها في بحور من المواجه

الفصل السادس والثلاثون

كشف المعنى

اما هو فسار مسرعاً حتى خرج من المعسكر وقد ذهب نصف الليل واطل النمر من وراء الجبال عن بعد . فاقترب الفحاك في مكان نزع فيه سببه وغير قيافته وحل عمامة ثم تعمم تعمماً مخصوصاً ومشط لحيته وشد منطقته في وسطه واصلح من شأنه حتى ذهب عنه هباء الجنون وولى وجهه معسكر شيان الخارجي وكان معسكر الخوارج وراء معسكر الکرماني في منبسط من الارض . والخوارج كما لا يخفى يذهبون الى نزع السلطة من كل مسلم ويرون ان الحكم لله وحده — يقولون ذلك ويطلبون السلطة لانفسهم . ففترضهم مثل اغراض سائر طلاب الخلافة في ذلك العهد ولو اختلفت الاسباب . وكان زعيمهم شيان قد جاء برجائه وحاصروا مرو قبل بنبيه ابي مسلم كما تقدم وجاء الکرماني فثارزا عالى مرو

وكان نصر بن سيار صاحب مرو من اهل الدهاء واللزム فكان اذا خاف احد المدواين استعن عليه بالعدو الآخر فلم يتمتع احد منها ان يتغلب عليه وكان الفحاك من امرة الخوارج شديد القوى يذهبهم فلما تحقق امتناع مرو على

اصحابه وبلغه سعي الکرماني في تزويج ابنته من ابنة دهقان مرو متذ شهر رأى ان يختال في قتل الکرماني غيلة . وخطر له ان يتذكر ويدخل في خدمة ذلك الدهقان ويحبس نفسه الى الدهقانة حتى تستأنس به ويكون في جلالة من يحمل معها من الخدم والعيدي الى بيت زوجها فينترب من الکرماني ويغتنم غلاته واطمئنانه ويقتلة فيشتد ازره الخارج وينفردوا بمحاربة مرو فيتم لهم النصر . فاختال حتى يبع للدهقان في جلالة ماليك يعوا له وبذل جهده بالقرب من الدهقانة بواسطة ريحانة بأكان يديه من الجبنون ونحوه حتى وثقت الدهقانة به كل الوثوق وصارت تعهد باصرارها اليه . وكان يعرض ريحانة على تحبيب ابن الکرماني الى سيدتها

ويبلغها هو يسمى في ذلك جاء ابو مسلم الى الدهقان وتزل عنده . فاطلع الفحاك على مقاصده وعرف قوته فاعمل فكرته في تدبیر الحيلة . ثم كلفته ريحانة مخابرة ابي مسلم بشأن زواجهما به كا تقدم فرأى ان يستعين بابي مسلم على قتل الکرماني وابنه بواسطة جلنار . فحسن له القبول بها ونقل اليها خبر رضاه بها من عند نفسه . واراد ان يستخدم الدهقانة لقتل الکرماني وابنه وغيرها اذا افلحت الحال . ثم يتحقق من قتل ابي مسلم اذا ساعدهه الاحوال . والا نيكثني بقتل ابن الکرماني فيفق العينة بلا امير فيحرضهم على الاتخاذ مع شيبان لانهم من العرب وم بالطبع يفضلون العرب على اختراسائهم فينصرون شيبان فينفرد ابو مسلم برجاله اختراسائهم وهم قليلاً فينبليه الخارج وينفرون مرو لانفسهم ويتهم ما كانوا يوماً وله من اخراج بي امية من خراسان والاستقلال بها

فلما جاء ابو مسلم الى مرو وعلم الفحاك ان ابا مسلم لا بد له من الاستعانة بالکرماني على شيبان ونصر ظاهر انه على رايه وأشار عليه بالتفريق بين الاميرين كما رأى بت و Zum انه استببط هذا الرأي من عند نفسه ليكتب ثقة ابي مسلم توصلاً الى اغرائه بقتل ابن الکرماني بواسطة جلنار . وكان في خلال اقامته عند دهقان مرو وبعد قدومه الى معسكر الکرماني يتعدد سراً الى معسكر الخارج ويطلع شيبان على تدبیره . ولذلك ظل شيبان بعد قدوم ابي مسلم الى مرو هادئاً لا يحارب عملاً بمشورة الفحاك بالتربيص . فاما ان يتحارب ابو مسلم والکرماني فيبني احدها الآخر فيخشو الجلو لشيبان او ان يختال الفحاك في قتل ابن الکرماني

وكان شيبان قد تواطأ هو والفحاك في ليل الامس ان يذهب الفحاك الى ابي مسلم فيحرضه على قتل ابن الکرماني على بد جلنار . فاذا تأق له ذلك بمثدا عادة الخارج الى العينة رجال الکرماني يحرضونهم على الاتخاذ معهم لانهم عرب مثلهم ويعطونهم على حيلة ابي

مسلم في التفريق يانهم بالكتب التي ارسلها اليهم مع الرسول . وكانت شيئاً عازماً على مهاجة مروء في صباح الغدحاما يعلم بقتل ابن الكرmani . فبقي امراء في المعسكر يخفون الرجال على الناهب وامر القصاصين ان يتلوا على الجيش اقوال عنترة وغيره من المعاشر الباهلين في الخامسة والخمسين انتهاضاً لهم ومحرياً على العصبية العربية ^(١) — تلك كانت عادة الاجناد العربية في حربها

الفصل السابع والثلاثون

القصاص ورفيقه

وجاء شيبان في ختيم ينتظر قدم الفجاك فلما ابطأ قدموه وقد مفى هزيع من الليل شجروخاف ان يغلب النعاس عليه وعلى امرائه الساهرين معه هذه الغاية . فامر بعض غلامه ان يأتيه بقصاصين يتلو عليه بعض الاشعار او القصص على سبيل التسلية . فذهب الغلام ثم عاد وهو يقول انه سمع قصاصاً يشد اشعاراً حاسبة بصوت رخيم ويضرب على الطنبور باطرب الانقام

فقال «وابن هو ؟

قال «هو بجانب قسطاط الامير . الا تسمع صوته ؟»
فاصاح شيبان باذنيه فسمع نشيداً مطرياً وصوتاً عالياً يدوبي في ذلك اليل المادى ، لعله انقام الطنبور فآثر الغلام ان يأتي به حالاً

خرج الغلام ثم عاد ووراءه شيخ طاعن في السن طوبيل القامة عربيض المنكبين عليه عامة صغيرة واسع الحبة والصدر ايض الشعر وقد غطت لحيته معظم صدره وعليه عباءة حمراء قصيرة ويداه طنبور يضرب عليه بلباقة . وعده رجل قصير القامة على رأسه عامة كبيرة لها زائدتان عريستان احداهما مرسلة الى الوراء والاخرى مدلاة على جبينه فوق عينيه كأنه يشكوك رمداً فاصبح مغضض العينين . واذا مشى تعلق برفيقه القصاصين يتلمس الطريق في أثراه ويداه دفٌ صغار ينقر عليه نقرًا جيلاً

(١) ابن الاثير ج ٤

وكان شيبان في خيمة كبيرة قاتمة على عدة أعمدة في أرضها بساط كبير قد جلس هو في صدره على وسادة وبين يديه بضعة امراء من خاصته . فلما رأى القصاص داخلاً أمره بالجلوس والاشداد بجلس واجلس رفيقه فبدأ هذا بالنقر على الدف نقرًا محكمًا واخذ القصاص في الانشاد بما يعبر الجحاد . فأشد بعض الشعارات ثانية ثم أمره شيبان ان يتند الشعار غيره من الجاهليين فتلا أول زهير وظرفة وغيرها وهو ينفرب على الطنبور بما يحرك العواطف الحاسية . وكلما قال ينتأ حاسياً حاج الامراء وتحمسوا واستعادوه . وطلب اليه بعضهم ان يقص عليهم حرب البوس ويوم ذي قار الذي اتصف فيه العرب من العجم وغيرها من مواقع الجاهلية المشهورة فاجابهم في كل ما يطلبون سواه كان قصة او شعراً او ضرباً على الطنبور ورفيقه ينقر على الدف نقرًا حتى يساعد القصاص بالاشداد وهو مطرق في الارض من ألم عينيه . فطرب الجميع ونسوا ما كانوا فيه من ملل الانتظار . وتجمع رجال الحاشية وانضم في الخيمة وحوطا حتى تكاثروا واحتلوا

ويقظاً هم في تلك الفوضاء دخل غلام تحطى رقب الناس حتى وقف بين يدي شيبان وامرئ اليه قوله . فأشار شيبان اشاره تحرك لها كل من كان هناك من الامراء والحاشية ووقفوا وعلت ضوضاؤهم وهموا بالخروج . فوقف القصاص وتعلق به رفيقه واراده الخروج مع اخارجين بغاها بعض الغنان وامرها بالانتقال من القسطاط الى خيمة اغاثة بجوار ذلك المكان . فخرج القصاص ورفيقه ممسك بطرف ثوبه فرأى القصاص وهو خارج رجلًا طويلاً دخل القسطاط فتخلى له الناس واستقبله شيبان بالترحاب واجلسه الى جانبه وهو يقول « اهلًا بالامير شيب »

ولم تخضِ بعض دقائق حتى خرج الناس من القسطاط الاَّ الامير شيبان والامير شيبان وبضعة امراء آخرين . وتقول سائر الحاشية والاعوان الى خيمة بالقرب من القسطاط . واراد القصاص ان يتصرف فامسكه بعض الخدم وامرء ان يدخل تلك الخيمة وينشد بعض رجال الحاشية هناك فدخل مع رفيقه وانددا بالاشداد والفربر والنقر . فبعث الامير شيبان اليهم ان يسكنوا ثلاثة يشوشا عليهم حديثهم على ان يستبعدوا القصاص الى بعد الفراغ من الحديث ففعلوا



الفصل الثامن والثلاثون

شيبان وشيب

فلم يخل شيبان بشيب ومن ظل في الفسطاط من خاصته انطلق اساه بالترحاب
وهش له واستدناه حق تماست ركبتهما وشيبان يقول «بورك بالامير شيب ٠٠٠ ارجو
أن تكون قد افلحت وأن لنا الظهور»
قال «النجاح لا رب فيه باذن الله وببركة الامير شيبان» قال ذلك واستخرج خاتم
ابي مسلم ودفعه اليه

فبعت شيبان وتناول الخاتم وتغرس فيه فلما عرفه تبس وانتفت الى امير بجاشيه
وقال «هذا خاتم الشاب اخراصاني فاقولكم في من تكن من الحصول عليه؟»
فأجاب احد الامراء قائلاً «ما الذي ينفعنا من خاتمه وهو ممسك امامنا وقد أخذ
مع هؤلاء البيهية وبقى على زمام اميرهم الکرماني بعد ان قتل ابنه فاذا أخذنا على صاحب
مر وغباء ولا فائدة من مقامنا هنا»

فضحوك شيب غير نحوك الضحاك ووجه خطابه الى الامير شيبان وهو يتربع في مجلسه
ويده البيهقي على ركبة شيبان واليسرى يدخل بها ذقنه وقال «لم اخط خطوة الا والاحاسب
ها حساباً وأظنتني أحسنت التدبير وسايقن عليكم رأيي فاذابدا لكم تمديله اطمئنكم فيه ٠٠٠
ثم انتفت يميناً ويساراً كانه يتوثق من خلو المكان من القراء او الخدم فابتدره شيبان
 قائلاً «قل انسا في مأمن من العيون وليس حولنا احد يخافه على افشاء سرنا»

فقال شيب «لا يهمنا هذا الخاتم ان لم يقتل به ابن الکرماني الیة او غداً»
 فقال شيبان وهو يظهر الاعجاب والاستغراب «الیة؟»

قال «قد كنت آتوقع قتل الیة ولكن في حال لا يبقى بها الى ما بعد الغد»
فقال أحد الامراء «وكيف فتنه وهو محاط بالحرس والخاشية؟»

فاعتذر منه شيبان قائلاً «يقتله بالدهاء والذكاء» و اذا كنتم تعرفون دعاء الامير
شيب فلا تستغرون ذلك منه» ثم انتفت الى شيب كأنه يلتئم منه اتمام الحديث فقال
شيب «اذا قتل ابن الکرماني فان رجاله يكونون معنا على ابي مسلم لاتهم عرب مثلنا
وكلهم بيهية وهم طبعاً يكرهون سبع خرامان ومضر مرو ولم يجمع كلهم علينا الان الا

اميرهم المذكور ففي قتل فعلٌ وأشار باصبعه الى صدره) ان اجمع كلامهم تحت قدم الامير شيان فإذا فعلنا ذلك تكادنا اولاً على قتل ابن مسلم وتشتيت جمهور ولا ريب ان نصرأ صاحب مرسو يساعدنا على ذلك او يلزم الحيدار على الأقل «قططع شيان الحديث بقوله « بل هو يساعدنا لانه بعث اليه في صباح هذا اليوم يخطب محالفتي »

قال شيب « ولو لم يطلب هو نصرتنا طلبنا نصرته » وانما الفرض الاول ان تخاطن من ابن الكرماني ولا تخاطن التخلص منه هيناً « بل هو يستحيل على سواي ولذلك حديث يطول شرحه والامير شيان يعرف معظمه »
فاجاب شيان باحناء رأسه واطيابه جفنيه ان « نعم »

قال شيب وهو يوجه خطابه الى شيان « لقد زهرت روحى قبل الوصول الى المطلوب فالثانية المقتونة يحب ذلك اخر اساني جعلها تعتقد انه مفتون بها وانه لا سبيل لها الا بقتل خطيبها ابن الكرماني . وهذا اكثراً اسهلاً كما يحب هذه الفتاة من اسهلاً كما يحب ابن مسلم وأرجو ان يملكونا جميعاً من عواقب الحب » وقد بذلك جهدي في تخريضها على قتل ابن الكرماني او مساعدتي في قتلها بالاسم او نحوه ارضاه لحبيها الذي بالحقيقة لا يحبها وانما ما لا يلي على اظهار الحب لافاده غرضه كما خدعته باسهلاً كي في سهل دعوته لافاده غرضي وهو يحب نفسه يخادعني ويساريني ويظنه مخدوعاً مغروراً وهو المندوب المزور » . والخلاصة اني خدعته حتى دفع اليه خاتمه علامته منه لتلك الدعفانة انه يحبها وانه يريد منها ان تفتت بخطيبها « واعترف لكم اني آمنت منها مقاومته في باديء الرأي ولكنني ساعده الكرة في الند بحيث لا ينفضي اليوم الا وقد نفذت الجبلة »

فظهرت امارات الاعجب على وجوه السامعين وهم يتطاولون باعنفهم نحوه ويراعون حركات شفتيه وعيشه لاستيعاب اقواله . فلما رأى منهم ذلك تمنخن وسكت وهو مطرق كأنه يفكر في امر خطير له بفتحة فسكتوا واصبحوا يتوقفون منه قولهً فإذا هو يخطب حاجبيه ويرفعهما كما يفعل الحائز ثم التفت الى شيان وقال « يقى امر لا بد من الرجوع به اليكم والاعتماد به عليكم »

فتحجمت نظرتهم عليه وقال شيان « وما الذي تريده ؟ »

قال لا بد لنا من تمييز السبيل بطبع كلة هؤلاء المنيعة معنا بحيث اذا قتل اميرهم انخازوا اليانا وتم الامر لنا »

فقال شيان « وهل تفعل ذلك قبل مقتل الرجل او بعده ؟ »

قال « يجب ان نهدى السبيل قبل خوفاً من الفتن .. وأرى ان يكون ذلك بمخاطبة كبار الامراء سرّاً .. ولو لا اشتغالني في ما هو اهم من ذلك لما تكفلت في تغيير اي مسلم الى البيئة اكثراً من اطلاعهم على حيلته في القاء الفتنة بينهم وبين المقربة وهو ازلي الذي كنت عرضته عليه يوم وصوله كما تعلمون . — فإذا اطاعوا على هذا السر مع ما في قوله من الكره الطبيبي للفرس اخذوا معنا لا محالة فما قولكم ؟ »

فلم يبال الكوا ان صاحوا بصوت واحد « هذا هو الرأي الاعلى »

وقف شيب وهو يتوكأ على كتف الامير شيان ويقول « دعوني اذهب الان .. »

فصال شيان « الى اين ؟ »

قال « الى ابي مسلم »

قال « الى ابي مسلم ؟ وماذا ؟ »

قال « لا اعيد اليه خطمه فقد فارقته على ذلك فيجب ان اصدقه لئن لانا الحية ولكن استشهاده ربنا اقتل ذلك المفروض »

الفصل التاسع والثلاثون

رد الخاتم

وقف شيب ووقف سائر الامراء فلما هبهم الالحظة وخرج مسرعاً ولم يقل شيئاً فلما خرج عادوا الى بخالسهم وهم معجبون بيديره ودهائه ولبنوا هنية يتدالون في ذلك الموضوع وقد اشرحت صدورهم واطمأنت قوسهم وأيقنوا بنجاح مسعاهم ثم اتيوا لما كانوا فيه من سباع القصاص وغفره فصنق الامير شيان فدخل أحد القلمان فصال في « الى » بالقصاص .. اين هو ؟

قال « تركته مع رفيقه الضرير في خيمة الاعوان وقد ترصا ربنا يؤذن لها بالاشارة »

قال « الى » بهما *

خرج الغلام ثم عاد وهو يقول « لم أجدها يا مولاي .. يظهر انهم ذهبوا الى الرقاد لأنني آتت فيها نعاساً شديداً بعد ان أمرها بالسکوت حتى رأيتهم ناماً والناس جلوس فتوكلوها نائين وخرجوا فذهبوا اليها الآن فلم أجدها فالظاهر انهم استبطأوا الامير في دعوئما فالضرف »

قال « لا اظنهما يتصرفا قبل ان يأخذنا الجاثرة البحث عنهم جيداً حول هذه الفساديط فقد اطربانا فيجب علينا اكرامهما »

خرج الغلام وعاد بعد برهة ولم يعر عليهم فاسف الامير لذهابهما بلا جائزة وأوصى الغلام ان يغري شأنها في الغد ثلاثة ينسبا الامير الى البغل .. ثم ارفقت الجلسة وذهب الامراء الى الرقاد وظل الامير شيشان وحده يدبر الوسائل لخاتمة الامراء اليمنية في الغد اما شيشان فلما بعد عن معسكر الجنود وسار توسعاً الى معسكر ابي مسلم .. فوصل المعسكر وقد مضى معظم الليل ثم اقبل على المنزل الذي فارق ابا مسلم فيه ولم يستغرب وجوده مستيقظاً الى تلك الساعة لعله يسره على مصلحته وتيقظه في مراعاة مشروعه .. ولم يلق الشحاذ معارضه من احد فلما وقف بباب دخل به الحارس على ابي مسلم فادا هو لا يزال يبابس النهار فلما دخل احتفل ابو مسلم بدخوله وبش له وناداه قائلاً « اهلاً بالشحاذ .. ارجو ان تكون قد وفيت بالوعد » فدعا الشحاذ يده وتقىدم نحو ابي مسلم باحترام واغاثة بين ايمانه والسبابة وقال « هذا هو الخاتم يا مولاي فقد أدى مهمته .. شكرأ له ولصاحبه »

فند ابو مسلم يده وتناول الخاتم وهو يقول « بل الشكر لك ايهما المقام .. هل ارسلت الرجل الى خوارزم ؟ » وكانت عادته اذا اراد قتل رجل قال « ارسله الى خوارزم » يكفي بخوارزم عن الموت

قال « لم استطع ارساله اليه لاني وجدت الدقة مترددة في افاده الحكم لانها لم تتعود مثل هذه الاوامر المستعملة » وضحك فسايره ابو مسلم في الضحك وقال « لا يأس من الاتصال ولكن هل استوثقت من قيامها بالامر غداً او بعد غد ؟ »

قال « نعم لانها لما شاهدت هذا الخاتم هان عليها كل صعب في سبيل مرضاة صاحبه » فاظهر ابو مسلم الاسخنان والاعجذاب واشار الى الشحاذ ان مجلس وقال « اذا توافقنا الى ما قلنا وتفتحنا مرو كأن ذلك عندنا مقام رفيع وورتبة عالية »

فاثنى الفحاك على ذلك التلطف ولم يجلس وقال «ان اسي ما ثوق اليه نشي من
الرتب ان اكون حائزًا على رضى مولاي .. و اذا اذنت لي بالانصراف الان ذهبت
لاقام امرك»

قال «لا ينبغي ان تجعل في الامر على هذه الصورة اثلاً يشد علينا تدبيرنا ولا اظن
الدهقانة ثوفق الى تفتيذ ذلك قبل جلة أخرى تقنعها فيها ببلادة ومهارة وفي الان
لاشك نائمة فالاحسن ان تبقي الليلة عندي فاذا طلعت النهار ذهبت في هذه المهمة»
فاظهر الطاعة وهو يفضل التهاب لاقام ما ابرمه مع شيبان فوق لم يجر جواباً وسكت
ابو مسلم واخذ يختبر في الغرفة ذهاباً واياباً فلم يفجعه انه يعلم فكرته في امر هام فظل
ساكتاً لعل ابا مسلم يعدل عن استبقائه عنده . وبعد برهة وقف ابو مسلم بجانب الفحاك
بغية والي بيده على كتفه بلطف فاستأنس الفحاك بهذا التحجب واصبح يسعده لما سبق قوله
ابو مسلم فاذا هو يتعرض في عينيه تفوس مستطلع ثم قال بعبارة رقيقة ناعمة «هل انت
مشرع حقيقة بمنزلك عندي وعظم ثقني بك ..»

وكان الفحاك قد خاف ذلك التفوس لما يعتقد من سوء قصده ولما يعلم من
صدق فراسة ابي مسلم — ويقاد المرقب يقول خذوني — فلما ممع منه ذلك التلطف سري
عنيه واجاب «كيف لا اشعر بذلك وقد سلتي خاتك وعهدت اليه باسرارك»

قال «لايزال عندي سر آخر هل اكشفك به»

قال «ذلك الامر فيما تربى اما انا فاني طوع ارادتك»

قال «اجلس اذما واسع» قال ذلك واجله وبده على كتفه . بخالس الفحاك وهو
يتطاول بعنقه لسمع ذلك السر الجديد لم يلهم يساعدء على غرضه

الفصل الرابعون

سر جديد

فلاجلسا قال ابو مسلم بصوت مخفض «انت تعلمكم معي من رجال خراسان وهم
طوع ارادتي . ولكنني لاثق الا يغضبهم ولا اسلم سرتى الى احد منهم وقد خطر لي في
هذه الساعة خاطر اردت ان استثيركم فيه لما انته من اخلاصك وصدق خدمتك

ودعائناك - وان كنت تظاهر بالله والجحود فانت اهل لمراتب العمالية . فاعلم ان تواظوتنا على قتل ابن الكرماني لا يعلم به احد من رجالى حق ولا خالد بن يرمك ولا سليمان ابن كثير خافة ان يطرا ما يفسد علينا تدبیرنا وقد خططت لي الان امر زادني خوفا من الفشل »

قال « وما هو يا مولاي ؟ »

قال « اذا نحن قتلا ابن الكرماني من يفهم لنا الصياغ رجاله البنا وهم عرب ونحن فرس لا تظنهم يخازون الى غيرنا ؟ »
فما يفهتم الفحاك وقال « والى من تعني يا مولاي ؟ اما اخيارهم الى نصر فامر بعيد لانه قتل اميرهم الكبير »

قطع ابو مسلم كلامه قائلاً « انا اعلم انهم لا يحبون نصرًا ولكنهم قد يخازون الى جند الموارج المُسْكِرِين هنا .. اصدقني لانك عربي وتعرف اغراض العرب الا تظن امراً اليه ينضلون او لئلاً العرب علينا ؟ »

فاطرق الفحاك وقد وقع في حيرة لا يدرى بماذا يجيب واستغرب هذا السؤال ولكنه تجاهل وتنظاهر بالذاجة وقال « اظنهم ينضلون العرب طبعاً »
قال « يخطر لي خاطر استعنكم فيه فاما ان توافقني عليه أو تدفعه هنا ولا يعلم به احد »

قال « اني طوع امرك يا مولاي »

قال « فددعت من اصحاب الخبر الذين يشتهם في معسكر الموارج منذ قدوسي الى هذا المكان انهم يتبعون حالة نصر بن ميار صاحب مرو على حربنا وحرب ابن الكرماني فيقطّرلي الان ان احالف هو لاد الموارج على نصر وابن الكرماني فاذًا قتلتانا هذا جعلنا قيادة العرب اليه كافية الى الامير شبيان بشرط ان يكون حلينا على نصر لأن الغرض الاصلي الذي قتنا لاجله بدعة الامام انا هو اخراج الخلافة من بي امي وليس الغرض ان نفتح مرو او غيرها من مدن خراسان .. وهذا أمر عميق لو علمت ان طائرًا تنس ريمه قتلتك وانت تعلم اني اقتل على التهمة بامر الامام ... »

فتوسم الفحاك من وراء هذا السر خيراً كبيراً لمشروعه الاصلي فاقبل نحوه مسلم بكليته ودشن له وقال « اني استغرب تهديدك اي اي وسوء ذلك بي وقد اوتيت فراسة تختلف بها الصدور وتطلع على امسار القلوب فاذَا كنتم ترتتاب في صدق نبغي اقتلني حالاً »

فابتسم ابو مسلم وقال « قد عملت مكنته قلبك ولكنني ازداد اختباراً . فاعلم انا لو
لقينا مرو في هذه الساعة فاما قصدنا من فتحها اخراجها من سلطان بنى امية ثم لا يهمنا من
يتولاها بعدم واعترف لك اني خائف من اولئك الخارج والحادهم مع رجال ابن الکرماني
بعد قتلهم فإذا كانوا هدنا اتعبونا وخصوصاً اذا حالفوا نصراً صاحب مرو فهو من سهل
الى اميرهم شیبان ٠٠٠ هل تعرفه او تعرف احداً يستطيع التوسط بيننا وبينه لبرم اتفاقاً
يقيتنا شر ما تخافه ؟ »

فلما سمع الشحاذ قوله استبشر بالفوز وايقن بفتح معاه على اهون سبيل فقال « اما
الامير شیبان فاني اعرفه وهب اني لا اعرفه فلا اعدم وسيلة في مخابره ٠٠٠
قال « صدقتك ان من كان في مثل تعقلك ودهائك لا يعدم وسيلة في ذلك لكنني
استشيرك اذ خاف ان اكون واهماً في تصوري وقد استودعتك سرّي وجعلتك ثقتي
فانصحني »

قال « اذا جاز لعلي ان يدي رأياً بين يدي صاحب دعوة الامام ابراهيم فاني اهتاك
على هذا الرأي السديد وخصوصاً بعد ان علمتُ الفرض الاصلی من القيام بهذه الدعوة
لان هو لا ، الخارج لا يطمعون باكثر من الاستيلاء على مرو . واذا كان استيلاً لهم عليها
برضاك كانوا عوناً كبيراً لك في سائر الفتوح ولا يخفى عليك انهم يكرهون المفرية
اكثر من كرههم الفرس فإذا حالفتهم خدموك ونصروك »

فاظهر ابو مسلم الارتياح الى نصيحة الشحاذ وقال « فعلينا اذًّا ان نخابر الامير شیبان
ولا اثق باحد سواك ٠٠ فهل اعهد هذا الامر اليك ؟ »

قال « اذا كنت واثقاً بقولي فاني اطوع لك من بذلك »

قال « لا اثق بسواك فامكث عندنا الاليلة فازوروك في الغدر رسالة تذهب بها الى الامير
شیبان واترك الى فطنك اسلوب ابلاغها بحيث يكون القوام مضموناً »

قال « كن في راحة من هذا القبيل »

قال « فاذهب الان الى رقادك في هذه الغرفة (واثار الى غرفة بالقرب من المكان)
وفي صباح الغد اهليه لك الكتاب »

فأشار مطليعاً وذهب الى فراشه وهو لا يصدق بما توفق اليه من اسباب السعادة ولم
يستطيع رقاد امن شدة الفرح الا قبيل الفجر فان النعاس غلب عليه فنام . واستيقظ في
الصبح فنهض وتهياً للذهاب وهو يخاف ان يعدل ابو مسلم عن عزمه فإذا بعض الغلبة

يدعوه اليه فهروه حتى وقف بين يديه فدفع اليه كتاباً مختوماً وقال له «ضع هذا الكتاب في مكان سرتني فاني لا اريد ان يطلع عليه احدٌ من رجالى واذهب من هذا الطريق (وامض الى طريق غير الذي تعود المجيء منه) واذا علمنت ان احداً من رجالى اطلع عليه او علم به فاتت تعرف جزاءك»

الفصل الخامس والاربعون

فتحوا الكتاب وخفأه في جيبي ووضع ابا مسلم وخرج وهو في لباس المجنون من الجبلة والمعامة المخرفة والنعل في رجليه ومشي من وراء الخليم حتى توارى عن ابي مسلم ثم عرج ليدور من وراء المعسكر وهو يسرع في خطواته فرأى بضعة فرسان عرف من لباسهم انهم من رجال ابي مسلم فتحول ليبعد عنهم شفاعة ان يسألوه عما يحمله فاذا هم يركضون افراسهم نحوه فظل مسرعاً فاصبرعوا هم نحوه حتى احدهم فو قبه وشار احدهم الى رفاته فانقضوا عليه وضايقوه فوقف وسالم عما يرددون فابتدره رجل منهم ملثم وقال له «من الرجل؟»

فخير ولم يدر بماذا يجيب ثم قال «اني عابر سبيل»

فقال له «ليس هذا سبيل للعبور قل لنا من انت وما غرضك؟»

قال «لا شأن لكم بغربي فاني سائر في مهمة ..» ولم يجرس ان يخبرهم عن مهمته فتحول بضعة منهم وفي ايديهم الجبال واوثقوه وقيدوه وهم يقولون «اما ان تخبرنا عن غرضك والاً فانك اسير عندنا»

قال سيروا بي الى الامير ابي مسلم فتعلمون من انا»

قال «لا نسير بك اليه ما لم تخبرنا»

فصاح فيهم «اذا لم تسرعوا بي اليه فانكم نادمون»

فقالوا «اذا كنت رسولاً فابن الكتاب الذي انت ذاهب به والاً فانك عدونا» وطال الجدال يتنبه ويذمهم وهو لا يجرس ان يخبرهم بالكتاب الذي يحمله فاطاعهم خوفاً على حياته وهو يهددهم بما سيلاقونهم من عصب ابي مسلم اذا لم يطلقوه فاجابه القارس المثلث قائلاً «سارسل فارساً يخبر الامير يا مرتك اذا امر باطلاقك اطلقناك»

فرضي الضحاك بذلك وادعن لهم فساقوه الى خيمة على امكّة تشرف على معسكر ابي مسلم فوقفوا به هناك حيناً وهو يتوقع رجوع الرسول حالاً فشاعت عيناه وهو ينظر الى المعسكر وقد توارى الرسول عن بصره وراء النيل والثلال والثليام وادا هو يرى حركة في معسكر الطراسانيين ثم سمع قرع الطبول وتقطخ الابواق فنطلع فرأى الطراسانيين على خطوطهم وقد شرعوا الاستنة وساروا والاعلام السود لتقديمهم يعلوها لواء الامام ورايته وكانت يارز بن صعداً يدفعه اذرع فوق سائر الاعلام . فايقن ان الطراسانيين سارون لماحة مرو ثم وقفوا تجاه المدينة فاستغرب وقوفهم وارسل بصره حول مرو فرأى اعلام ابن الكرمي ثخنقاً بين يدي الفرسان اليمينية وقد ركب رجال ال الكرمي وفرعوا طبوقهم وشرعوا استبهم واقتلوها على مرو من جانب آخر . فظن لاول وهلة ان رجال ال الكرمي قد ادمنوا لصد الطراسانيين ثم ما لبث ان رأى ميسرون فهو المدينة بزم ثابت والسهام تطأير فوق رؤوسهم . ولم تمض ساعة حتى دخلوها من احد جوانبها . وادا يابي مسلم ورجاله قد دخلوها من الجانب الآخر فاستغرب الضحاك ذلك وزاد استغرابه لما رأى اللواء والراية قد غرساً بباب قصر الامارة في وسط مرو فعلم ان ابا مسلم قد دخلها . ثم رأى حامية المدينة يخرجون منها خروج النازرين وقد عرف من اعلامهم البعض انهم جند بني امية ورائي في جملة الماربين جماعة من الفرسان عرف من قيافتهم انهم من كبار القوم وادا باحد الفرسان الواقعين الى بجهاته يهتف قائلاً « هذا نصر بن يسار قد خرج هارباً »

فاثقت الضحاك فرأى شيخاً جيلاً عليه عمامة بيضاء كبيرة وقد ابسطت لحيته البيضاء على صدره وهو يهز جواده طليلاً للفرار وحوله بضعة من فرسانه فتنذكر انه يعرفه ثم تتحقق انه نصر بن سيار ومعه أولاده وأهله — ولم يفر نصر الا وهو لا يرى حيلة في استبقاء المدينة — فلما رأى الضحاك ذلك كله دعشن ونبي اسره واعمل فكرته في ما كان يتوفمه من اخحاد اليمينة والخوارج على ابي مسلم واستقرب عجلة ابي مسلم في الفتح على حين انهما كانا على موعد من مقتل ابن الكرمي قبل القتال . فظل الضحاك واقفاً وهو مشرف على مرو كثناً بين يديه براعي حركات الجند فلما لبث ان رأى رجال ال الكرمي يخرجون من مرو الى معسكرهم ومعهم ابن ال الكرمي نفسه عرفه من رايته فاستقرب رجوعه بعد تمام القتال وتذكر جلال الحال وعلم انما في خوف ليس على حياته ولكنها تخفف ان يبني ابن ال الكرمي بوعده من لا يتروجهها الا بعد قتله مرو وقد فتحت ودخلها ابن ال الكرمي وهان الامر . ثم تذكر ما تواتطاً هو وأبو مسلم عليه من مقتل ابن

الكرماني وضم رجاله الى رجال شيبان ويتادر الى ذهن سوء الفتن في ابي مسلم وخلف ان يكون قد خدده بذلك الوعد على انه لم ير مسوغاً لسوء الفتن وهم في ذلك اذ رأوا فارساً مقبلاً على تحمل من جهة مرو فعرف الصاحب انه الرسول الذي كان قد ارسله خاتمة ابي مسلم بشأنه عند القبض عليه وحال وصوله ترجل عن فرسه وقدم نحو الصاحب مهولاً وهو يقول «لقد أخطئنا إليك والى الامير» وأخذ في حل ونافه وهو يخاطب رفقاء الفرسان قائلاً «ان الامير لما علم بالقبض على هذا العربي غضب غضباً شديداً لانه كان قد أفسد في مهمة ذات بال وهو يقول لكم اكرمه وسيرا به الي الان في قصر الامارة»

الفصل الثاني والاربعون

فاطمان الصاحب وعلم انهم قبضوا عليه خطأه فاركبوه فرساً وساروا به الى مرو فدخلوها من باب بالين فشاهدوا الناس في حركة واكثراهم فرحون بذلك الفتح لأن جهور أهلها من الفرس وكانتوا يفاسون العذاب في سلطة العرب المفسدة وكان نصر قد أراد اصلاح ما أفسده اسلافه فلم يستطع وذهب سعيه عيناً وخرجت مرو من يده رغم ارادته و كان الحراسانيون قد ملوا حكومة العرب منذ تو لاهم بنو أمية لأنهم كانوا يسمونهم سوء العذاب يقولون عليهم العمال ويوصونهم بجمع المال بأي وسيلة كانت و كان أهل مرو قبل الاسلام مجوساً و عليهم الجزية فرغبو في الاسلام غير مرة وأسلم كثيرون منهم فكان بعض العمال يعذبون اسلامهم حيلة للتخلص من الجزية فلا يرفو عنها عليهم فطالبوا بهم بالجزية وهم مسلمون فيرجعون عن الاسلام وقد فعلوا ذلك غير مرّة حتى تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز وكان مسلماً حقاً فبعث الى عماله ان يضعوا الجزية عن اسلامه و من اقواله من كتاب كتبه الى الجراح عامله على خراسان وقد شکوه انه يأخذ الجزية من اسلام «انظر من صلي قبلك فضع عنه الجزية» فسارع الناس الى الاسلام فقللت الجزية فكتب الجراح الى عمر بذلك فاجابه «ان الله بعث نبيه محمدًا داعياً ولم يرسله جائياً على ان هذه النعمة لم تدم على اهل خراسان لقصر خلافة عمر فلما قتلوه وولوا

من خلفه عادت الاحوال الى ما كانت عليه واعل خراسان وخصوصاً مرو ويزدون ان يخافون من حكمتهم ولذلك كان فرجهم في مسلم عظيماً وتهافتوا اليه بهشونه وبياعونه فوصل الضحاك الى قصر الامارة والناس قد تراحموا اعتدابه وفيهم الدهاقين والنجار والملاخن والعلماء والصناع وغيرهم وقد زارت الافراس وعات الغوضاء فلما رأوا فرسان أبي مسلم عرفوهم من قياقهم فوسعوا لهم فترجلوا ودخل أستان ومعهم الضحاك حق قطموا محنة الدار الى الباب الداخلي الكبير فرأوا الناس يتسابقون اليه والحرس يوقفونهم وبالباب حرسى من رجال أبي مسلم خالدا رأى الرجالين وسع طها وأدحافهما ومعهم الضحاك

فاما وقف الضحاك بالباب اذا هو في قاعة واسعة جلس في صدرها أبو مسلم وفوق رأسه راية سوداء وعاليه عمامة سوداء وثياب سود والتي جاءه خالد بن رمك في مثل تلك ورين يديه أنسا عثمر اميرأ بالباس الاسود عرف منهم سليمان بن كثير وطلحة بن رزيق وعلم ائم القباء الاثني عشر الذين اختارهم الامام من السبعين تقريباً الذين قاموا بالدعوة العباسية في أوائلها فاما دخل الضحاك وقع نظر أبي مسلم عليه فابتسم له وأشار اليه ان يدخل ويجلس على كرسي في بعض جوانب القاعة فدخل وحده وانصرف المحساني فشاهد في بعض جوانب القاعة وهو داخل ركاماً من البرابط والميدان وآية المطر وألم امير تركها الامويون في ذلك القصر عند قرارهم فقال الضحاك في نفسه « تلك آثار الترف الذي يذهب باهلة الى الدمار »

وكان أبو مسلم في مقاومة مع نقبائه ثم أشار لهم فتحوا وجلسوا الى جانب الا واحداً هو طلحة بن رزيق النقيب فظل واقفاً بين يدي أبي مسلم وعليه قبالة اسود وعمامة سوداء وأشار الى صاحب الباب ان يدخل الناس لأخذ البيعة ازواجاً فدخل اولاً الفقهاء والعلماء ثم القواد والكتاب والاعيان والدهاقين وغيرهم فرأهم الضحاك يدخل أحدهم حق يقف بين يدي أبي مسلم فيسام عليه بالامارة قائلاً « السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته » ثم ينادي باعلى صوته ويقول طلحة يقول معه وهو نص البيعة « أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من اهل بيت رسول الله وعليكم بذلك عهد الله ومبانه والطلاق والعتاق والذبي الى بيت الله الحرام وعلى ان لا تسألو رزقاً ولا طمعاً حتى ينتدلكم به ولا لكم »^(١)

فإذا فرغ من نص البيعة وقاطعاً معه طلحة رجع وتقدم سواه و كانوا يتساقطون إلى ذلك وأمارات البشر على وجوههم فتعجب الضحاك من ذلك وتنفس في سره لما رأه من تردد أهل مرو بالخراسانيين وأصبح على يقين أن صاحب شيان لا يستطيع دخولها بعد ذلك إلا باتخاده مع أبي مسلم وهذا لا يكون الا بقتل ابن الكرماني

مضى معظم النهار في اخذ البيعة ثم وقف أبو مسلم وأشار إلى طلحة ان يأخذ البيعة عنه بين يدي خالد بن يرمك وتفى إلى بعض الغرف وأواماً إلى الضحاك فتبعد . فلما خلوا قال أبو مسلم «لقد ساء في ما أصابك من التأخير بسبب جهل أحد رجالى وقد كنت عازماً على الانتقام منه بين يديك لوم يتفق لنا ما يسرنا في هذا النهار على غير انتظار . . . ولعلك تستغرب فتح هذه المدينة بمثل هذه السرعة على حين اني كنت عازماً على التأجيل بضعة أيام ربئاً نتم اتفاقنا مع الامير شيان كما اتفقنا بالامس . . ولكن سخت لي في هذا الصباح فرصة خفت ضياعها فاغتنمتها وقد نجحت فيها . . . » قال ذلك وتنهج وتشغل بقبض ذئبه

وكان الضحاك جالساً على ركبته احتراماً لأبي مسلم ومع ما آنسه من انعطافه وابطاله شفوه في أثناء الحديث فان هيبة مازالت غالبة عليه ولكنـ كان يظهر اصحابه . واهتمامه بمراعاة حركة فمه لانه لم يكن يستطيع التغرس في عينيه لخداعهما ولا ينبعث من نورها الباهر وقوتها القاتلة على الابصار والقول . فلما شاغل أبو مسلم بالتحدة اظهر الضحاك رغبته في استئصال الحديث فقال أبو مسلم «اما سبب هذه الجلة فان ابن الكرماني بعث اليـ في صباح هذا اليوم بعد ذهابك مع رسول مستحب يقول لي «لقد آن فتح مرو فادخل انت ورجالك من ناحية وادخلانا ورجالـي من ناحية اخرى فقسمـتـ المـديـنةـ عـلـيـ اـهـوـنـ سـيـلـ» ففأذنته يقول ذلك مخادعة بعثـتـ اليـ «لستـ آمنـ انـ تـجـتمعـ يـدـكـ وـيدـ فـصـرـيـ سـيـارـ عـلـيـ مـحـارـيـتيـ وـلـكـ اـدـخـلـ اـنـ شـاـبـ الـحـربـ معـ اـصـحـابـ نـصـرـ ثـمـ اـدـخـلـ اـنـاـ» وـقـلـتـ فيـ تـقـسيـ اـذـاـ كـانـ قـدـ فعلـ ذـلـكـ حـيـةـ فـلاـ يـطـيعـيـ وـالـأـ فـلـيـكـ اـخـطـرـ عـلـيـهـ فـتـهـضـ بـرـجـالـهـ وـاـنـشـبـ الـحـربـ فـأـرـسـلـتـ اـنـاـ بـعـضـ رـجـالـيـ دـخـلـوـنـاـ الـمـدـيـنـةـ مـنـ نـاحـيـةـ اـخـرـىـ فـتـفـتـحـ عـلـيـنـاـ فـدـخـلـتـ هـذـاـ الـقـصـرـ وـأـمـرـتـ اـبـنـ الـكـرـمـانـيـ وـرـجـالـهـ بـالـخـروـجـ مـنـهـاـ إـلـىـ مـعـكـرـمـ لـكـ تـمـكـنـ مـنـ مـشـرـوـعـنـاـ الـذـيـ تـعـلـمـهـ» فـذـعـلـ الـضـحاـكـ لـشـدـةـ ذـلـكـ الرـجـلـ وـدـهـائـهـ وـنـيـ مـاـ كـانـ يـتـكـلـفـهـ مـنـ الـضـحـكـ فـيـ اـشـاءـ تـمـاجـهـ ثـمـ اـنـتـهـيـهـ لـذـلـكـ وـخـافـ انـ يـشـكـ اـبـوـ حـسـنـ فـتـفـاحـكـ وـقـالـ «ـاـنـ المـشـرـوعـ يـاـمـلـاـيـ عـظـيمـ الـاـهـمـيـةـ فـهـلـ اـنـ مـصـرـ عـلـيـهـ» .

قال «اين كتابي الى شيبان؟»

فمد يده واستخرجه ودفعه اليه فقال ابو مسلم «اين لا ازال مصرعاً على ذلك وربما زاد اصراري الان بعد فتحه مرو على يد ابن الكرماني لانه ارتفع في عيني نفسه فربما توه له الفضل علينا فخدمناه نفسه ان يعلينا ولذلك فاني لا ا منه ولا بد من قتله لثلا يكون حجر عثرة لنا ... وقتلها هرين عليك بواسطة تلك الفتاة المفلونة ... فاذَا قتله خلسة سعينا في ضم رجاله الى رجال الامير شيبان ثم اسلمه قيادة هذه المدينة وامضي في عملك ... الا اذا كنتم لا تثقون بهذا الحروري وتختلفون ان يخوننا اذا سلطنا الامر اليه ...»

قال «لاخوف منه» فاذَا عاهدوني وخصوصاً بعد ان ملكت ناصية الامر وباءلك الناس ...»

فقطع ابو مسلم كلامه وقال «وهل لخلقت ان البيعة لاهل بيت النبي عامة وليس لبني العباس لان الناس لم يعرفوا لبني العباس الحق في الخلابة بعد وانما لهم يعرفونه لآخر طالب ولذلك جعلنا البيعة مشتركة فمن فاز من الرهطرين كانت الخلابة لهم ... فلا افلن ذلك يوؤخراً الامير شيبان عن القبول بمخالفتنا ...»

قال «كلا يا مولاي ...»

قال «فعلينا اذن ان نبدأ بقتل ذلك الاعور كما وعدتني ولا تظن احداً ينال من المقام في امرنا ماستناله انت وسلطعلم الامام على فضلك»

قال «اني لم افعل غير ما يجب عليّ ولا انوقع منك جزاء غير رضاك»

قال «هل قتلت؟ الليلة؟»

قال «ابذل جهدي في ذلك»

قال «انت تعلم طبعاً ان قتله يجب ان يكون سراً فلا يدرى رجاله الا انه مات موتاً طبيعياً ...»

قال «كن مطمئناً يا مولاي» قال ذلك ونهض وحياناً ابا مسلم متقدماً. وبهم بالاظروج فوقف ابو مسلم لوداعه وقال له «urg بابراهيم اخازن لعله يتنعم في هذه المبهمة ... فلما سمع اسمه تذكر الليلة التي لقيه بها في بيت المدقان وهو يعلم مكره وضعف ذمامه فقال «اين هو» فاشار الى مكانه في غرفة اخرى فسار الصحاح اليه على ان يتعاونا في الامر



الفصل الثالث والأربعون

أول الحيلة

فاندري الى جلنار فقد تركناها مع ريحانة بعد ذهاب الفحاك في مساء الامس وهي
جالة في فراشها ملتفة بالملطرف غارقة في بلجع المواجه فلما خرج الفحاك خللت برهة
ساكتة مطروفة تذكر بما سمعته منه وكملا تهورت اقدامها على قتل خطيبها ترتعد فرائصها
ويقشعر بذنبها . وكانت ريحانة تلاحظ اضطرابها ولا تلومها لعلها بعظام ذلك الامر على
فتاة لم تعود مثله . وبعد ان تعبت من التفكير توسلت الفراش تائسر الرقاد نظرت
ريحانة جالسة بقربها حتى تحققت انها نامت فذهبت الى الرقاد

وما افاقت جلنار في الصباح الا على قرع الطبول وتنفس الابواب فذعرت ونادت
ريحانة فاستفهمت عما تسمى به . فقالت «رأيت الجندي يتأهبون للهجوم على مرو» خنق قلبها
ونوكات على ريحانة حتى اهطلت من باب الظباء فشاهدت مثل ما شاهدته المرأة الماضية
وكان قد أفلت هذا المنظر فلم يكن خوفها مثلك في تلك المرة . ثم مالت ابنة رأت
خطيبها يسوق جواده نحوها وهو مدجج بالسلاح وصينه مجرد يده فلما رأته مقبلاً توارت
حياته فنادتها فاطلت فصاح والسيف مشهير بيته «ابشرني ايتها الدقة اننا فالخون مرو
اليوم ومنيبيت الليلة في قصر الامارة ان شاء الله»
تفجعت من قوله وساعتها تلك الشارة قررت واستدرت وراء ريحانة فاجابت ريحانة
عنها قائلة «نصرك الله على اعدائك وبالذك مراديك»

فاكتفي على بذلك وهجم ورجاله سيف اثره فلما بعدوا قالت ريحانة ليس بها
بالفارسية «اني ارى الخراسانيين ايضا هاججين» فاطربها ذكر الخراسانيين لأن ابا مسلم
فيهم ونقدمت بمحبت ترى ذلك الجندي فاذهم يزحفون على مرو من الجهة الأخرى فقالت
«اذا انحوا مرو فانما يتحققونها بمسألة ابي مسلم ... اين هو ياترى؟»

فقطاولت ريحانة وجعلت تغوص في الفرسان حتى وقع بصورها على الراية واللواء وهذا
يتأطنان السحاب بارتفاعها فقالت «ينبني ان يكون ابو مسلم هناك» خذلت جلنار يعمرها
في تلك الناحية فرات ابا مسلم وقد عرفته من طوله ولون فرسه ولباسه الاسود فتم

وجهها فرحاً بروبيته ولكنها مالبثت ان اوجست خيفة عليه من الببال المتساقطة وسلت امرها الى الله

ثم رات علياً دخل مرو من تلك الناحية ودخل ابو مسلم من الناحية الاخرى فتحققت فوزهم فلم تدر افراح بذلك الفتح ام تخزن لانها تذكرةت وعد ابن الکرماني انه لا يتزوج بها الا اذا فتح المدينة وتذكرةت قول ريحانة انه لا يستطيع فتحها فالتفت اليها وقالت «كم قلصر انه لا يقوى على فتح هذه المدينة وهذا قد فتحها .. وبالله لقد دنا اوان الخطر» قالت ذلك ورجعت الى غرفتها وجلست على الفراش وغلب عليها البكاء وتبعتها ريحانة واخذت تحقق عنها عيناً فقالت جلنار «اين هو الصحاح ياتري؟ امه بقدر على تحقيف ماينا»

قالت ريحانة «لا يلبث ان يأتي وعنه الماء الناجع لهذه المصيبة ...»

فادركت جلنار تعرضاً لقتل ابن الکرماني فقالت «ولكنه دواه امر من العقل ولا يمكنني شربه ... كيف اقتل رجالاً يحبوني وان كنت لا احبه» وآن وقت الغداء فتناولاه وها نتوقعان ان يبعث على اليمما بالانتقال الى قصر الامارة واذها تمungan دبدبة وصهلاً وضواطه ثم علما ان جند الکرماني رجع عن مرو بعد تفتحها وظلت لابي مسلم وحده ولم تفها السر في ذلك همكتها تنتظران ما يكون وجلنار خائفة من ذلك الفتح ثم نهضتا معاً وجلنار لم تعد تصير عن ريحانة لاستئصالها بها في تلك الشدة حتى جلسنا في غرفة الرقاد وجلنار تشكوك وتغوف .. فلما رأت ريحانة فلقها قالت «لا ادري ماذا انكرهين ابن الکرماني وهو يستهلك في هواك ويجهل مقامك ويهزمك وخصوصاً بعد الذي اوتى من الشر بفتح هذه المدينة وقد انتقم لايته ...»

فأسرعت جلنار ووضعت يدها على فم ريحانة كأنها تنهما من الكلام اشجاراً من الحديث واكتفت بذلك جواباً .. فادركت ريحانة اتها لا تؤدي الخوض في هذا الموضوع فسكتت وقد أخذتها الحيرة لا تدرك كيف تقدّس سيدتها من ذلك الشكل .. فتركها في الغرفة وخرجت لستطلع حال المعسكر بعد فتح مرو وفوجدت الحيوان لا زال في اماكنها وقد أبعدت الحيوان الى مرابطها وغرست الاعلام في مغارتها وقطلت الى قسطنط الامير على فادها هو لا يزال كاكان والراية منصوبة يابه وقد تزاحم وفود المهفين والمشدين .. وسرها عود ابن الکرماني لانها كانت تظنه يبقى مع ابي مسلم في قصر الامارة فاطمأن بالها من هذا القبيل .. وكانت الشمس قد مالت نحو المغرب فالفتحت خنو مرو وفرأت جسادات من الباعة سرروا منها وفيهم من يحمل فاكهة او طعاماً او العاباً لينكروا

ببعها في ذلك المسرك بعد ان زال الحصار عن المدينة وكفت الحرب وشاهدت في جبهة اخارجين رجلاً طويلاً قادماً نحو الجبل فلما بنت ان عرفت انه الصحاحد قال سبّر بقدومه وأرادت ان تسع الى سيدتها فشار إليها ان تقف فوق قمة حى اذا دنا منها اوصاً إليها فدخلت معه اخباره بحيث لا يراها احد فقالت « ما وراءك »

قال « هل من حيلة لنا في النجاة من ابن الکرماني غير قتيله وقد فتح مرو وحق له الزواج الا اذا كانت مولاتنا تفضل الاقتران به وهذا يرجع الى خاطرها »

قالت « قد عرفت في هذه الساعة انها لا تستطيع ذكر الاقتران به »

قال « فاذأ »

قال « ولا تصور الاقدام على قتيله »

قال « وانت ايضاً حيّة مثلها ؟ »

قالت « اريد ان أقدم انا على قتيله وكيف اقتله ؟ »

فضحك وغاجن وقال « وهل القتل صياغة او تطريز ؟ ليس اهون منه على الانسان

ولا يخيل لك ان المراد قتيله بالبارزة او المطاعنة وانما هي حسوة او لفحة وقضي الامر »

فسكت ريحانة ولم تدر بذا تخبيه ولكنها صعدت كتفها كأنها تقول « لا يمكنني »

فقال الصحاحد والاهتمام باذ في وجهه « لا ينبغي لذنان نطاوع مولاتنا الدعفانة في ضعفها

فانها لا تعلم شيئاً من امور هذه الدنيا وهي مع ذلك تزيد الوصول الى ابي مسلم والوصول

الىه لا يكون الا باغلاق من ابن الکرماني وقد ايتها بخاتمه شهادة على ارادته فهي

الآن اخرج من ابي مسلم الى قتيله لانه خطيبها وكنا قيدها بعده ان لا يقربها الا بعد

فتح مرو وقد فتحت وهو الذي فتحها وتواجد عليه الشمرا والميشون وببلغ قمة مجده فهل من

سبيل الى دفعه بغير الموت ولا يتم لها ذلك الا بقتله سراً » ثم سكت وحده ذقنه

بسياقه ثم حكم ورأده و قال « طيب .. انا لا اكفك ولا اكافد الدعفانة ان تؤليها هذا

الامر مباشرة .. فانا ادبر الحيلة ولكن ينبغي ان يكون ذلك بوجودك وانا اسقيه ذلك

الكامن بأسلوب لطيف والاحسن ان لانطلي الدعفانة على هذا العزم اغا اطلب اليك ان

تسللي الوصول اليه بحيث لا يعلم احد من العالمين بقصدك .. ايه ؟ »

فطلت ساكتة ولم تعلم عاذراً تخبيه ولكنها كانت في كل حال اصر على هذا الامر من جلتار

وقد عاشرت الدنيا طويلاً على اتها ما زالت مرتبكة لا تدرى هل توافق الصحاحد بغير

استذدان سيدتها .. فلما رأها الصحاحد ساكتة علم اتها مرتبكة فقال لها « قد فهمت ما يحول

في خاطرك ٠٠ لا تخافي سجري كل شيء ولا يشعر به أحد فاكتفي هذا الامر عن الدقائق وسترين كيف اعمل على بلياقة وخففة ٠٠٠ قال ذلك ومحول وهو يقول «سأعود اليكم قريباً واحذرني ان تعيحي بذلك الى احد» فعادت ريحانة الى سيدتها وهي تذكر في ماذا عي ان تكون حية الفتحاك واسلوبه فدخلت على سيدتها فسألتها اعما كانت تعلمها فأخبرتها بما شاهدته من مقاومة مسكن ابن الكرماني على حاله برباته وفضططه وسائل احواله وان علياً في فساطته كالعادة ٠ وحدثها نفسها ان تبيع لها بما قاله الفتحاك فتالكت وسكتت لترى ما يكون

الفصل الرابع والاربعون

الدب الزفاص

اما ابن الكرماني فبعد ان فتحت مرو واد الى مسكنه باشارة ابي مسلم واد معه الامراء الجنية وقد سرّهم الفتح بعد ان ابلوا بلاء حسناً ٠ وعاد ابن الكرماني توا الى فساطته ليبدل زبابه ويستقبل المئتين وكان في خاطره ان يذهب حالاً الى جلزار ليربها نفسه عائداً من ذلك الفتح ويخبرها انه اتفق لوالده كما وعدها بالامس ٠ ولكن اجل ذهابه الى ما بعد استقبال المئتين والمتدين في فساطته ثلاثة يتبعوه الى هناك ٠ يجلس في صدر الحيمة وجاس أمراؤه بين يديه وهم يطبوون يساكه وكل منهم يذكر مالاقاه في اثناء المعركة من الواقعه الغريبة ٠ ثم أذن لاشعراء فدخلوا وأنشد كل منهم ما جادت به قريحته فإذا فرغ احدهم من الاشداد يشير الامير الى كتابه ان يدفع اليه الجائزة على جاري العادة وفيهم من ينشد قصيدة على الانعام الموقعة على الطشور او العود او الدف — قضوا في ذلك بقية يومهم الى قبل الفروب وقد طربوا جميعاً الا علياً فقد نفسه غياب جنانه عن تلك الجلسة وودلو اتها هناك لنسع ما قبل فيه من المداعع

وهو في ذلك اذ سمع ضجيجاً يتخاله دفٌ يقررون عليه نقرأ خاصاً بالقصص ٠ ثم دخل غلامٌ يستأذن الامير في راقص مضحكه معه دبٌ غريب الشكل وكان الغلام يستأذن الامير ولا يهالك عن الفتحاك كان اخر جهه الاعجاب عن حد الاحتشام في حضره الامرا

فقال الامير « يدخل » ٠٠

فدخل رجل طويل القامة عرف الامراء كالم انه الفحـاك خادم الدهقانة وكانوا يستغـبون
دهـه ويـضـحـكون من مـيـرـد روـيـته فـلـا دـخـلـ الفـيـقـةـ وـتـماـجـنـ فـلـمـ يـتـالـكـ الـامـيرـ عنـ الفـحـاكـ
وـصـاحـ فـيـهـ وـيـالـكـ « ايـ مـقـىـ عـرـتـ رـفـاصـاـ »

قال « حـالـاـ فـتحـ مـولـايـ الـامـيرـ مـرـوـعـاـ عـاهـةـ خـراـسـانـ فـقـدـ نـذـرـتـ مـنـذـ صـرـتـ مـنـ اـتـبـاعـهـ
اـنـ اـرـفـصـ يـوـمـ النـتـعـ وـقـدـ جـثـتـ لـافـيـ نـذـريـ »

فحـشـ الـامـيرـ وـقـدـ سـرـهـ اـنـ يـسـعـ ذـلـكـ الـاـطـنـابـ مـنـ رـجـلـ يـتـقـىـ الـدـهـقـانـةـ لـاـنـهـ
اـنـاـ يـعـمـ اـعـجـابـهـاـ هـيـ فـكـ مـنـ بـطـلـ خـاصـ المـعـامـ وـاسـتـقـبـلـ الـبـالـ وـعـرـضـ نـفـسـهـ لـاـشـدـ
اـلـهـوـالـ التـاـسـاـ لـاـبـقـامـةـ حـيـبـ يـجـبـهـ .ـ تـالـكـ فـيـ لـذـةـ النـصـرـ فـيـ اـعـلـ درـجـاتـهاـ .ـ وـارـادـ عـلـيـ
اـنـ يـسـأـلـ عـنـ الـدـهـقـانـةـ فـاـحـشـمـ بـيـنـ يـدـيـ الـامـرـاءـ وـلـكـهـ اـسـتـأـنـسـ بـالـفـحـاكـ كـثـيرـاـ وـقـالـ لهـ
« هلـ اـنـتـ رـفـاصـ حـقـيقـةـ »

قال « كـلـاـ يـاـ مـولـايـ وـلـكـ مـعـ دـبـ يـرـفـصـ رـفـاصـ غـرـيـباـ »

قال « اـينـ هـوـ »

قال « هـوـ بـالـبـابـ » وـصـاحـ « اـدـخـلـ يـاـ مـبـارـكـ »

فـتـوجـهـتـ اـنـظـارـ الجـمـيعـ خـوـ الـبـابـ فـسـعـواـ خـشـشـةـ الـجـلـاجـلـ وـالـاـجـرـاسـ ثـمـ دـخـلـ الغـلامـ
وـهـوـ يـقـودـ رـجـلـ بـجـبـلـ فـيـ عـنـقـهـ وـعـلـيـ الرـجـلـ جـلـدـ دـبـ يـكـسوـ صـدـرـهـ وـظـهـرـهـ وـسـافـيـهـ الـ
الـقـدـمـيـنـ وـيـغـطـيـ سـاعـدـيـهـ إـلـىـ الـكـتـفـيـنـ وـقـدـ سـتـ وـجـهـ بـوـجـهـ دـبـ حـقـيـ لـاـ يـشـكـ النـاظـارـ
إـلـيـهـ اـنـهـ دـبـ حـقـيقـيـ وـشـدـ بـرـجـلـيـ وـبـدـيـهـ اـجـرـاسـاـ وـجـعـلـ حـولـ عـنـقـهـ جـلـاجـلـ

فـلـاـ دـخـلـ الغـلامـ سـلـ المـقـودـ إـلـىـ الـفـحـاكـ فـتـاـولـهـ وـجـرـ ذـلـكـ الدـبـ بـعـنـفـ فـدـخـلـ
وـاخـذـ فـيـ الرـفـصـ وـهـوـ يـنـجـرـ وـيـشـبـ كـاـ يـفـعـلـ الدـبـ تـامـاـ .ـ فـلـمـ يـقـ اـحـدـ مـنـ الـجـلوـسـ الـأـ
اـغـرـبـ فـيـ الـفـحـاكـ وـالـفـحـاكـ يـتـذـنـ فـيـ اـسـالـيـبـ الـجـمـونـ .ـ فـلـاـ يـمـكـنـ الـطـربـ مـنـ الـامـيرـ
اـحـتـالـ الـفـحـاكـ فـيـ الدـنـوـ مـنـهـ وـقـالـ بـجـبـتـ لـاـ يـسـعـهـ سـوـاهـ « اـنـ هـذـاـ الجـلـسـ لـاـ يـنـقصـهـ
غـيرـ الـدـهـقـانـةـ »

فـلـمـ يـتـالـكـ الـامـيرـ عـنـدـ مـيـاءـهـ ذـلـكـ اـنـ صـاحـ « يـاـ فـحـاكـ خـذـ هـذـاـ الدـبـ وـارـقـصـهـ فـيـ
الـجـيـاهـ وـاـنـاـ قـادـمـ اـلـيـكـ » فـالـذـلـكـ وـوـقـفـ وـقـدـ اـسـفـقـتـهـ السـرـورـ وـهـاجـتـ عـوـاـطـفـهـ وـاسـكـرـهـ
الـنـصـرـ فـوـقـ سـائـرـ الـامـرـاءـ اـحـتـارـاـمـاـلـهـ .ـ فـشـيـ حـقـ خـرـجـ مـنـ الـفـسـطـاطـ وـالـفـحـاكـ يـسـيرـ
بـالـدـبـ اـمـامـهـ وـقـدـ اـتـبـلـ الـفـلـامـ وـلـمـ يـجـسـرـ اـحـدـ مـنـ رـجـالـ اـبـنـ الـكـرـمـانـيـ اـنـ يـتـبـعـهـ إـلـىـ اـطـيـاءـ

فشي وحده وقد التفت بعية من حربه وعلى راسه عامة صغيرة مزركشة زركشة جميلة وسار هو يبتخر بمشيته تيماً حتى اذا اقبل على اخباء ثغى الفحاك ودببة لرور الامير فدخل وهو يقول « اين عروسنا الدهقانة »

فقدمت ريحانة وجذار الى جانبها وعليها مطرفيها وقد غطت رأسها بختار من نسيج كثمير وردي اللون وعيناها تلألأ من خلال اختيار والحياء يغالبها ويزيدها رونقاً فلما وقع بصره عليها حياها بالاختباء وهو يقول « لقد جئتكم ضاحكاً لاني اتنقت لابي وغلبت صاحب مرو على مدینته فقر قرار الاندزال وسوف اقتله باذن الله » فاجابته ريحانة وهي تبسم فائلة « لقد كنا على يقين من فوز الامير على عدوه لما نعلم من بسالته وشدة بطشه فخمد الله على فوزه » ثم اشار الامير الى الدهقانة بالجلوس وهو يقول « وجدنا ندخل قصر الامارة حسب الوعد »

الفصل الخامس والاربعون

النيد

بلغت جذار وهي مفارقة ولم تكمل فكان سكتها افعى من الكلام . وظلت ريحانة واقفة بجلس الامير واشار اليها ان تجلس ففتحت وارادت الجلوس في بعض جوانب الترفة فامرها ان تجلس بالقرب من سيدتها . ثم صدق ونادي الفحاك فدخل وهو يقود الدب وراءه فلما رأت ريحانة الدب لم تبتالك عن الفحاك لغرابة منظره فوق الفحاك والدب الى جانبه فامرها على ان يقصه بفرة بالفقد فلم ينتقل من مكانه فصاح فيه « ارقص ولا تخجلنا بين يدي الامير » فلم يغيرك

فحرك الفحاك حتى كاد يسليق ولما فرغ من تحركه التفت الى الدب وهو يقول له « كانك تستحي ان ترقص امام النساء » فلم يبق احد هناك لم يغرب في الذبح وخصوصاً ابن الكرماني فانه قهقهة ظبيحة فتلذل الفحاك بالغضب من الدب وشدة ثانية فظل وايقاً كأنه صخر فلقد نحوه

ووضع اذنه على قدميه كأنه يتلقى اوامرها سرّاً وصبر هنئية ثم تراجع وهو يفجحك ويقول « لم اكن اعلم ان الدب يشرب الماء قبل الان ... »

قالت ابن الکرماني الى الفتحاك وقال « يظهر انه تعود المسکر من عشرة رجال بني امية في مرو فقد رأينا في قصورهم مئات من آنية الماء على انواعها واما فلن فلا نشرب غير التبیذ فاسأله هل يريد تبیداً »

فعاد الفتحاك الى مسارة الدب ثم عاد عنه وقال « لقد رضي بالتبیذ ... اليـس ذلك غریباً؟ واغرب منه انه لم يطلب التبیذ الا وهو في اطباء ... » وضحك
قال ابن الکرماني « يظہر ان دبک الطاف ذوقاً بذلك وليس التبیذ عمراً وخصوصاً في مثل هذا المجلس ... هات التبیذ يا غلام »

ولم تمض هنئية حتى جاء الغلام وهم يحملون مائدة عليها اصنافٌ من تبیذ القر والتفاح وغيرها في اباريق الرصاص وحولها الاقداح من الزجاج الصافي الملؤن وأوعز ابن الکرماني الى الساقی ان يدير الاقداح على الحضور . بفاء غلام منطبق بمثزر من حزير وتناول قدح اراق فيه تبیداً وقدمه الى الامیر فتناوله وقدمه الى الدعقة فاعذرته عن شربه فغمز عليها فشربت بعده واعادته اليه فشربه وامر الساقی ان يصب ويسقى الفتحاك وديبة ففعل . ولما تقدم بالقدح نحو الدب اعرض الدب عنه فتقدم الفتحاك وهو يقول « لقد بالغ دينا بالدلائل الليلة ... هات القدح فاخذه من الساقی وقدمه الى الدب فتناوله بكله الغليظة وشربه واعد الدب الى المائدة يده وهو يخطو خطوات الدب المعروفة والجميع يضحكون . ثم عاد الى مكانه واخذ في الرقص من تلقاء نفسه واجاد وابدع والفتحاك يطاوعه في تنقله كأنه يرقص معه . ثم وقف الدب يقتله فقال الفتحاك « لا ينبغي لنا ان نقول عن مراد صاحبنا » وامسرع الى قدر ملاه تبیداً وقدمه اليه فتراجع ولم يهد يده فصاح الفتحاك فيه « ما الذي تريده؟ لقد اتعينا بدلالك »

فتقصد الدب نحو المائدة ومد يده الى الابريق فقبض عليه وجعل يصب في الاقداح حتى ملاهها والناس ينظرون اليه وقولهم تدق حنوفاً على المائدة وما فوقها من « بياقة » الدب فاذا هو قد ملا الاقداح ولم يخصله بواحد منها ثم أخذها قدحاً قدحاً وقدمها الى الحضور فشربوا وهم مسرورون وشرب هو أيضاً واستحسنوا بياقة هذا الساقی . فصاروا يطلبون منه ان يسقيهم فسقاهم مراراً وجثار لا تشرب الا قليلاً ثم امسكت عن الشرب . فظل الشرب قاصراً على الامیر والفتحاك والدب فانقضى هزيع من الليل وهم في ذلك وقد

أخذ الطرف من الامير مأخذنا عظيماً . وعند ذلك تظاهر الدب بالسكر وأثاث من يد الضحاك وخرج من الحباء والقدح بيده قبعة الضحاك وتظاهر به انبته وارجعه الى الحباء والقدح لا يزال في بيده وعدهم نحو الامير فدفعه اليه وأخذ في الرقص . فتناول الامير القدح وشربه كالعادة ثم صبَّ الدب قدحاً وقدمه الى الضحاك قناله وشربه ثم صاح فيه « ويلاك لقد أكثرتُ من الشرب واصبحت خالقاً على نفسي منك .. وأخاف ان لا يكون الامير متعدداً الشرب الكثير فيضره ..» لأنني مع تعودي النيدة أعماداً اراني أشعر بدور شديد » قال ذلك وتظاهر بالسقوط الى الارض وان الدوار غالب عليه وأحسن بالليل الى التي ، فتحى وخرج من الحباء وغاياماً ثم تقبلاً كل ما في جوفه عنوة والامير يضحك منه ويقول « اني لا أشعر بالدور مطلقاً »

وكان الضحاك قد ترك المقوود عند خروجه فاتلت الدب وخرج من الحباء وطار الفرار . فازداد الامير ضحكاً وفهمة ثم دخل الضحاك دخول المقووت وصاح « ابن ذلك الدب الملعون يظهر انه فر فوالله لادركته وأذيقه الذباب » قال ذلك وفهمه وأشار الى ريحانة اشارة حقيقة وخرج

فادركت ريحانة ان الضحاك قد افذ حياته وسق الامير ساقيه ضست وتظاهرت بالدور وقالت للامير « ارى مولاني الدهقانة قد تاذت من الشرب ايضاً » وأمسكتها بيدها وهي تقول « الافضل لها ان تذهب الى الفرائش .. هل يأمر لها مولاي بالانصراف » فمضى وهو مشعر بالدور ايضاً ولكن تجلد وتظاهر بالقوة ووقف وهو يقول « فلتصرف جميعاً »

وسقطت ريحانة القلمان وأسندوه وخرجوا به من الحباء بطلبون فسلطه . وذهبت ريحانة بالدهقانة الى غرفة الرقاد واستقبل الخدم في قفل آية النيدة من الحباء فلم تمض ساعة حتى خلا الحباء من الامير وعلمائه

فاما خلت ريحانة بسيتها ظهر عليها الاشعارات فاستربت جلنار ذلك منها فقالت وهي تتوسد الفرائش « مالي أراك مضطربة يا ريحانة »

قالت بالفارسية وهي تردد من التأثر وتحاول خفض صوتها « اظنهم سموه يا ولائي » ففتحت جلنار وجلست وهي تقول « سموه .. قتلوه ؟ .. » قالت « نعم .. الم ترى الدب خرج بمحلة السكر الى خارج الحباء ثم عاد والقدح في بيده ؟ .. »

قالت « بلى »

قالت « أظنه خرج بعض السم في ذلك الفدح .. وفي صباح الغد يظهر فعله ولسمع بموت ابن الكرماني »

فأقشعر بدن جلزار وصارت ترتعش من البغثة والخوف ووقيت في حيرة فابتدرتها ريمخانة قائلة « لا ينبغي ان تبتسلمي الى الضعف .. فان هذا اوان التعلم والدهاء وقد قضى الامر الذي كنا نخافه » ..

فارتبت جلزار في أمرها وأعظمت الجريمة على أنها كانت وهي في معظم الاضطراب تشعر بفرح داخلي عجيب لتخالصها بن ابن الكرماني وتقرها من حبيبها فأخذت ريمخانة تخفف عنها وتنيناها بقرب الاجياع بمحببها حتى سكن روعها وناظهرت بالرقاد ولكنها لم تستطلع نوماً^(١)

الفصل السادس والثلاثون

ارسله الى خوارزم

اما ابو مسلم فكان ماهراً في قصر الامارة ينتظر نتيجة ما دبره على ابن الكرماني والضحاك معًا بواسطة ابراهيم الخازن . فقد رأى انه اوعز الى الضحاك ان يستعين بابراهيم المذكور على قتل ابن الكرماني فسار اليه واتلقوا ان يليس ابراهيم جلد دب ليتمكن من دس السم في الفدح على ما نقدم . ولكن ابا مسلم اوصى ابراهيم ان يقتل الضحاك ايضًا بالسم . وكان قد كلفه قبلًا كشف حقيقة الضحاك ليلة ذهابه الى شيبان فوافق ذلك الفcasos وحمل

(١) وفي التاريخ ان ابا مسلم قتل علياً وعيان ابي الكرماني بعد فتح مرو بالتفريق بينهما فارسل عيان عاملًا على بلخ واوعز الى بعض اصحابه ان يقتلوه فامتنع ذلك عليهم . ثم احتال ابا مسلم على علي فسار به الى نيسابور لحرب اقتضت ذلك واتفق هو واحد رجاله على ان يقتل ابو مسلم علياً ويقتل ذلك عيان فقتلواهما غليلة . ولم يكتف ابا مسلم بقتلهما بل طلب من علي اسماء خاصة ليوليم الولايات ورأى امر لهم بالجواز ويعطيمهم الكسوات فلما سماهم امر ابو مسام بقتلهم فقتلتهم جميعاً ولا ذنب لهم الا خوف ابي مسلم من سلطتهم للا يقفوا في سبيل مشروعه — تلك كانت سنته في تأييد دعوته

العنبر وتفاخر بالرمد واسدل طرف العامة على عينيه لثلا ينطعن له احد . ولما كان شيئاً وشيب يتشاران كان ابراهيم وراء خيمة شيئاً يتفاخر بالتعاس وند سمع كل مادر يتها وقله الى ابي مسلم في تلك الليلة . فلما عاد الفحاك ليلاً ثـ خادعه ابو مسلم برضبه في عالة شيئاً ربها يشكـ من قتل ابن الكرماني على يده ثم يقتلـه : ولما أوصـه باصطباب ابراهـم تلك الليلة امر ابراهـم بقتلـه كـا لقدم فـسـقهـ السمـ في قـدـحـهـ كـا فعلـ باـينـ الـكـرمـانـيـ . ولكنـ الفـحـاكـ سـاقـهـ حـلـولـ اـجـلـهـ الىـ استـفـارـاعـ مـعـدـتـهـ وـهـوـ اـنـساـ فـعـلـ ذـالـكـ لـتـنـطـلـيـ حـيـلـهـ عـلـىـ اـبـنـ الـكـرمـانـيـ وـيـدـعـ التـهـمـ عـنـهـ فـتـعـهـ ذـالـكـ اـذـ اـخـرـجـ السـمـ مـنـ جـوـفـهـ قـبـلـ انـ يـوـثـرـ فـيـ مـعـدـتـهـ . اـمـاـ اـبـرـاهـمـ فـظـلـ انـ قـامـ بـهـمـهـ وـامـاتـ الاـثـدـنـ فـبـرـولـ مـسـرـعاـ وـطـرـحـ عـنـهـ جـلـدـ الدـبـ وـجـاءـ اـبـاـ مـسـلـ لـيـشـرـهـ بـذـالـكـ فـوـجـدـهـ سـاحـراـ فـاـخـبـرـهـ بـاـ كـانـ فـسـرـاـ اـبـوـ مـسـلـ وـاثـيـ عـلـيـهـ وـوـعـدـهـ خـيـرـاـ

وـاـمـاـ الفـحـاكـ فـقـدـ كـانـ مـتـنـقـاـ مـعـ اـبـرـاهـمـ عـلـىـ دـسـ السـمـ فـذـحـ اـبـنـ الـكـرمـانـيـ وـانـ يـغـرـجاـ فـلـيـقـيـانـ فـيـ طـرـفـ المـعـسـكـ ثـ يـذـهـيـانـ مـعـاـ اـلـىـ اـبـيـ مـسـلـ ثـلـاـ رـأـىـ اـبـرـاهـمـ اـفـلتـ ظـنـهـ فـعـلـ ذـالـكـ عـمـداـ عـلـىـ اـنـ يـسـتـنـظـرـهـ فـوـاهـ فـسـرـيـ فـيـ اـثـرـ فـشـرـيـ فـيـ اـثـاءـ الطـرـيقـ بـطـمـ غـرـبـ فـيـ فـيـهـ وـاحـسـ بـالـخـطـاطـلـ فـيـ قـوـاهـ فـنـسـبـ ذـالـكـ اـلـىـ تـأـثـيرـ الشـرـبـ وـخـطـرـهـ اـنـ رـبـاـ اـصـابـهـ شـيـءـ مـنـ السـمـ فـلـطـلـاـ فـوـولـ عـلـىـ الـاسـتـهـامـ مـعـ اـبـرـاهـمـ . فـوـصـلـ المـوـعـدـ فـلـمـ يـجـدـهـ فـسـاءـ الـظـنـ فـيـهـ وـوـقـعـ هـنـاكـ وـاـطـرـقـ مـفـكـراـ فـيـ مـاـرـبـهـ فـيـ هـذـيـنـ الـيـوـمـيـنـ فـاتـيـهـ لـنـفـسـهـ فـتـرـجـعـ عـنـهـ اـنـ اـبـاـ مـسـلـ خـدـعـهـ وـسـاـيـرـهـ حـقـ تـالـ مـرـادـ بـقـتـلـ اـبـنـ الـكـرمـانـيـ ثـ اـرـادـ قـتـلهـ هـوـ لـخـافـصـ مـنـهـ . لـكـنـهـ لـمـ يـرـ سـبـبـاـ يـدـعـوـ اـلـىـ ذـالـكـ لـزـمـهـ اـنـ اـبـاـ مـسـلـ لـاـ يـعـلـمـ اـنـ اـمـرـاهـ الطـوـارـجـ . فـرـايـ اـنـ يـذـهـبـ اـلـىـ اـبـيـ مـسـلـ وـيـلـاقـيـهـ عـلـىـ حـذـرـ فـسـارـ اـلـىـ قـصـرـ الـامـارـةـ حـقـ اـذـ اـقـبـلـ عـلـىـ بـابـ القـاعـةـ سـالـ الـحـارـسـ عـنـ الـاـمـيـرـ فـقـيـلـ لـهـ اـنـ فـيـ غـرـفـهـ فـارـادـ اـنـ يـدـأـذـنـ فـيـ الدـخـولـ عـلـيـهـ ثـ تـوـقـفـ لـيـعـملـ فـكـرـتـهـ وـكـانـ الـحـارـسـ قـدـ عـرـفـهـ مـنـ الـامـسـ وـرـأـيـ ماـ كـانـ مـنـ اـحـتـفـاءـ اـبـيـ مـسـلـ بـرـبـلـرـ ،ـ الفـعـاكـ اـلـيـهـ وـاخـذـ يـفـاحـكـ وـيـسـاـيـرـهـ حـقـ اـطـاـنـ اـلـيـهـ فـسـالـهـ عـنـ الـامـيـزـ وـمـنـ عـنـدـهـ قـالـ «ـ عـنـدـهـ خـازـنـهـ الـيـهـودـيـ »

قـالـ «ـ وـهـلـ هـوـ يـهـودـيـ حـقـ الـآنـ ؟ـ »

قـالـ «ـ يـنـظـاـهـرـ بـالـاسـلـامـ وـالـاسـلـامـ بـرـيـ؟ـ مـنـهـ ؟ـ فـانـ «ـؤـلـاءـ الـيـهـودـ قـدـ فـرـحـواـ بـالـاسـلـامـ لـاـنـهـ نـهـاـمـ مـنـ ظـلـمـ الـاـكـامـرـةـ وـالـقـيـاصـرـةـ وـاـكـسـهـمـ الـاـمـوـالـ مـنـ دـوـلـةـ الـعـرـبـ لـاـنـهـ يـعـدـونـ اـقـسـمـ مـنـ اـقـارـبـهـ »

قـالـ «ـ وـهـلـ اـبـرـاهـمـ بـعـدـ اـبـيـ مـسـلـ مـاـ الـآنـ اـمـ سـرـجـ مـنـ عـنـدـهـ ؟ـ »

قال « افته لا يزال عنده اذ لم يمض على دخوله زمن طويل »

قال « فاذًا هو مشغول الان »

قال « ودل تزيد مقابلته ؟ »

قال « كلاً . ولكنني لما جئت لمقابلته في اثناء النهار وبعد ان جلست في القاعة حينما دخل بي الى غرفة اخرى ثم اخرجني من باب آخر كاعملت وقد نسيت في القاعة كتاباً كان معي فوضعته قرب جلسي ولما نهضت نسيته فهل نظنه لا يزال مكانه »

قال « ينبغي ان يبقى هناك .. هل ابحث لك عنه ؟ »

قال « لا يجوز لك وانت حارس ان تترك هذا الباب اما اذا اذنت لي دخلت وبعثت عنه سلة ثم اعود لاني اعلم بمكانه منك »

قال « تفضل واحذر ان تحدث صوتاً يشعر به الامير لثلاثة ينقضب »

قال « كن مطمئناً » وخلع قلبه فتأبطها ودخل القاعة وهي مقلبة فميشي وهو يتبع الماءط فهو الغرفة التي علم ان ابا مسلم فيها مع ابراهيم فلما دنا من بابها مع ابا مسلم يقول « هل انت على بيدين من ارسلها الى خوارزم »

قال ابراهيم « قد ارسلتما حسب امر الامير واغاثتما الان في عالم الاموات »

قال « اخشى ان تكون أخطأت الرسالة ونسيت ذلك الحروري الذي يزعم انه يخادعنا .. عليه لعنة الله ... بقي علي ان اعهد اليك بأمر بهمفي ولك منه نفع كبير وكم يكتسب .. »

وكان الضحاك واقفاً بالباب يمسك اغاسه ثلاثة يسمع صوت نفسه ويوشك لمطم اضطرابه ان يسمع دقات قلبه في اذنه فتجدد وأحس بارتعاش قدميه فقدم القرصاء واصاح بسمعه فادا ابراهيم يقول « يا امير مولاي يا بريد »

قال « بقي علي ان اخناس من شیان امير الخوارج فادا قتلناه تبتر جسد العرب وخاخت الدولة لنا ... »

قال « رأيك هو الصواب .. هل تزيد ان ارسله الى خوارزم كما ارسلت ابن الكرمانى وشيراً للملعون ؟ »

قال « أخاف ان لا تتعالى علبي الجليلة اذ ليس لنا في داروه فتاة مثل الدھقانة مهون علينا العمل والاحسن ان تستعدم شیان اليها بحيلة الحمالقة او الخبراء وتقنه ويخلو لها الجو ... »

قال « ذلك هين عليّ أذشت فعلته »

و ساد السكوت لحظة خاف الضحاك ان يكون أبو مسلم عازماً على الحزوج فاصاح
باذيه فلم يسمع حركة فعلم انه يفكرون ثم سمعه يقول « امني الان و سأخبرك ماذا يتبعني
ان تفعل »

فعلم الضحاك انها سيخرجان فهرب القهري و ودع الحاجب وهو يشق
عليه وما صدق انه شجوا و سار مسرعاً حتى خرج من مرو و متى خومسكن المخواج وهو
يلعن ذلك اليهودي الذي كان سيناً في فشهه فقر في طريقه بمسكر ابن الكرماني شاطر ياله
خاطر الشر له صدره لما توهمه فيه من السداد - ذلك انه قال في نفسه « لاذهبن الى
امراء اليمنية اصحاب الكرماني واطاعهم على مكيدة ابي مسلم وانه قتل اميرهم غيلة
وآخر ضمهم على الاختداد معنا » فلما خاطر له ذلك احتاج قلبه فرحاناً فبدل نياته وأسرع بطلب
فضطاط امير من اليمنية كان يعرفه فلما وصل الفسطاط اعترضه احد الخفراء فسأله دن
الامير فقال « انه دخل مرو منذ ساعة »

قال « ولماذا »

قال « لأن ابا مسلم دعا امراء اليمنية جحيمهم اليه »

قال « وهل ذهبوا جميعاً »

قال « نعم »

فهبت الضحاك لذات الدباء وتحقق ان ابا مسلم بهت اليهم ليكونوا في قبضته فاذا أصبح
الصبح وعلموا بموت ابن الكرماني كان هو في مأون من عصيائهم فاحس بعظم دباء ذلك
المطراساني وسره على مصالحته ووقف برده يذكر في ماذا يجب ان يفعله فلم ير له حيلة غير
الفرار بالخوارج رثياً يجد سبيلاً للانستقام فاسرع نحو مسكنهم وهو يخفف ان يكون
ابومسلم قد ذهب عليهم حيلة وقد غالب على وهمه ان هذا الرجل قادر على كل شيء فسار الى
شيان حق اذا اقبل على فسططاطه دخل اليه وقص عليه ما وقع وقال له « لم يبق لك
فائدة من البقاء هنا فانصرف برجالك الى مكان تربص فيه ورثياً نذر حيلة أخرى »
فتردد شيان في الامر مدة ثم اقتنع بوجوب التنجي قاس بالاقلاع وطلب من الضحاك
ان يصحبه فقال « دعني اتدبر الامر فاني غير تارك هذا المطراساني حتى انتقم منه شر
استقام » قال ذات وخرج وأخذ شيان في الاستعداد للرحلة

الفصل السابع والاربعون

الرجل

اما جلزار فقد تركناها في غرفتها تحاول الرقاد ولا تستطيعه طول ما شاهدهه تلك
اليوم من الامر العظيم وريحانة الى جانبها تخف عنها وتذكر في الورطة التي وقفت فيها وتبعد
عن حيلة سجنوان بها من ذلك الممسكر قبل ان يصح الامراء ويعلموا بموت ابن الكرماني
فلا تدري كيف تخالص منهم . فتذكرة الصاحب فقالت لسيدها «الآن وقت الضحك
بحجه الله انه لا يغيب عنا الا في وقت الحاجة اليه »

فقالت جلزار « وابن هو يا ترى ؟ .. لا اظنه يتركنا الالية وهو يعلم حالنا وما نحن
فيه ولا بد من مجده عاجلا »
فقالت ريحانة « اذا لم يأت ؟ »

قالت « اذا لم يأت .. الا ترين ان نختال في الذهاب الى ابي مسلم في مرو ؟ »
فاطرقت ريحانة هنئه ثم قالت « وما قولك بالرجوع الى بيت سيدى الدهقان فنقض
عليه ما وقع وهو لا شك اذا علم بفوز ابي مسلم وموت ابن الكرماني يرضى به بعلاقتك
فترفين اليه مكرمة معززة »

فشقل على جلزار ان تعود الى بيت والدها وتبعده عن مقر حبيبها فقالت « ولماذا ذلك ؟
السناعل مقربة من مرو ؟ وقد كان ابو مسلم يقول امرنا حق بقتل ابن الكرماني
ويفتح مرو وقد تم له ما اراد فهل تظنين عنده سببا آخر يدعو الى التأخير »

قالت « لا اعلم يا سيدى .. ولكن لو كان هذا هو قصده وهو يعلم بقتل ابن
الكرماني لوجب ان يرسل اليك من يحملك اليه الان » . قالت ذلك واطرقت
فرفعت جلزار نظرها الى ريحانة وتفرست في وجهها لعلها تفهم شيئاً مسترداً وراء
تلك العبارة فرأت ريحانة مطرقة وفي وجهها ملامح الارتياب فقالت لها « وماذا تعنين
 بذلك ؟ »

قالت « لا اعفي شيئاً ولكنني اقول ما يجحب بخاطري وانت تعلمين انى ارغب الناس
في حفظ كرامتك . وعلى كل حال ان زفاف الفتاة من بيت ابها احفظ لكرامتها . غير انى
لاأشك بمقاصد ابي مسلم بشأنك ولكنني أحبه مشتغلان الآن بتدير شؤونه بعد هذا

الفتح . فذهبوا اليك الى بيت أبايك والتربيص ربها يفرغ ابو مسام من مهام الدولة لا يقال له شيئاً من حبه لك او رغبته فيك ٠٠

ويعلمها في ذلك سمعت اختراساني في وسط الجلاء فاجذبها عم عرقنا أنها اختراساني لاضحاك فهربوا ريحانة وهي تتعذر باذياها من البفة والفرح وطلت جناسار جلالة في الفراش وقلها يكاد يطير من شدة الحلقان ثم رأت ريحانة عائده ورجل يتهمها بقيمة غير قيمة الضحاك ففاقت لكنها ما لبنت ان علمت انه الضحاك وقد تذكر بثوب آخر هو عبارة عن فلسفة طويلة بدون عمامة وجبة سوداء طويلة مثل زمي اهل خراسان وقد قص لحيته وأحفي شاريته وقص اطراف حاجيه وقطلها فذهبت من وجهه امارات المجنون وإبطال التضاحك بحيث لا يراه أحد الا انكره . فلما عرفته جناسار هشت له كوش لاقرب الناس اليها وابتسمت وهي تقول « لقد صدق ضئي انك لا تتركنا ونحن في هذه الحال ٠٠ ما الذي اصاب ذلك الرجل ؟ هل نظره يموت ؟ »

قال « اظنه مات لأنني رأيت اهل فسطاطه في هرج واضطراب »

قالت « فما العمل الآن ؟ »

قال « ارى ان ترجي الى بيت سيدى الدهقان »

فاما سمعت ريحانة قوله الفتت الى سيدتها ولسان حالمها يقول « ألم أقل لك ذلك ؟ »

فقالت جناسار « وكيف نذهب ؟ »

قال « نذهب بأخف ما عندنا وأنا أذير ذلك وابكتي اقدم اليك منذ الآن ان تكتبي

أمري عن كل انسان »

فاستغربت طلبها وقالت « وماذا تعنى ؟ »

قال « اعني اني رهين اشاتك ولا ازال عبدك وخادمك بكل ما تأمر بن ولكنني لا احب ان يعلم احد في الدنيا اني لا ازال حياً ولا تسألني عن السبب الان ... اما اسمي الجديد فهو صالح »

فقالت « ما أفعل ذلك ... فما العمل يا صالح ؟ »

قال « سأعد كل شيء حتى تكون من الرحيل في العبايج باكرا والناس في شاضل عننا »

قالت « ألا ترى ان نصير الى الغد لعل ابا مسلم يبعث حين يستقدمنا اليه »

قال « الامر راجع اليك اذا ثبت بيقينا ولكنني لا ارى ابا مسلم يبعث اليك غداً

ولا بعد غدٍ ٠٠

فلم تستغرب قوله لأنها سمعت مثله من ريحانة ولكن لم يعجبها فقالت «وكيف لا يبعث إلى» وانت قلت لي انه أغاً آخر اجتمعنا ريشاً يفرغ من الحرب ويقتل هذا المسكين على يدنا فـأطعناه فهل من سبب آخر للتأجيل؟

قال «لا .. ولكن ابا مسلم اليوم في شاغل عظيم من امر هو لا، اليتية بعد مقتل اميرهم فاذ لم يتلاف امرهم خاف عصيائهم او الخوازم الى الخوارج ... ومهما يكن من الامر فان الذهاب الى ييت ايك احفظ لكرامتك وليس ثمة ما يمنع ابا مسلم ان يطلبك من مولاي الدهقان فتذقين اليه معززة مكرمة ..»

فلم ترجلدار بدأ من طاعته فاذعنت وأشارت اليه ان يفعل ما يشاء فقال لها «مرى الخدم ان يعطيوني ولا انقولي لهم اني الفحراك»

فأشارت الى ريحانة ان تفعل ما قاله فخرجت ريحانة وقالت لقيمة انباء «ان هذا الرجل بعث به مولانا الدهقان الليلة ليرجع بناليه في الصباح فاعملوا باشارته» فأخذ الفحراك في تدبیر ما يلزم استعداداً للمسير

الفصل الثامن والاربعون

اما الدهقان فقد علمت الله افسا زوج ابنته ابن الكرماني طمعاً بالكسب على يده لاعقاده بقوة الكرماني وكثرة رجاله ولاستحقاقه بابي مسلم اقله رجاله وصغر منه واضم في باطن سره انه اذا افقلت الآية ورجحت كفة ابى مسلم تقرب اليه بالاموال والرجال . فكان لا يغفل عن استطلاع احوال الجند المskرحة حول مرو وكانت الاخبار تائيه تباعاً وكلها تدل على نجاح اخرازيين وتغلبهم . حق اذا جاءه ؟ الخبر بدخول ابى مسلم مرو بمساعدة ابن الكرماني مع بقاء هذا في مسكنه تحقق فوز اخرازيين ولبث بتوغ فرصة بتقرب اليها من ابى مسلم وهو يقلنه غير عالم بزفاف جنار الى ابن الكرماني . فلما وصله الخبر بدخول ابى مسلم وبرث اليه بالهدايا والاموال وكتب اليه يهنئه بالنصر وانه باذل جهده في جمع كلة الدهاقين على نصرته - كل ذلك وهو لا يعلم بموت ابن الكرماني فما عتم ان جاءه الخبر بقدوم ابنته فخرج لاستقبالها وقبلها ورحب بها وبالفم بالترحاب وهو يستغرب قدومها .

ولما سأله عن سبب حببها لم تذكر عن البكاء فاجابت ريحانة أنها - ذكره عن السبب في خلوة فاخبر من في حضرته من الناس فقالت ريحانة « إن مولاي الدعفان بكى حرقة على سوء حظها »

قال « ولماذا ؟ .. ماذا جرى ؟ »

قالت « إن خطيبها توفي في هذا الصباح بفتحة »

قال « علي بن الکرماني مات ؟ »

قالت « نعم يا سيدي مات بفتحة على غير انتظار »

فاطرق وهو يحك ذقنه ويعلم فکرته وقد ثبت عنده اتصار الخراسانيين وفشل العرب فذهبت بقية أماله ونظر إلى جلنار فإذا هي مطارة بكى فظنها بكى على عربها وهي أمها تبكي شوقاً لحليبيها وخوفاً من ضياع أمالها لأنها كانت شفاعة أن ترى منه أمها بأمرها ولم تكن تنتظر اشتغاله عنها إلى هذا الحد . فلما رأها الدعفان بكى حزناً فما و قال « لا تبكي يا جلنار ولا باس عليك .. » ثم وجه خطابه إلى ريحانة وقال « سمعتك تسجين ابن الکرماني خطيباً وانت تعلمين انا عقدنا له عليها وزفتناها اليه .. »

قالت « نعم ولكنني لم يتزوجها بعد » واحركت له ما كان من اشتراطه على نفسه فنفع

مروقب الاقتران وأنه مات في الفد بفتحة

فلما علم بذلك انقضت غيابه الشلل عن قلبه ورأى في عود جلنار إليه على ذلك الصورة باباً جديداً للنور من أبي مسلم لاعتقاده أن أبا مسلم يرغب في معاشرته . فنظر إلى جلنار وهو يتسنم تخفيفاً لاضطرابها وقال « لا باس عليك يا ولاده التي ساعوض عليك من ابن الکرماني من هو خير منه واقترب اليها وطنطاً واغاثةً ومشريها »

فادركت جلنار أنه يشير إلى أبي مسلم فانشرح صدرها وعادت أمالها إلى الاتصال

لان اباهما أصبح عونانياً في الوصول إلى حبيبها وأمنت من الجهة الأخرى اذا تزوجت ابا مسلم بغير علمه ان يغضب عليها وبعد عملها خروجاً عن طاعته . فلما سمعت قوله قالـت « انك تعز بقي الوحيدة يا والدي ومن كان لها اب مثلك لا باس عليها وانت تعلم انني طوع ارادتك بكل ما ت يريد »

ثم اشار إليها ان تذهب إلى غرفتها لراحة من عذاب السفر فنهضت وريحانة تسير بجانبها

فإذا بوالدها يقول « وابن الفحراك اني لا اهاد معكم »

قالت ريحانة « لاندرى ما اصلبه فقد ذهب بالامس ونحن في معسكر الکرماني

ثم لم نرها

قال «وكأني رأيت معك رجلاً عليه القنسوة والجلبة فمن هو هذا»

قالت «هورجل من أهل مرو اسمه صالح جانبه ابن الكرمانى يوم النقع وفاته»

إلى الخدم يدللاً من الخحاك ولا يأس به»

ومشى الدھقان والدھقانة وسار كل منهما إلى غرفته وفي نفسه أنه خذل صاحب
المصلحة . وانفذ الدھقان يذكر في السبيل المؤدي إلى نيل المداواة في عيني النبي مسلم بعد أن
اصبح صاحب الأمر والثني في خراسان فقدم بعد مأول التنكير أن بيده المدايا وزوجها
ابنته ولكنه تبعن في الانتظار جوابه دلي متبنشه التي كتبها إليه يوم النقع

لبث في الانتظار يومين وفي اليوم الثالث جاءه رسول النبي مسلم وعه كتاب يثنى به
عليه ويستقدمه إليه ليقيم بين بيده . فلما تلا الكتاب لم يبالك أن أمرع إلى جلنار وأعملها
عليه نكalan سرورها أعظم من سروره ولكنها احببت ان توثيق من أمره سيرها عده فقالت
«وهل انت عازم على المسير إلى مرو ؟»

قال «وهل استطيع غير ذلك .»

قالت «وما تذهب ؟»

قال «ربما ذهبت غداً»

قالت «ألا تحمل إليه المدايا والأموال ؟»

قال «لابد من ذلك لأن الرجل أصبح ملاك خراسان وأذن دعوه ناجحة لا بحاله

فيجب ان يبذل كل جهودنا في التقرب منه . . . وارجو ان تساعدني على ذلك»

قالت «إذا كنت تستطيع مساعدة فاني فنانك ورهينة اشارتك»

قال «وابو مسلم اذا اختعلت فيه لم يتحقق شئ في فوزناتلي يده لأن التصر لقرر له وقد
اخبرني الرسول حامل الكتاب ان المؤواج اجلوا عن مرو ورجال الكرمانى الذي يقاوم احياء
بعد موته فائدهم انفسهم الى جند النبي مسلم وهو الان زعيم القوم وامير مرو ولا يأبه ان
تدفعون له سائر بلاد خراسان وما وراءها لأن رجاله لم يذلوكوا وهو عاصم مرو يخون البلاد
ويضيئون إليهم العباد يبايعون لأهلاليت وبابون السواد . . . فالنقرب منه مفید فلا
اخذك تخاليفني فيه»

فادركت بأنه يعرض باسم زواجهما به فقالت وقد اشرق وجهها سرور ارغم ما تكلفت
من الدجاجة اذا كنت لم اخذلك في ابن الكرمانى وهو بعيد عننا جسنا ولغة تكيف

يرجل خراساني " وهو كا وصفته .. فاذا امرني اطعمتك »
 قال « بورك فيك من ابنة مطيبة حكيمة » وضمهما الى صدره وقللها ثم قال « فانا
 ذاهب في الغد وسأغتنم اول فرصة لخاطبته بشانك ثم ابعث اليك فتاتي بموكب يليق بعهاننا »
 فلعلت انه لا ينوي اصطحابها فرضيت بما اراده وانتشت آمالاً فاظهرت الازياح
 الى راييه ولكنها كانت تفضل التهاب معه فقالت « وما يضرك لو سرت معك فادخل مرو
 وانترج بمناظرها ريشا يتم لك ما تريده »
 فاطرق حلقة ثم قال « لا باس من ذهابك وهي فائزتك عند صديق لي من دهاقين
 مرو اعبيده يقيم في قصره بجوار دار الامارة »
 ففرحت جلنار بذلك وظهر الفرح في وجهها فامر الدهقان خازنه ان يعد الاموال
 ليحصلها معه الى مرو وان يدعوا المدابا من الرفيق والثياب وغير ذلك

ـ ـ ـ ـ ـ

الفصل التاسع والاربعون

مجلس بي مسلم

وفي صباح اليوم التالي ركب في كوكبة من الفرسان وجمل المدابا في حرفة
 تسير في اثره ومعها هودج جلنار وربحانة ومشي صالح مع الحدم . وفي الشحي وصل
 الموكب الى مرو يتقدمه رسول ابي مسلم . فدخلوا المدينة وساروا حتى اقبلوا على دار الامارة
 فامر الدهقان ان ينزلوا جلنار في قصر صديقه يقرب تلك الدار فنزلوها وترجل هو ورجال
 حاشيته يعشون بين يديه وعليهم الالبسة الفاخرة وبناطقهم السيف المحلاة بالذهب كما يزار
 بين يدي الملوك فنشوا على هذه الصورة في قيادة الدار والناس يسعون لهم حق اقبلوا الى
 باب القصر وعلىه الحقراء فاستاذنوا للدهقان بالدخول فاذن له ان يدخل وحده وان
 يتحول رجال حاشيته الى دار الاضيف فدخل الدهقان وعليه قلادة حوطها عمامة
 موشاة بالذهب وقد تزمل بمحبة من الخزف فوقها مطراف من الطير المازركن يساوي مالاً
 كثيراً . وكان قد نزع سيفه وسلمه الى بعض الحدم الساترين بين يديه

دخل القصر ومشى في الصحن الداخلي حتى وصل الى القاعة التي يعقد فيها مجلس
 ابي مسلم ومعه ثباته وقواده فدخل الدهقان القاعة وفي صدرها ابو مسلم على كرسى

والى جانبه خالد بن يرمك وسليمان بن كثير وجاءه من النقا فلما أقبل على أبي مسلم رحب به خياد وقدم فأمس له بالجلوس بين يديه فجلس متقدراً وأعاد التحية فقال له أبو مسلم بالفارسية « نشكرك على هداياك إبها الدهقان »

قال « أني لم أهد شيئاً وإنما قدمت ما يجب علي لأن المصلحة واحدة »

قال أبو مسلم « بل أنت تفضلت ٠٠٠ ولا ترى ضيافتك يوم زرتنا عندك »

فأشرح صدر الدهقان لذات الأطراء وقال « كل ذلك واجب وقد فعلته لأن الدعوة التي قدم لها ينبغي على كل خراساني أو فارسي أن يتضررها لأنها عبارة عن نفقة الفرس على العرب »

فنظر أبو مسلم إلى خالد فرأه ينظر إليه ثم حولا نظرهما مما إلى الدهقان فإذا هو يزداد تصدراً ويده في حلته يمشطها بانامله فقال له أبو مسلم « هل كنت عالماً بذلك قبل الآن ؟ »

فاستقرب الدهقان لهذا السؤال وأوجس خطفة منه لمامه أن إبا مسلم قد ليل الكلام كثير المعانى فقال « كيف لم أكن أعرفه ؟ إلا ذكر عبادتنا تلك الآية يوم تلوت علينا وصية الإمام وتعاقدنا على نصرة هذه الدعوة لأنها دعوة يجب على كل فارسي نصرتها »

قال « أتذكر لمن تلك الوصية ؟ »

قال « أذكر فحوهاها »

قال « وما هو فحوهاها ؟ »

فتجوب الدهقان من تدققه وازداد خوفاً معاوراً، ذلك ولكن تفاهه بالاستخفاف وقال « أذكر أنه يوصيك أن لا تبقى في خراسان لساتاً عريباً وإن تقتل من شُكِّت فيه » فنظر أبو مسلم في الدهقان لنظر المفترس فلام يطلق الدهقان سيراً على تلك النظرية خوفاً من عوائقها فاطرق فقال له أبو مسلم « وهل عملت بهذه الوصية ؟ هل سمعت منها على العرب أعدانا ٠٠٠ ؟ » قال ذلك بفتحة المراتب ومخايل العارف

فتجدد الدهقان وقال « كيف لا وإنما ادخر وسعاً في بذل الاموال واستئناف الدهقان لنصرة هذه الدعوة » وكان الدهقان يتنان إبا مسلم غير عالم بذاته جبار إلى ابن الکرماني كما تقدم

فقال أبو مسلم « أمن نصرة العجم على العرب إن تزف ابنتهك إلى ابن الکرماني ومعها المدايا من الرقيق والملاال ؟ »

فوق الرعب في قلب الدهقان ولم يعلم ما إذا يحيى وبدت البغة في وجهه ورقصت حليته وارتعشت أنامله ولكنها تجلد وقال وهو يتضاحك « إن زفاف ابنتي إلى ذلك العربي إنما كان قبل الاجتماع المذكور »

فقال « الا تذكر ان الفتاة كانت في يتيك ليلة ذلك الاجتماع وقد جالستنا ؟ »
فأدرك الدهقان في أمره وأخذني شاغل باصلاح فلسنته ومطرفة ويسلم رقه ويتحمّح وقد امتعن لونه ولم يسعه السكوت فقال « أعني اتنا عقدنا عقدناها قبل تلك المليمة ورأيت من الفتاة ميلاً إلى ابن الكرمانى فسايرتها في ما ترضاه لأنها وحيدتي »
قال « صحيح ما تقوله » ٤٠
قال « هذا هو الصحيح ورأس الامير »

قال « وإذا كنت كاذباً »

فلما سمع الدهقان ذلك زاد رعدة حتى صار يتنفس والفتى إلى من حوله من القواد والقباء لها، يجده ينهم من ينصره فرأهم مطريقين لا يستطيع أحداً منهم أن يفوه بكلمة فلم ير بدأ من الجواب لأن السكوت افوار بالذنب ولم يكن يختر له أن إيا مسلم مطلع على سر ابنته فقال « حاشا لي أن أكذب بين يدي الامير »

قال أبو مسلم « ان العقد لم يتم الا بعد زيارتنا وابنك لم تكن راضية بذلك العربي وإنما انت رضيته طأ استخفافاً منك بدعوتنا وترزفاً إلى العرب وقد جادلتك هي بشأنه في المليمة التي كنا فيها عندك وانت مصر على تزويجها به »

فلم يبق أحد من الحضور حق خالد بن برمك الا وقد دعى لاطلاق أبي مسلم على هذه التفاصيل مع اشتغاله بمهام القيادة العامة وتدمير شؤون تلك المجموعة وجعلوا يتلفتون بعضهم إلى بعض والدهقان يكاد يموت خوفاً وقد جد الدم في عروقه ووداً لو خسف الأرض وابتلاعه في تلك اللحظة ولم يمح جواباً واستولى السكوت على تلك الجلسة هنئةً والكل هادئون لا يخرجون كأن على رؤوسهم الطير لو داهم أحدهم السعال بلع ريقه تشكيناً لما يحيث في أعلى الصدر ثم قطع أبو مسلم السكوت وقال وقد وجه خطابه إلى القباء « فما قولكم بهذا الحراساني الذي سمع وصية الامام بأبادة العرب فنصرهم وصاهرهم ثم هو يقول انه ينصرنا ؟ »

فلم يحب أحداً منهم بكلمة لعلهم أنه لا يستثيرهم وإنما هو يهدى الدهقان ثم قال لهم « قاتن اذلم حفظ وصية الامام قيدلاً من أن تنصر الحراسين نصرت العرب وقد نصرتهم »

وهم أعداؤنا • أما أنا فلا يمكنني الا حفظ تلك الوصية وخصوصاً آخر فقرة منها
أتعلم ما هي ؟

ذارك الجميع من ادابي مسلم حق الدهقان نفسه وفهموا انه يشير الى قول الامام
من شكرت فيه فاقله • فنظر الدهقان الى ابي مسلم انظر المستفيث • فقال ابو مسلم « ان
طاعة الامام أولى من طاعة كل انسان وهو اوصاني ان اقل من أشك فيه وقد شكرت
فيك فلا يمكنني غير قتلك » ثم نظر نحو الباب فدخل اربعة على كل منهم دراعة من الجلد
الى اسفل الركبة عليها رشاش من الدم وعلى رأسه قانسوة طويلة ذات ثعبتين عليها شيء
من آثار الدماء وحول الدراعة منطقة من جلد فيها سيف • فلما دخلوا عام الدهقان اتهم
الجلادون وسمع ابو مسلم يقول لهم « خذوا هذا الخائن الى خوارزم »

فعلم الدهقان انه يأمرهم بقتله فمضى وترامي على قدمي ابي مسلم وجبل يتضرع
ويتوسل وهو يبكي ويقول « اصفح يا مولاي عن ذنبي فاعطيلك كل ما أملك » ٤٠
فاجابه ابو مسلم وهو ينظر الى سقف القاعة وقال بصوت ضعيف « ان مالك لـ
قتلت او بقيت حياً » فلما لم ير الدهقان اسفاقه من ابي مسلم تحول الى خالد بن برمك
وترامي عند قدميه واستشفعه فرق خالد ولم يكن احد يجرئ على مراجعة ابي مسلم في
شيء غيره فهمس في اذنه كلاماً فقال ابو مسلم « قد اجلنا قتله الان خذوه الى السجن
لتنظر في امره »

فتقدم الاربعة وساقو الدهقان بين ايديهم حتى خرجوا به من باب سري يؤدي الى
غرفة مظلمة جملوه فيها ولا سبيل لاحده اليه

الفصل الخمسون

الشغافاة

اما جلنار فلها زرت في قصر ذلك الدهقان بجوار دار الامارة وقد استأنست بقرب
الحبيب • فاز لها صاحب القصر بين لسانه فلاقت عندهن كل اكرام واحتفاء وخصوصاً من
الدهقانة صاحبة المنزل لانها كانت تعرفها وتعرف والدتها قبلها على ان جلنار كانت لاتسأل

بأحد الاشتغال خاطرها بابي مسلم وماذا عدى أن يدور بيته وبين والدها بشأنها وكانت تختلس الفرص لتخلو بريمانة وتحادثها بما بينهما من الشؤون ربيعاً يعود والدها من تلك الزيارة . فاقبل الظهر وأهل البيت يتظاهرون بجمعيه الدعفان ليأكلوا معًا فلما أبطأ ظنوه أكل على مائدة الأمير فلقدوا وجلنار أكثرهم قلقاً على غيابه ليس خوفاً على حيائه لأن ذلك لم يخطر ببالها بل حباً بمعرفة ما يدور من الحديث بشأنها

تفضت بقية ذلك النهار وهي على مثل الجزر وريمانة تعدوها وتنبئها حتى أمر الماء فلاحظت في أهل القصر تغيراً ورأسمهم يجتمعون ويتسارون وإذا لقتوها ظافرها وإيجاملة والحسنة فاشتغل خاطرها وشك ذلك إلى ريمانة فقالت لها « وانا لحقت ذلك فيهم »

فقالت جلنار « لا بد من امر حديث لوالدي » ٠٠

وما انت كلامها حتى جاءه بعض الخدم يقول جلنار « ان أحد خدمكم بالباب » فنهضت ريمانة وتبعتها جلنار حتى أقبلتا على الباب فإذا هناك صالح (او الضحاك) وفي وجهه أثر البقة فقالت ريمانة « ما وراءك ؟ »

قال « ادخلاني إلى مكان لا يسمعني منه أحد سواكما »

فدخلتا به إلى غرفة واقفلتا الباب بخلس وجلنار يتعاظم قلقها وقلبتها يتحقق حفقان متتسارعاً حتى بدأ صالح بالكلام فقال لها « هل سمعت بحادث اليوم في مجلس أبي مسلم » قالت « كلا »

فقصص عليها ما دار بين أبي مسلم ووالدها كانه كان حاضراً حتى ياخ إلى أمر أبي مسلم بقتل والدها فاقشعر بذاتها وامتنع لوتها ثم أخبرها بتوسيط خالد في الغزو عنه وأتهم أجلوا قته وحبسوه فلما سمعت ذلك استقررت ونظرت نفسها في حلم وقالت « حكم على والدي بالقتل ! ولماذا ؟ »

قال « لانه زفتك إلى ابن الكرمي ورغب في مصاهرته وهو عربيٌ وكان مولاً للدهقان يتظاهر بمحزبه الفارمي وأبو مسامٍ قتل على الشك كما لا يتحقق عليك » ٠٠

فاظرفت ثم التفت إلى ريمانة كلها تستطلع رأيها فرأيتها أشد حيرة منها فنظرت إلى صالح وقالت « هذا أوان المروءة وصدق الحديدة » وتررقى الدموع في عينيها

فوقف صالح وقال « أني رهين أمرك يا مولاً ووالذي أراه » ، وشك فازدادت جلنار قلقاً لنزدده فقللت « قل ما الذي تراه »

قال « لا أرى أحداً يقدر على التوسط في ذلك سواك »

بغاء قوله موافقاً لما في خاطرها . لأنها طالما تمنت مقابلة ذلك الحبيب وقد سرى ما جرى بينها وبينها ولم يستطعها ولا شأكها مع اعتقادها أنه يحيها . وكانت في أول ساعتها الحكم على والدها قد عزمت على النهاية بنفسها لخاطبته بشأنه اذا لا بد من ان يحيها الحديث الى الشك فيطمئن خاطرها وتسوّق من جهة . فلما شار صالح بذهابها انبسطت نفسها وبان البشر على وجهها ووقفت بفتحة بدون ارادتها فقال لها صالح « اذهبين الان ؟ » قالت « لا بد » من ذلك لأن الفرصة قصيرة واخاف ان يجعل الامير بقتل والدي قبل الغد »

قال « حسناً تعلين وانا استاذن لك بالدخول على يد الحاجب فقد عرفته وهو الذي قصّ عليَّ حديث اليوم . . . انه في غير مأموره ومخدرٍ ربيعاً اعود اليك بالاذن » وخرج

لتحوت جنار الى سجدة هناك يصلاح اهل القصر شعورهن « فيها واصلت من شانها اصلاحاً بسيطاً والتفت بالمعارف المزركش وانت راسها بشال موئي فقالت ريمانة « هل اذهب معك يا مولاي ؟ »

قالت « لا اظن ذهابك معي موافقاً اذ ربما لا باذن لنا بالدخول بما وانا احب ان اخاطبه على افراد »

ثم جاء صالح وهو يقول « فوري يا مولاي قد اذن الامير بمقابلتك » فنهضت وقد تسارع خلقان قليها وتصاعد الدم الى وجهها ومشت مع صالح والليل قد سدل نقابه تخرجت من باب القصر ولم تمش خطوات فليلة حتى احالت على باب القاعة وصالح يحيى بجانبها . فلما دخلت الى هناك قال « لا يخلو دخولك على هذا الامر من باهث على الحذر فكوني على يقين اذا شعرت بضيق اني آتيك كما تأني المردة ولكن احذرني ان تزادي بي باسمي القديم . . . »

فواجهت من هذا التحذير خوفاً ولكنها شغلت عن التفكير به بما هاج في خاطرها من مقابلة ابي مسلم وهي اول مرة تخاطبه بها في خواص مع ما في قلبه من لوعة الحب له وعوامل الاعجاب به . فاوصلها صالح الى الباب وشار الى الحاجب فوقف لها وادخلها القاعة وقد وسع لها ستر الباب بيده فرات قاعة كبيرة في بعض اركانها مشتملة عليها شموع متبردة . وفي صدر القاعة رجل متكي على واده وعليه ثياب الاماارة كانه سيف مجلس الحكم . فسبقاها الحاجب حق وقف بين يدي الرجل وقال « قد انت الفتاة التي استاذت

في الدخول على الامير»

«فقال ابو مسلم «اين هي» وأشار بيده الى الحاجب نخرج ومشت جلنار وهي تخطو المقوينا ورجلها لا تساعدناها على السرعة لما داهمها من الرعشة لدخولها وخدعها على ابو مسلم والرجال الاشداء يرتدون في حضرته فكيف بفتاة مفتونة وقد قاتل الصعب في سبيل الحصول على رضاه — والفتاة ترتد بين يدي حبيبها وهو مستهلك بها فكيف بين يختى الناس غفبةً واذا شكَ قتل

الفصل الخامس والخمسون

الحديث

وكان ابو مسلم متكتئاً على وسادة فلما اقبلت جلنار جلس وعليه العامة السوداء والبلية السوداء وقال لها بالعربيه «اهلاً بالدهقانة» «فاجابه بالفارسية «لست دهقانة وإنما أنا أمتك»

فأشار اليها ان تقدر فقدت على وسادة بين يديه وقد احست بالغلة المطلقة مع رجل تجده وتعتقد انه يحبها فقلب عليها الحباء تمازجه رعشة الحب ثم ذكرت والدها ولتها انت من اجله فلبت تنتظرك ما يقوله» ابو مسلم فقال لها بالفارسية «اراكم لا تخبون من الفرس الا لفتهم واما في ما خلا ذلك فانت عرب»

فادركت انه يعرض بالسبب الذي حكم على والدها من اجله فرفعت بصرها الي فلم تستطع التفرس في وجهه واحسنت كان منها ما ترشق من عينيه الى عينها وكان نوراً ياهراً يسطع من حدفيه فنهر الناظر اليها . فقالت وهي تنظر في البساط «وكيف تكون عرباً وقد بذلت النفس والثيس في سبيل الفرس .. على اتنا لو اردنا ان نكون عرباً ما استطعنا الى ذلك سبيلاً»

قال «وانت ايضًا تسمدين خداعي؟»

فلما سمعت ما في كلامه من الجلاء رأت غير مأغوفه «الضحى في ذهنها من حبه لها على انها حملت ذلك منه على شدة غضبه من والدها فقالت «حاش الله ان اخادعك وما

انت من يخدعون لأنك تخترق اعمق القلوب بعينيك وتكتشف غواصي الامرار
بذكائك فاف لفته سقيره مثلي ان تجاسر على خداعك ولكنني اقول لك الواقع «
فقطع ابو مسلم كلامها وقال « الواقع ان اباك قد خدعنا فاذير التقرب مثنا
والنصرة لنا على حين انه كان يخابر ابن الكرماني ليماهره وقد زفت ابنته اليه .
هل تذكرين ذلك ؟ »

فلم تستطع جلنار ردّاً على هذا القول فرأيت ان تأتيه من باب الاستعطاف بالحب
فقالت « لاريبي ان والدي ارتكب خطأً كبيراً يزفافي الى ذلك العربي ولو علم ما في
قلبي ... » قالت ذلك وتهجدت « لمارغري بي ... » ومع ذلك فان ذلك العربي المسكون
لم يدل من آماله غير الفشل ... »
فقال « يكنى ان اباك خادعنا وأوجب الشك فيه خل لانا قتله عملاً بوصية الامام
صاحب هذه الدعوة »

فصاحت « العفو يا مولي اعف عن والدي وان كان ذنبه كبيراً ... اعف عنه
لان تلك المظاهرة كانت سبباً في تجحيل امر العرب بقتل اميرهم . وهب ان والدي فعل ذلك
رغبة عن ابي مسلم فان في هذا القلب (وأشارت الى صدرها) من الحب له ما لو تفرق في
عشيرة لكان كل منهم حاشقاً » وشعرت بعد الفراغ من قولها انها تسرعت ولكنها لم تستطع
صبراً وقد ارادت ان تستطلع مافي قلبه ليعلمها من بالها
اما هو فلما سمع نصريحاً بمحبه استقر به منها وعدده تهوراً فاغتفى عنه وقال « افي
اشكرك على حبك ايتها الدعقة ولا انكر انك خدمت مصلحة اشراساتيين غير ان ذلك
لا يبر والدك من ذنبه »

فاستغربت بوجاهة البارد على خطابها الحار وقالت « الا تزال تذكر ذنب والدي في
جانب استهلاكي في حبك ... ؟ »

قال « لا تقولي حبي بل قولي حب دعوتي ومصلحة خراسان »
فزاد استغرابها انتصراها من الحب الى هذا الحد وشعرت انها اتكلمت في وادٍ وهو في وادٍ
فقالت « بل في حبك ايها الامير »

قال « وما الباعث الى ذلك والحب في مثل هذه الحال ينتهي بالزواج وانا لا اأرب
لي في النساء على الاطلاق بل انا اعد الزواج جنونا وقد تزوجت امراة وبكتي للإنسان
ان يحيى في زمانه مرة واحدة . واعلمي يا جلنار اني لو كنست من ينفرغون النساء ما استطاعت

القيام بالدعوة التي أنا فاثم بها . . .^(١)

وكان جلدار تسمع كلامه وقلها يكاد يُفزع من الغيظ وخيبة الامل لكنها تحملت
وقالت وصوتها يرتجف «لم تكن تخفي من قبل؟»

قال «لم احبك ولا احبيت سواك من النساء ولا اريد ان احب امراً»

قالت «لم نقل لرسولي انك احبيتني متى رأيتني وانك توّجل الزواج الى ما بعد الفرج
من الحرب»

قال «اخليك تعدين ذلك المهزار المنافق فقد قتله جزاء خيانته وهل تهدفين قوله؟»
فخذل كرت جلدار وصية الفحاك انه لا يزيد ان يعلم احد بيقائه حسناً فشككت عن
ذكره ولكنها مازالت مقتنة بصدقه لأخبارها ايام من قبل ولا أنها رأت غيرته عليها
وتغافلها في خدمتها فترجع عندها غدر أبي مسلم وأنه استخدمها واستخدم الفحاك في تنفيذ
غرضه لقتل ابن الکرماني ثم قتل الفحاك بخافت اذا جادله ان ينقض ويامر بقتلها وليس
اهون عليه من القتل . فاتجهت رشدتها وعمدت الى الملاينة ربها تقد والدها فقالت
«لانقضب امها الامير فاتي لم احبك من اجل الزواج ولكنني احبيت منافقك وسباكك . . .
فادرك ابو مسلم انها تخدعه خوفاً من غضبه تخدعها وقال لها «وانا احبيت منافقك
وشكرت غيرتك ونصرتك»

ف لما سمعت تلك الجملة منه وتحققت انه لا يحبها اخذت تشعر بانقلاب حبها
إلى بغض ولكنها لم تر بدأ من استعطاته لاقناعه والدها فقالت «فالقدم إليك ان تبني
ذنب والدي وان تعفو عنه وتسقيه»

قال «ذنب والدك لا يغير لانه يعدل خيانة»

فقالت «هب انه خيانة فاجعله» في مقابل خيانة ابن الکرماني في سبيل نصرتك
وهو زوجي . . .

قال «انك لم تقتلني في سبيل دعوتي بل قتلتني رغبة في زواجي»

قالت «وهل تعد ذلك ذنبي لي؟ وفي كل حال فقد ساعدتك على قتل الرجل مع انه
زوجي افلاتكائي على قتله بالعنوان والدي؟»

قال «تعدين ذلك فضيلة فيك وهي خيانة ثم لتوقعين ان اتزوجك ومن يفسن لي
انك لاقلتيكني . اما والدك فلا تتعي قبلك بشانه ولو اردت ان اطاؤهك في العنوان

(١) ابن الاثير وابن خلkanه

فلا سيل الى ذلك وتد عباق السيف العزل «

فهضت ثم جئت بين يديه وهمت بتقبيل ركبته وأذرفت الدموع وهي تقول « استحلفك بالامم ابراهيم صاحب هذه الدعوة ان تصفو عن والدي لاني اصبحت بعد جفاك لا كفيل لي سواه » قالت ذلك وسوتها يتقطع وتختاد شرق بدموعها
 فدفعتها يده وحول وجهه عنها وهو يقول « قات لك قد سبق السيف العزل ولا
 سيل الى حياة والدك »
 فاجفلت وتراجمت وقالت « اذا تمنى ؟ .. لا سيل الى حياته ؟ .. هل قتلتة ؟ .. »
 قال « نعم »

فصاحت « قاتله لا لم تقتله لانك أجات النظر في أمره الى الفساد بالله الا
 صدقني الا شفقت على شبابي وابقيت على والدي .. أنا المسكينة .. » واغرفت في البكاء
 حق كاد يغص عليها
 ولم يكن ذلك ليغير شيئاً من قلب ذلك الرجل الشديد ولم يحيها على بكلامها الا بقوله
 « قات لك انه قد سبق السيف العزل .. اذا كنت لا تصدقين فاري لك اباك من اى العين »
 ثم صفق فدخل غلام فقال « أأنتي بالدهقان »
 فلما سمعته يقول ذلك انتعلت آمامها وتوهمت انه لا يزال حياً فاتسعت الفلام
 بنظرها فرأته دخل دهليزاً في جانب القاعة ثم عاد وفي يده طبق كبير فوقه غطاء وقدم
 به حتى وضعه بين يديها وكشف الغطاء فرأت رأس ابها في قاع الطبق وقد تجمد الدم
 حوله وتلعلخت لحيته وشارباء واشتبك شعر رأسه وتلوث بالدم وعيناه لا تزالان
 مفتوحتين واتفاق التجاهيم نحوها كأنهما تذاران اليها .. فلما وقع نظرها عليه لم تهتز
 ان صاحت « ووالداء ! والفتت الى اي مسام وقد غاب رشدتها ولم تعد فتفه ما يقول
 ولطمطت خديها وصاحت « قاتله يا خلالم !! ويلاء ووالداء .. » وأخذت في البكاء حتى
 دوت القاعة بصوات نواحها

فقال طا ابو مسلم « اسكنني او ارسلك الى خوارزم حالاً »

قادركت انه يهددها بالقتل ولكنها لم تكن تالي بالموت لفروط حزنها فقالت « ارسلني
 الى حيث شئت .. لم يتحقق لاحياء عندي قيمة بعد خيالية حبيبي وقتل والدي » وعادت
 الى البكاء بصوات عال

فصاح أبو مسلم بالحاجب بخواه فقال «خذ هذه الفتاة إلى سجن النساء ولولا خوفك
أن يقال أني قتلت امرأة لأمرت بقتاها»

الفصل الثاني والخمسون

الفار

فشت جلنار مع الحاجب وهي تصيح «واولداء» وتبكي حتى اذا دنت من باب
القاعة سمعت الحاجب يكلماها عمساً ويقول «لا تخافي يا سيدني لا يأس عليك»
عمرفت انه صوت صالح فنظرت في نيابه فإذا هي نياب الحاجب فاستقررت وصولة
إلى تلك الحيلة ولكنها كانت لا تزال في شاغل من أمر والدها ولا تزال صورة رأسه
الملاعنة بالدم تنصب عينيها فلما خرج بها من الباب رأت في الدهليل شبحاً نائماً ويرقه نياب
فالقطط صالح الثياب بخففة ودفعها إلى جلنار وقال لها البسي «فإذا هي جيته وقلسوته
فلبسهما بسرعة ومن؟ في الدهليل وليس فيه أحد حتى يلغا إلى الباب الخارجي خرجا ولم
يعترضهما الخفراء لاعتقادهم انهما الحاجب وأحد اخديمه فلما خرجا من دار الامارة
مشى بهما صالح في ازقة ضيقة فلما يسلكها الناس حق وصلا إلى خان عند باب المدينة
يعرفه صالح فنزل في حجرة يبعد إليها بسلام وقد قطعا الطريق ولم يفعه أحد منها بكلمة
فلما نزلَا الخان ودخلَا تلك الماجرة أخذ صالح في تحذيف الامر على جلنار فقال
هذا ألم اللاح لك غير مرة انه خائن غادر ٤٠ قد سمعته يذكر ما قاله لي عن جبه لك
وافتانه بحملاتك ولكن أني لي أن أكتبه وهو صاحب السيف ولا شفقة عنده ولا عهد له
ولم أكن أعلم انه فعل ذلك خداعاً حق يستخدمنا في قتل ذلك الرجل المسكين ثم يفتنا
وقد أراد قتلي معه فأوصى الرجل الذي أرسله معي لقتل ابن الكرماني إن يدس السم
في قدسي أيضاً ففعل ولو لم تساعدني الأقدار وينقلب عليَّ التقيؤ سريعاً لكنني الآن
في عالم الاموات وهو يعتقد أني قتلت وقد قال لك ذلك الالية على أني لم أكن أخنه
يتعدد أذنيك او اذية مولاي الدھقان ولو علمت أنه يرتكب هذه الفظيعة وينكر
حيث لا ينفك من النهاب اليه - وإن كنت لا أظنك تقبلين مشوري بالامتناع عن
زيارة لما غرس في قلبك من الحب له وحسنظن به - ومع ذلك فقد أوجست خيبة

وغياث ما يلزم للفرار بك عند الحاجة فاغرت الحاجب حتى اسكنه ولبس ثيابه
وتزييت بزره لأنك من انفاذك وقد توقفت الى ذلك بمحول الله «
وكانت جنان تسمع كلامه كأنها في حلم لما مر بها تلك الملاية من الفرائب — رأت
رأس ابها في طبق وقد تعلق بالدماء وسمعت جفوناً جيدها فاقفلت رجاؤها من الحب
وذهبت آمالها ادراج الرياح فاستترقت في التأمل وصالح جالس بين يديها ثم قال لها
« أنا ذين لي ان اذهب لاستدام ريحانة »

فأنتبه وقالت لا بد من ذلك ۰۰۰ اذهب حنثلك الله ۰۰۰

فقال لها اعطي جفي وقانتوفي ۰۰۰

تعلمت ما قلبهمما وهو يقول « امكفي في هذه الحجرة ولا تخرحي منها حتى أعود »

وخرج وأغلق الباب ورا

قبلت وقد خلت بنفسها في تلك الحجرة الحقرة ، فافتقت فام تجد حولها الا جدران
عارية عليها رفوف من الخشب قد سرت فيها وعلى الارض حصير بالفوقة فراش فنر
والمكان على اجالل موشن يزيده شعف نور السراح وحشة . وتصورت قصر والدها
وما كانت فيه من النعيم وما قد بنته من قصور الآمال وكيف أخناعت تلك الذمم وهدمت
تلك القصور في ساعة فقتل والدها وخانها جيدها وخرجت هاربة تلهي لا تعرف مقرها ۰۰۰
وفكرت في أسباب ذلك الشقاء فلم تجد الاوم يقع على غير أبي مسلم وتصورت ما كان له
من الحب في قلبها وكيف قابلها بالحباء وهددتها بالقتل بعد ان نتنيك بوالدها . فاقترب
جيدها الى يغض شديد وأصبحت لا تستطيع تصوره .. تلك هي المادة في مثل هذه الحال
فإن الحب اذا رأى من جيدهه غدرًا او خيانة اتقلب جبه بغضًا شديدًا وأصبح من اكره
الناس له فكيف بجناتار وقد انهرها جيدها وخانها وقتل والدها وان كان في الحقيقة لم يخن
جيدها لانه لم يعاوهها ولا اظهر لها الحب ولكنها كانت تعتقد ذلك بناء على شهادة الشخص الثالث
وان كنا لا نرى اي مسلم من الشدة والقصوة ولمل عنده انه لم يكن بمحب ولا يشعر بالحب . وذلك
الزواج جنوبياً بل هو لا يدرك عواطف الحسين لانه لم يكن بمحب ولا يشعر بالحب .
نادر في الناس والحمد لله لان الحب يدمر الاخلاق ويلطف الطياع وهو ابو الشفقة
وشقيق الحنان ولو لاما لا كل الناس بعضهم ببعض . لان الذي لا يحب لا يرحم ولا يشفق
فيذهب الضعفاة ضياعاً لتسلط القرفة الحيوانية . واما تصلح هذه الحصلة في رجال الحرب
وخصوصاً في ذلك العصر عصر الشدة والبعش وتد كانت في اي مسلم بأعلى درجة

لأنه^{هـ} كان لا يبالي أن يقتل أخاه أو أباءه إذا وقف في سبيل مقاومته فلما عانه بثلاعه
الدهقان بادر إلى قته ليخلص مما قد يخطر له من الحياة أو نحوها ولو كان في مدر
أبي مسلم قلب يحب^{هـ} ما صم^{هـ} أذنه عن استفادة جنار ولا خطر له أن يكافئها على تحبها له
يعرض رأس والدها في طبق بين يديها

قضت جنار في مثل هذه المواجه حيناً واستغرقت في ذلك حتى نسيت نفسها ثم
انتبهت لانفرادها في تلك الحجرة لا تسمع إلا شخير الخيل أو صريرها وضرب الأرض
بالحواجز وقد غلت رائحة الدواب على كل طيب — وكفى برائحة الخان مثلاً للفقدان
والثانية . وتنذكرت بيت أبيها ومقتل والدها فقلب عليها الحزن فعادت إلى البكاء ولم ترَ
ما يفرج كريها سواه . فبكى حتى بلت ثيابها وهي تخاذل إن يملو صوتها لثلا يسمعها
أحد يأتي إليها وهي منفردة على هذه الصورة فتعاطم أمرها عندها ولقصبة العظمي
تظاهر ساعة وقوعها صغيرة في عيني صاحبها ثم شجلي له فتعاطم عند^{هـ} حتى تبدو
كما هي فإذا طال صبره عليها تصادرت حق تزول — وكذلك جنار فلم تدرك
عظم مصيبتها لأول وهلة فاما خلت بنفسها وأطاحت العنان لتصوراتها اخذت مصيبتها
شجلي لها وتعاطم عندها وأيوب سالم السبب الرئيسي في كل ذلك وكانت إلى تلك
الساعة اذا ذكرته احس بشيء كالانعدام هو بحقيقة ذلك الحب الصادق على ان ذلك
الشعور لم يكن يكفي الا كثرة البصر ثم يزول ويختفي الغضب وحب الانتقام

الفصل الثالث والخمسون

البغة

على أنها تعبد من تلك المواجه مع ما كانت فيه على اثر تلك الصدمة فقلب عليها
الناس فغمضت عينيها لحظات قليلة رأت في اثنائهما حلماً طويلاً ظهر فيه أبو مسلم
بصورة الحبيب كما شاهدته للمرة الأولى في بيت والدها وانه^{هـ} جاملاً ولاحظها فتشاكيها
وتعابها وتنذكرت وهو يلاحظها ما كان من جفائه بقتل والدها وخيانة عهدها فتوهمت ان
ذلك الجفاء كان في الحلم وانها عادت إلى اليقظة فرأت حبيبها على عيده ثم مالت انت

استيقظت فرأت حلها يقظة و يقطنها حلماً . ولكن شبح التي مسلم كان لا يزال مرسوماً امامها بصورة الحبيب بخدمات مخاطبها و تعابها قاله « اهذه شروط الحياة عندك يا قامي القلب ؟ .. لقتل اي و تخون عهدي ثم تهدد في بالقتل حتى افع بالغوار سالة تحث خطر القتل » وفي ثناجي نفسها على تلك السترة اذ سمعت خشونة و شيئاً و رأت شيئاً من بين يديها مرور السهم فاجفلت ووقفت رغم ارادتها ونظرت فإذا هو جرذ دخل المجرة من ثقب في الطائف تحت الباب وانصرف الى ثقب تحت بعض الجدران فتفت شعرها وأصبحت تختلف الجلوس على ذلك الحصير فوقت وكان لفوفها حركة عتابية لاتها افرعت جرذاً كان كاملاً وراء الفراش فذرت وكان اعدوه على الحصير خشونة عظيمة شغلت جلدار عن هواها وصائتها واصبحت همها تحذب الجرذان وغیرها تخافه ان تمس يدها او رجلها . وحدثها نفسها ار تخرج من المجرة ولكنها لم تجسر على ذلك لاتها لا تعرف احداً في اخلاق . فاستبطأ صاحل وخافت ان يكون لابطائه سبب يبعث على اخطر فساق الدنيا في عينها . وادا هي الخبيحة صالح في ذياء اخلاق تتحقق قليها مسروراً وتهيا اللاته واصفت اتساع وقع قدميه على السلم وتبع وصوله الى تلك المجرة فلم تسمع شيئاً فاستغربت ذلك وتوهمت اتها سمعت هتاف بعض الارواح من الجان فاقشعر بدهنها وجدد الدم في عروقها وذلت واقفة في مكانها لاتجسر على المishi ولا على القعود وقد امسكت نفسها ببالغة في الاصحاء . فخذلت عدة دقائق وهي لا تسمع غير دقة حوار الدواب واصوات شخيرها ثم تهنت صوتاً لم تشک انه صوت صالح وهو يقول « اعدد كل شيء ، ربنا اعود » ثم سمعت خلق نعاله على السلم فاطلأن خاطرها وامرعت نحو الباب وفتحته فرأت صالح وحده والبغنة ظاهرة على وجهه فقالت « اين ريحانة »

قال « هي هنا .. هيأ بنا سريعاً للزوج من هذه المدينة قبل افتتاح ابوابها علينا .. وهذه الطيول معدة في ذياء اخلاق » قال ذلك واخذ يبحث عن جهة الحاجب وقلسوته وكان قد تركها هناك عند ذهابه تخلع قلنسوته وجيئه وليس تلك ياسرع من لمح البصر ثم مثى بين يدي جلدار

فتبعته على السلم وهي تعمّر باذ يالها من البغنة فضلاً عن اختلال الدرجات وليس فيها درجة مثل صاحتها ولسا وصل الى ذياء اخلاق رات جلدار ثلاثة افراص سرجة وريحانة واقفة بجانب واحد منها فقال صالح « اركي يا ولاتي على هذا النرس » واثار الى ريحانة فركبت فرساً وركب هو فرسه واثار الى صاحب اخلاق فامر رجالاً ان يسير في ركابهم ليعود

باتخيوه . فساق صالح فرسه اولاً وهو يقول جلنار « تبني على فرسك يا مولاتي واتبعينا » واوصى الرجل ان يبقى الى جانبها لياساعدتها عند الحاجة مشى الركب على هذه الصورة وكلهم سكت وجلنار لم ير نفسها عن استطلاع الباب الذي اوجب هذه الجملة . وبعد قليل وصلوا الى باب المدينة فوجدوه موصداً على جاري العادة من اصداده عند الفروب فصاح صالح بالباب صيحة رجل له سلطان فبعث الباب واسرع فقال له صالح « يا يال ياك لا يزال مقفلأً عليك كنت نائماً عند ما جاءتك الاوامر بفتحه ، بذلك ساعة ؟ ٠ ٠ ٠ »

ف لما رآه الباب يختاطبه بهذه الجسارة وعليه ثياب الحجاب صدقه وخاف شكوكه لانه بالحقيقة كان عند العشاء غائباً وقد ذهب ليتناول الطعام في منزله ولم يخطر له ان يرسل الامير من يأمره بفتح الباب . فلما دده صالح ظن الامر جاءه في اثناء غيابه وخاف الشكوى لعله بشدة ابي مسلم فهم بالاعذار فقطع صالح كلامه قائلاً « لا يامس الان امريع وانق الباب لأن « همتنا مستجدة كثيراً ولا وقت لنا لاستئناع الاعذار »

فامسرع الرجل وفتح الباب وما صدقوا انهم اصبحوا خارج المدينة وساقوا خيولهم وصالح دليهم وكلما قطعوا مسافة تفقد جلنار وريحانة والليل ظلم ولكنها كان خيراً بذلك الارض يعرف الطريق السهلة والصعبة والجهات المأهولة وغير المأهولة . فلما بدوا عن مرو امسك عذان جوارده حتى ساذى جواد جلنار وسامحا هل احسنت بالتعذيب فقالت « نعم تعيت ولكنني لم افهم سبب هذه الجملة ٠ ٠ ٠ »

قال « ساخبرك عند وصولنا القصر ٠ ٠ ٠ »

قالت « واي قصر ٠ ٠ ٠ »

قال « قصر مولاي الدهقان فانا على مقربة منه ٠ ٠ ٠ »

فاطهان بما لفربها من بيت ايتها وبعد قليل اخ佗 على القصر فامسرع صالح حتى اتى الباب فطرقه وصاح بالباب « افتح ان الدهقانة قادمة فبعث الباب ولم يصدق حتى سمع صوتها تنديه ففتح لهم فدخلوا بالافراس . وترجلوا في المدينة وهم صالح يده وفأول الليل كيكـا وامرء بالرجوع فركب احد الافراس وساق الفرسين وراءه ورجع الى مرو وكان اهل القصر زباماً فامررت الدهقانة الباب ان لا يوقف احداً منهم الى الصباح ودخلت صالح وريحانة معها الى قاعة والدهما وهي على مثل الخبر لاستطلاع الخبر . فلما دخلوا قالت « قل ما وراءك يا صالح لقد افاقتني بالي ٠ ٠ ٠ »

قال « ان الذي سترعى نيتنا اعظم من ذلك .. اذا لا ينبغي لنا ان نبيت هنا ولذلك
اسمح لي ان آمر باربع اخيول من مرابط والدك لاسفر بامسرع يمكن .. »
فقالت « افعل » تخرج وهو يعرف مرابط الخيل فايقظ السياسي وامرهم ان يعدوا ثلاثة
من جياد الخيل السهلة القيادة وعاد الى القاعة وجثار رريحانة في انتظاره على مثل الجر فلما
دخل جلس جاثياً وقال « اعلى يا مولاكي اني لما رجمت لاستقدام ريحانة ، هررت بدار
الامارة فرأيت الناس في هرج ومرج ثم علمت ان ابا مسلم علم بفاراك فامر بالبحث عنه
في غرف الدار وما يجاورها وانهم اذا لم يجدوك يعنوا من يأمر بوابي المدينة هم من
المزور الا من عرفوه او انهم يتوارز فهربت الى قصر صاحبكم الدهقان وتاديت ريحانة واتت
بها من طريق خفية حتى وصلت الى اخنان فتحت حق شعرى بقدومي ثم امرت صاحب
اخنان باسراج الانفاس وذهبت لاستقدامك فركبنا وبيتنا الى هنا كما ترين »
فأعجبت بدهائه وغيرته وقالت « وما هو الباعث على سرعة خروجنا من هذا القصر »

قال السبب ياسيدتي ان ابا مسلم ما يبعث في صباح الغد من يقبض هذا القصر وما
فيه وقد سمعته يقول ذلك وهو يهدد المرحوم والدك بالقتل وخصوصاً بعد ما يعلم بفاراك
ولا يجدك هرو فلا بد من ان يبحث عنك في هذا القصر ودل في وسعك الوقوف في وجهه
وهو صاحب السلطان وليس في قلبه شفقة ولا حنان »

فزادت مصيبةها بذلك اذ اخبر ريحانة لانها كانت تظن نفسها اذا يثبت من الدنيا
او دت الى بيت ايتها فتقيم فيه وتعيش عيشة الملوك وتتنامي مقتل والدك بالزواج من احد
الدهاقن فلما سمعت كلام صالح غضت بريتها ولم تجالك عن البكاء وقالت « الا يكفي
هذا القلام قتل والدي وخيانة عبدي حتى يضع يده على اموالنا وضياعنا » . قالت ذلك
واوغلت في البكاء وشاركتها ريحانة في ذلك فقال صالح « ان البكاء لا ينفعنا يا مولاكي بل
هو يزيد المصيبة خفامة وليست هذه الخطام ما يطمع فيه بعد ذهاب صاحبها دعي ابا مسلم
ينعل ما يريده وسترينه نائلًا » جزاءه باذن الله .. سوف تنتقم منه انتقاماً ينسيك
كل هذا العذاب »

فلا سمعت الوعد بالانتقام ارتحت نفسها اليه — ولا يشقي قلت المotor الا الانتقام
وقد سرها ان صالح بدأ بذكر الانتقام ووعدها به فقالت « انتقام لي منه .. »
قال « انتقم لك ولـ .. الم يا مولاكي ولو لا القدر لانه بـ مع ابن الكرماني في ساعة
واحدة ولكن الله ابقىاني لانتقام لك » .

فقطعلمت جلنار كلامه وقالت «ان القدر دبرت ذلك سجن حظي لاني لولاك ما عرفت كيف يكون مصيرني .. فالآن كيف العمل؟» قال «يبقى لنا قبل كل شيء ان نحمل ما في هذا القصر من خفيث العمل وغالي الثمن .. اعهدني الى بذلك وانا اعتم بتدبره»

فالتفتت جلنار الى ريحانة وقالت «ريحانة تعرف كل شيء» فقال لها «اخبريني عن اماكن القود والمالي واذهي واتبني لها .. وانا باقى هنا في انتظارك ..»

فنهضت ونظرت الى جلنار فقالت لها «لا تتركي شيئاً من المالي ولا القود ولا تنسى ثباتي .. اختاري منها أحسنها وامرري اطازن ان يعطيك مفتاح خزانة والدي لعله ابقي فيها شيئاً لم يجعله الى ذلك اخائن ..»

فقالت ريحانة «ان هذه الاموال تحتاج الى دائبة او دابتين حلها» قال «وري السياس ان يعدوا بغلين مع الافراس التي امرتهم باعدادها»

الفصل الرابع والخمسون

الوسيلة

نفرجت ريحانة وظل صالح مع جلنار فقال لها «اريد منك يا مولاتي انت تتخلي بالخلق الرجال وتتخلي عنك ضعف النساء فاتنا مقبلون على عمل عظيم يكتفي به صبر ودهاء فإذا كنت لا تصررين على التعب او لا تریدين الانتقام اخبريني منذ الان ولا تتعبي نفسك بالاسفار ..»

فقالت «اذا كنت لا اريد الانتقام فا الحيلة وانا لا استطيع الاقامة في هذه الديار وكيف لا احب الانتقام من رجل سلبي اهلي ومالي واخرجني من بيت ابي طريدة شريدة وخان عهدي وهددني بالقتل فاذما كنت انت ترید الانتقام لانه اراد قتلك فكيف وانا موتورة بقتل والدي .. ولا تخسب خيانة الميد اخف وقعا في نفسى من اليوم ..»

ولأ لوم على اذا اردت قتلها وانا ذلة فهو الذي علني قتل الرجال وانت تعلم كم ترددت يوم افتتح علينا قتل ابن الكرمانى وكم اشحانت تلك المبرية ثم ارتكبتها الجائمة لترد به وضحيته سببه فكما في باطنية والغدر فلا غرو اذا اقليت عافية سعيه عليه

قال « اذا كنت مسمومة على ذلك فانا ذلة ارادتك في كل ما ترين فيه مسلحة وستباحث في الطريق اللازم . واما الان فلا بد» لنا من معرفة الشعاعة التي يحب علينا اتخاذها في العمل لاننا لا نقدر على هذا الرجل بالسيف وهو صاحب القوة ولا نقدر عليه بالدهاء والبطاش وهو ادعي الناس واشدهم بعلما فلا بد من حيلة نخاطها عليه » فاحسنت جلدار بقسر ياعها في هذا الشان وبان الارتباك في وجهها

فابتسم صالح وقال « لا لتفعلني يا مولاتي ولا تقافي اني اسألك لقلة الوسائل عندي ولكنني استطلع رايتك »

فابسطلت نفسها وقالت « كيف اعرف الوسائل وانا لم اخرج من بيت والدي قبل ذلك الخروجة المشؤومة فذر انت ما تراه وانا امير ملكك

قال « ذلك ما كنت ارجوه من تعطلك وحزنك . . فاعلني يا مولاتي انا لا نقدر على الكيد لاني مسلم الا في الشام عدد الامواء بين فهم اعداؤه الالداء وهم الذين ينتظرون لنا منه »

قالت « وكيف ينتظرون لنا ؟ هل يهددون عسكراً سخاريـة عـنا وهـب انـهم يـفعلون ذلك قبل تـفـنـي انـهم يـفلـطـون والـرـجـلـ أـعـذـنـ فيـ مـرـوـ ؟ »

قال « لا اعني ان يهددوا جيشاً لترد به لانهم كما قالت لا يفعلون ذلك من اجلنا وادا فعلوه لا يفلطون ولكنني اهدفهم الى جذر الشجرة اذا قطعوه سقطت الشجرة ميتة فلم تفهم جلدار مراده فقالت « واي شجرة ميتة

قال « اعني صاحب هذه الدعوة الذي قام ابو مسلم واصحابه يدعون الناس اليها ياسمه »

قالت « اخليك تعني ابراهيم الامام »

قال « ايـاهـ اـعـنـيـ ؟ »

قالت « وكيف توصل الى ذلك الجذر وابن هو ؟ »

قال « هو في جهات الشام في مكان لا يعرفه الا نفر قليalon »

قالت « وهل تعرفه انت ؟ وابن هو ؟ »

قال « نعم ، انه في الحيسة في ارض البلقاء بالشام . »

قالت « وما الذي جاء به الى هناك وكيف اصل حكماته ؟ »

فقال « ان الوقت قصير لا يأخذني لي بسرد الحكمة مطولة ولكنني اقول بالاختصار ان النبي لما مات لم يوص بالخلافة ل احد فاختلف الصحابة عليها وكانت اثنتين المهاجرين والانصار . فالمهاجرون هم الذين هاجروا واعدهم من مكة الى المدينة يوم هاجر فراراً من ظلم اهلها والانصار هم الذين نصروهم لما جاءت المدينة . وبعد جدال طويلاً افروا على ان الحق في الخلافة للمهاجرين فتلولاًها واحد منهم ثم الثاني والثالث بالانتخاب فيما بينهم ولم يكونوا يعرفون توريث الملك كما كان الفرس يفعلون . ولكن اهل النبي الاقربين كانوا يرون التوريث ويدعون خروج الخلافة من ايديهم حينما وظفوا واقرب الاقربين من النبي عم العباس وابن عممه علي ابن ابي طالب . وبعد الخلافة الثلاثة تولوها علي بن عممه لكنهما لم تتوافق في نسله فاخذها منه بتواءمية بالدعاه والعصبية وتوارثوها خمسة سنة الى مروان بن محمد الذي يختاره ابو مسلم الان . وكان اولاد علي واولاد العباس في اثناء هذه المدة يسعون في استرجاع الخلافة لهم وهم الذين يعبرون عنهم باهل البيت وكل منهم يطلبها لنفسه آل علي يريدونها لأنفسهم وآل العباس يزعمون انهم احق بها من سواهم . ثم ان آل علي الذين يطالبون بالخلافة فشان احدهما نسل ولد من امراته فاطمة بنت النبي والثانية بنت ابيه من امرأة اخرى واسمها محمد بن الحنفية . وكان كل من هؤلاء ايضاً يطلبها لنفسه . فافقق ان ابن محمد بن الحنفية هذا واسميه ابو هاشم جاء دمشق وافقداً على سليمان بن عبد الملك الاموي فرأى سليمان منه فضاحة وقوته شفاعة فاوغر الى رجل سمه بين فاحس ابو هاشم يقرب الوفاة وهو راجع الى المدينة تغافل ان يموت قبل ان يعود بالخلافة ل احد من اهله ولم يكن احد منهم معه لكي ياتي له فخرج الى بلد في البلقاء يقال لها الحيسة كان يدور العباس يقيمهون فيها ويدعون الناس الى اقسامه سريراً . وكان صاحب الدعوة منهم يومئذ محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس فنزل عنده ابو هاشم وآتى اليه وكان معه جماعة من شيعته سليمان اليه واوصاه بهم ثم مات . فاخذ محمد الله كور في بئر الدعاء ثم مات وخلف اولاداً كثيرين من جملتهم ابراهيم الذي يسمونه الامام فاقام ابراهيم بعد ايه بالامر واستكثار من بئر الدعاء الى الاطراف وخصوصاً خراسان لأن الشيعة كانوا اشد وثوقاً باهل خراسان من غيرهم

فقلعت جلنار كلامه وقالت «لماذا لم يسعوا في غير هذه البلاد»

قال «لان اهل الشام ومصر هواهم مع بني امية وفيهم اهل الدولة واما الحجاز فأهلها قليلون لا يستطيعون القيام بالدعوة وأما أهل البصرة والكوفة فكان اهل اليت مذكورون منهم لأنهم خاروهم غير مرء وزد على ذلك ان اهل خراسان كانوا ناقين على بني امية لاحتقارهم لبناهم وعسفهم فيما كانوا منهم اذن صاغية» وكان اهل خراسان من قبل يبايعون الآل على ضد بني امية وتوفيق ابراهيم الامام الى ابي مسلم هذا فبعثه قائداً لدعاته وقباته فتمكن بدهائه وشدة وقوته الى فتح سرداريات وهو يتظاهر بالبايعة لاهل اليت على العموم اي اهل بيت النبي «فالناس يبايعون الان لا ابراهيم الامام باسم اهل بيت النبي على ان يتباواها العباسيون والعلويون ولكنني لا اظن العباسين يسيرونها من ايديهم» والخلاصة ان ابراهيم الامام هو مركز الدائرة التي تدور عليها هذه الدعوة وهو مقسم في الحمية ولا يعلم به سوان بن محمد صاحب دولة بني امية فالذى اراد ان نسعى في كشف هذا السر لروان فيبعث من يغضض عليه بسهولة ومتى حبه او قتله ذهبت مساعي ابي مسلم هدرآ فيشتت امن بني امية وهذا اشد انتقاما تقدر عليه»

فلم سمعت جلنار قوله احست بارياح لرأيه وقالت «انه رأى سواب وكيف تفعل» قال «لا بد لانا من مغادرة هذا المكان سريعاً بما حفظ» حبه «وغلنته ثم نسافر الى العراق فالشام ونسعى في الامر»

فقالت «من ترك هذا القصر وهذه الجناح؟»

قال «تركها لذلك الظالم الذي يديه السلطة الان وهو يطلب حياتنا فذا نجوتنا بها غلبناه ولا يقتله البنيان ولا الاشجار شيئاً عما سنדרه طلاقه باذن الله»

الفصل الخامس والخمسون

وفيها في الحديث جاءت ريحانة مسرعة وهي تقول «قد اعددت ما يلزم وجمعت كل الخل والنقود والثياب وهي كثيرة تحتاج الى عدة بغال طهاها وأوصيت السائس ان يبعد الافراس والبغال»

فقال صالح « هلم بنا يا مولاًي » ٠٠٠

فنهضت وخرجت من القاعة حتى اطلت على الحديقة فسمعت صوت الافراس
ورأت البغال وعليها الاحمال وتصورت أنها خارجة من البيت الذي ولدت فيه ورمت بين
اشجاره وجدرانه في عز ونعيم وحولها الجواري والخفش كأنها سلطانة في عالمه فكيف
لخرج منه هاربة إلى ديار غربة لم تطأها من قبل وفي مشروع عظيم يصر عنه كبار الرجال
فتاب عليها خمسة النساء فدمعت عيناها و كان صالح يراقب حركاتها ومخاف ضيقها فلما
لخط ذلك فيها استدرها قائلاً « لا بد لنا من السرعة قبل أن يدركنا ذلك الغالب برحاله ويقبض
 علينا جميعاً فينال منا مراء ويتذهب مساغينا ادراج الرياح وأختارى من خدمك اثنين
 او ثلاثة تقيين بهم يكتونون معنا لخدمتك او لمهام أخرى » ٠٠٠

فلما سمعت تهديده هان عليها المخروع وقفت بالجاهة والتفت إلى ريحانة وقالت « من
 ترين ان اصطحب من الخدم الامنة »

فاجابتها على الفور « فنسطحب سعيداً الصقليبي فإنه أمين ونبيه فيكون في خدمتك
 خاصة وتأخذ معاً أبا العينين لأن أصله من العراق ويعرف عادات البلاد وطرقها فيكون
 لك عوناً ودليلًا وهو مع ذلك لشيط أمين وإذا ثنت خادماً ثالثاً فسيحان الخلي لابأس
 منه لأن أصله من الشام » ٠٠٠

فاستحسنت جلنار رأيها وقالت لها « أبعشي لهم وأتيتنا بهم سريعاً » فذهبت ريحانة كما
 أمرتها ووقفت جلنار في انتظارها وتذكرت في أمرها وصبر ذلك القصر وألهه فقالت في
 نفسها « ان اهل هذا القصر لا يزالون سعداء لأنهم لم يعلموا بما أصاب مولاهم ولا بما
 يهددهم من الخطير في الغد » ثم نظرت إلى صالح وقالت له « اترك اهل هذا القصر تحت
 خطأ الفتيل والاسر ونحن نعلم بما يهددهم الآترى ان نخبرهم بما أصاب والدي وختبرهم »
 قال « لا بد من ذلك ولكن بعد خروجنا ونجاتنا بما معنا »

فمامت أنه لم يفته شيء لا من التدبير فسبكت ثم جاءت ريحانة وجاء الخدم الثلاثة
 فسعيد الصقليبي أصله من سبي الأندلس لما توجهها موسى بن نصر سنة ٩٢٥هـ اذ جمع من
 السبي شيئاً كثيراً وقيم الفلاحان والنساء وكان سعيد يومئذ في الخامسة من عمره فوقع
 في سهم بعض الجند فباءه بعض النخاسين الذين يتبعرون بالخصائص البعض تخلصه وضمه
 إلى من كان عنده وسماه سعيداً ثم انتقل سعيد بالبيع إلى دهقان من وطاش في منزله
 مدة طويلة وكان يتكلم العربية والفارسية ونبي لغة بلاده وقد سمه صفين ليلاشه

وكان طويلاً القامة طويلاً الساقين صغير العينين صوت النساء كصوت النساء وجهه قليل الشعر وأما أبو العينين فقد لقب بذلك لكبر عينيه وجحوظهما وأصله من أشاط العراق ودخل في خدمة الدهقان من صغره بلا شراء وانقطع اليه وهو بعد نفسه من رفقته وأما سليمان الحلبي فسمي بذلك لأنه محظوظ من جهات حلب وليس حلبي الأصل بل هو رومي وقع أسرًا في بعض الواقع بين الروم والعرب ويقع كما كانت تابع الاسرى في تلك الأيام ولم يتوفى لكن يثديه حتى دخل في حوزة الدهقان وصار من عباده فاعجب الدهقان حسن خلقه ورأى فيه مروءة فأعتقه فاصبح من مواليه فاطلق سراحه وخیره بين البقاء عنده كبعض أولاده أو الذهاب إلى باده ففضل البقاء عند لاهه ألف المكان ولم يعد يعرف مصير أهله وكان الدهقان يحبه وينفعه فريحانة قد أصابت المرمى باختيارها وجاء هؤلاء الثلاثة وقد استعدوا للرحيل ولا يعرفون الغرض من ذلك وجاؤهم بالدواب لركوبهم ودبوا كل شيء وكان الفجر قد دنًا فشار صالح بالركوب فركبوا ركب هو في مقدمةهم وقال للدواب وغيره من أهل القصر إنه عائد إليهم بعد قليل فاطاعوا وهم يستغرون ما رأوه لأنهم لم يعلموا به قتل دهقانهم ولا ما ينويه أبو مسلم من الفتنة بم

سار الركب والليل يهم بالقرار وقد أقبل الفجر مبشرًا بقدوم الشمس سلطانة النهار وما يعلو عن الخلقة أو قنطرة صالح في خلوة واخبرهم أنهم ذاهبون في خدمة الدهقانة جنلار إلى الحج وان ذاهابها سري فلا ينبغي ان يعلم به أحد فإذا سئلوا عن المكان الذي اتوا منه فليقولوا انهم من مدينة بلخ وقد خرجوا يريدون العاق بقايا نعمتهم منذ يومين فاصدّة بيت الله الحرام وأوصاه ان لا يذكروا اسم الدهقانة ولا الدهقان وانه سيخبرهم بالسبب بعد قليل ثم تقدم إلى السعفانة وقال لها «أفي راجع إلى القصر لأخبرهم بالواقع واعود فامكثوا في انتظاري»

قالت «مر بحراسة الله وافعل ما تشاء»

قال «اعطيني رجالاً من اتباعك يزكي شهادتي او يويد قولي» فامررت سعيداً الصقلي ان يرافقه فسار معه وهو لم يفهمقصد ولكنه سار طوعاً لامر مولاته فاصر له صالح حقيقة الامر وأوصاه انت يساعدنه في تلك المهمة وساقاً جوادها نحو القصر فلما وصلا إليه رأى أهله في هرج وقد استيقظوا من رقادهم وعلموا بسير مولاتهم على تلك الصورة فدعوا صالح قيم الدثار وأخبروه على افراد بقتل الدهقان وان ابا مسلم سيرسل من يستولى على القصر بما فيه وأوصاه ان يتدبر بالامر وان الدهقان قبل ان

عوْت اعْلَقْ عَبِيدَه وَجَوارِيه جَمِيعاً وَانَّ الْقُصْرَ يَأْفِيه صَارَ مِلْكَا حَلَالاً لِّمَمْ إِلَى ان قال «فَتَدَبَّرَاتُ بِحُكْمِكَتِكَ حَقَّ لَا يَظْفَرُ ذَلِكَ الْقَائِلُ بِكَمْ وَاسْرَعَ لَاهَ لَا يَلِيثَ ان يَعْثِيْنَ يَقْبَضُ عَلَيْكُمْ» فَأَلَّهُ عن الدَّهْقَانَةِ قَالَ «إِنَّهَا إِنْقَالَتِ الَّتِي بَعْضُ أَهْلِهَا فِي نِيَسَابُورَ وَإِنَّهَا هُنَّ الَّتِي بَعْثَتِ إِلَى أَهْلِ الْقُصْرِ بِالْعَنْقِ وَالْخَرْبَةِ وَوَهْبَتْهُمْ كُلَّ مَا فِيهِ» إِلَى ان قال «وَهَذَا سَعِيدٌ رَّسَوْلًا إِلَيْكُمْ»

فَوَافَقَ سَعِيدٌ عَلَى قَوْلِهِ وَأَكَّدَ لَهُ ان الدَّهْقَانَةَ تَوْصِيهِ بِأَهْلِ الْقُصْرِ خَيْرًا وَان يَنْقَذُهُ بِحُكْمِهِ وَبِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ وَبِوَافِيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى نِيَسَابُورَ لَاهَنَاكَ بَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ فَصَدَقَهَا وَاخْذَ فِي التَّدْبِيرِ

الفصل السادس والخمسون

سليمان بن كثير

اما صالح فانه عاد مع سعيد الى الدَّهْقَانَةِ وَخَدَمَهَا وَكَانُوا فِي انتِظَارِهِمَا وَاخْذُوا بِفِي جَدِ السَّيْرِ حَقِّ اتْصَفَ النَّهَارُ وَقَدْ بَعْدُوا عَنْ مَرْوَ وَخَطَّوْ رَحَامَمْ وَفَصَبَّوْ خَيَامَهُمْ بِجانِبِ عَيْنِ مَاءِ فِي خَلَالِ الْأَشْجَارِ وَمَكَثُوا لِلَا سَرَاحَةِ . فَاغْتَمَمْ صَالِحٌ ثَلَاثَةَ وَذَهَبَ إِلَى الدَّهْقَانَةِ وَعَنِّدَهَا رِيمَانَةً وَقَالَ لَهَا «يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلَعَ خَدْمَكَ الْأَخْصَاصِيْنَ عَلَى مَرْءَةِ الْأَمْرِ وَنَكْتَمَهُ عَنْ سَائِرِ الْأَخْدَمِ الْآخَرِيْنِ الَّتِينَ هُمْ فِي خَدْمَةِ الدَّوَابِ كَالْسِيَاسِ وَضَوْمَ» فَقَالَتْ «أَفَلَمْ مَا تَرَاهُ فَانِي لَا أَفْقِهُ مَا أَعْمَلُ»

تَخَافُ ضَعْفَهَا فَقَالَ لَهَا «أَرَاكَ قَدْ ضَبَرْتَ وَنَخْنَ لَا نَزَالُ فِي اُولِ الطَّرِيقِ»

قَالَتْ «لَمْ أَضْجِرْ وَلَكِنِي لَا أَزَالُ أَحْسَبُ قَسْيَ فِي حَلْمٍ مِنْ هُولِ مَا رَأَيْتُ بِالْأَمْسِ وَإِنَّمَا لَمْ أَذْقِ رِفَادَأَ»

قَالَ «نَخْنُ هُنَا فِي مَأْمَنٍ فَنَادِيْ وَاسْتَرْبِيْ لَانْ سَفَرْنَا طَوِيلَ وَإِنَّا فَلَا إِنَامَ حَتَّى ادْبَرَ الْأَمْرِ الْآخَرِ»

فَقَالَتْ «وَأَيْ أَمْرٌ تَعْنِي؟»

قَالَ «إِنْقَالِيْنَ صَالِحًا يَنْقُلُ عَنْ فَرْمَةِ يَقْتَلُهَا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ ...» ثُمَّ حَكَ لِيَتِهِ وَاصْلَحَ قَلْنَسُونَهُ وَقَالَ «نَخْنُ سَاعُونَ فِي قَطْعِ الشَّجَرَةِ مِنْ جُذْرِهَا وَلَكِنِي سَادِرُ حِيلَةِ

التي بها الشقاق بين فروعها اي بين ابي مسلم ونقبهانه »

قالت « وكيف ذلك واي النقباء تبني »

قال « اتعرفين سليمان بن كثير؟ »

قالت « انت اخبرتني انه كبير النقباء وانه قدج في هذه الدعوة »

قال « هو اقدم من ابي مسلم فيها ولكنكه كان يدعى اهل خراسان لوالد على بن ابي طالب وكان هو زعيم هذه الدعوة فلما توفي صاحب الدعوة العلوية وتحولت الى بنى العباس كما ذكرت لك ارسل الامام ابراهيم ابا مسلم من قبله وجعله رئيساً على سائر النقباء وفي جملتهم سليمان ابن كثير وهو شيخ جليل وابو مسلم كما تعلمن شاب . فشق ذلك على سليمان في بادئ ، الرأي ولم يقبل ان يكون تحت قيادته ثم قبل رغم ارادته . على ان ابا مسلم غير صورة الدعوة بفعلها باسم « آل محمد » اي اهل النبي وهو اسم يشمل العباسيين والعلويين لأن الاولين من نسل العباس عم النبي والآخرين من نسل علي ابن عمهم . والذى اراد ان ابا مسلم اغا فعل ذلك استعداداً لنقل الدعوة الى آل العباس وانا اعلم ان سليمان بن كثير لا يرى بذلك بل هو يفضلبقاءها لآل علي لأن هذا هو مشروعه الاصلي وبه بغرة . وفي نافي ان اكتب الى سليمان كتاباً استغشه فيه على حفظ البيعة لاولاد علي وابين له حلم ابي مسلم ونحو ذلك مما يريح الضفائين بين هذين الرجلين وهما داعمة هذا الدعوة فاذَا اختلافا اختل نظامها ... فاعجبت جلنار بسهر صالح على هذا الامر وتجددت قواها وأمامها وازدادت تسليماً له »

قالت « بورك فيه افضل ما تراه وهل بعد هذا السهر والادعاء من حاجة الى اهتمامي ومح ذلك فان السر والتعب قد اثارا فيك كثيراً وانا لم اتعود ذلك »

« فنهض وحياناً ووجه كلامه الى ريحانة قائلاً « وانت ايضاً نسانة على ما اذلن فاذهي الى منامك ودعني مولاتنا ... وانا ذاذهب الى شافي » قال ذلك ومضى الى خلوة وقد اعد ورقاً ومداداً وكتب كتاباً لهذا نصه :

« من دهقان يخاف ان يذكر اسمه الى سليمان بن كثير

« اما بعد فانك جئتني منذ بضع سنين تدعونا الى يمعة اهل بيت النبي لانهم اقرب للقوى والعدل - ولا يكون اهل النبي الا كذلك . فاطحناك وبايعناك للخلاص من ظلم بني امية لانهم يكافوننا دفع الاموال بغير حق ويعاملون غير العرب بالاحتقار خدمتنا الله على قرب بخاتنا من ذلك الظلم على يدك وافت شفاعة عاقل حكيم . ثم ما ابثنا انت رأينا الامر تحوال واصبحت انت وسائر النقباء في قبة نلام لا يعرف له اهل ولا نسب

فاستبدَّ بِكُمْ وَتَطَاوَلَ عَلَيْكُمْ وَنَحْنُ نَحْبُ طَاعَتُكُمْ لَهُ عَنْ حَكْمَةِ أَوْ حَسْنِ سِيَاسَةِ لَانَّ
السُّلْطَانِ إِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالنَّقْوَىِ . ثُمَّ عَلَيْنَا أَنَّهُ لَا يَتَازَّ عَنْكُمُ الْأَيْضَىِ بِسُوكِ الدَّمَاءِ وَالْقَسْوَةِ وَحَبَّ
الْأَثْرَةِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَخْدِمُكُمْ لِتَطَاعُمِهِ وَلَا يَبْلِي إِنْ يَقْتُلُ إِلَيْأَ كَانَ الْقَاتِلُ لِلنَّاسِ
لِغَرْضِهِ ثُمَّ يَقْتَلُهُمْ كَمَا فَعَلَ بِالْكَرْمَافِيِّ وَابْنِهِ وَكَمَا فَعَلَ بِدَهْقَانِ مَرْوِيِّ بَعْدَ إِنْ يَنْذِلَ مَا يَنْذِلُ لَهُ مِنْ
الْمَالِ فَقْتُلَهُ شَرِّ قَتْلَةِ . وَهُوَ يَرِزِّعُ أَنَّهُ يَفْعُلُ ذَلِكَ بِإِسْمِ الْأَمَامِ وَإِيَّاهُمْ يَأْمُرُ بِالْفَقْتُلِ عَلَى الشَّكِّ
فَقَدْ عَرَفُنَا إِلَيْهِمْ يَحْسَبُونَ الْقَسْمَ عَلَى حَسْرَةِ يَقْتَلُونَهَا فَكِيفَ بَقْتُلُ النَّاسَ إِلَى كَيْفَ بَقْتُلَ
كَبَارَ السُّلْطَانِ الَّذِينَ نَصَرُوا الدِّينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَالْقَسْمِ وَلَا سِيَّا الْدَّهَاقِنِ الَّذِينَ هُمْ عَمَدُكُمْ
فِي هَذِهِ الْهَنْشَةِ لَانَّ خَرَاسَانَ فِي فِيَقْتِلُهُمْ وَقَدْ نَصَرُوكُمْ وَإِيَّاهُمْ دُعُوتُكُمْ فَكِيفَ يَقْتَلُهُمْ هَذَا
الظَّالِمُ بِلَا سَبِبٍ غَيْرِ الشَّكِّ فَاصْبَحَ سَائِرُ دَهَاقِنِ خَرَاسَانَ حَتَّى خَطَارُ الْفَقْتُلِ وَإِنَّهُمْ
وَلَذِكَ لَمْ يَجْسِرُ عَلَى ذَكْرِ أَسْمَىِ . عَلَى أَنَّ الظَّلَمَ يَشْعُلَ كُلَّ مَنْ يَنْصُرُ هَذَا الْفَلَامَ مِنَ النَّقْبَاءِ
وَأَنَّهُ فِي قَدْمَتِهِمْ فَلَا يَبْدُمُنَّ إِنْ يَأْتِيَ يَوْمَ يَقْتُلُكُمْ فِيهِ وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ فِي تَحْلِيلِ قَتْلِكُمْ إِلَى أَكْثَرِهِنَّ
الشَّكِّ فِيَكِ . . . وَمَا أَمْرَعَ الشَّكَ إِلَى قَلْبِ الْأَنْسَانِ . وَلَا جَنَاحَ عَلَى أَحَدٍ سَوَّا إِنَّكَ جَرَوْتَ
الْبَلَاءَ عَلَى نَفْسِكَ يَدِكَ . كَمْ كَتَرَ رَئِيسًا عَلَى أَهْلِ الْمَدِيِّ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى يَعِيَّةِ خَلِيقَةِ يَأْمُرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَقْتُلُ السُّلْطَانِ وَلَا يَظْلِمُهُ بَعْلَمَتْ نَفْسُكَ عَدِيًّا لِلْفَلَامَ يَرِزِّعُ إِنَّ
إِمَامَهُ أَمْرَهُ بِقْتُلِ النَّاسِ عَلَى الشَّكِّ . وَارَاهُ يَشْلَاعِبُ بِكُمْ جَمِيعًا فَبَعْدَ إِنْ كَانَتِ الْيَعِيَّةِ بِإِسْمِ
إِبْنِهِ عَلَى جَعْلِهَا بِإِسْمِ أَهْلِ الْبَيْتِ اجْهَالًا تَهْيَدًا لِلْأَخْرَاجِهِ مِنِ الْعَوَالِيَّنِ إِلَى بَنِي الْعَبَاسِ
لِيَسْتَقْلُّ بِهَا صَاحِبَهُ وَمَوْلَادَ الْأَمَامِ إِبْرَاهِيمَ وَتَذَهَّبَ مَسَاعِي الْعَوَالِيَّنِ وَتَقْبَلُهُمْ هَبَاءً مُشَوَّرًا
فَإِذَا كُنْتُمْ لَا تَنْزَلُ فِيَكُمْ بِقِيَّةُ عَقْلٍ وَحِمْيَةُ اسْتَدْرَكَوْنَا الْأَسْرَ قَبْلَ اسْتَخْمَالِهِ وَارْجَعُوا الْيَعِيَّةَ
لِاَسْحَابِهَا الْأَقْيَاءِ . وَأَعْلَمُوا إِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ كَانَ كُلُّ دَهَاقِنِ خَرَاسَانَ وَسَائِرِ أَهْلِ فَارِسِ
مِنْ نَصْرَتِكُمْ . فَبَادَرَ يَا إِبْنَ كَثِيرٍ إِلَى اسْتَدْرَاكَ مَا فَاتَ وَارْجَعَ الْيَعِيَّةَ لِاَسْحَابِهَا وَانْقَذَ
السُّلْطَانِ مِنَ النَّاسِ يَقْتَلُونَ عَلَى الشَّكِّ لَا يَسْتَثْنُونَ مُسْلِمًا وَلَا كَانَ فَصِيرًا أَوْ نَقِيرًا أَوْ إِنَاماً وَالَّذِي
الْعَاقِبَةُ تَعُودُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ يَقْعُدُ الْقَمَةَ عَلَى رَاسِهِ . وَهَذَا إِنْذَارُكَ وَلَسَائِرِ النَّقْبَاءِ
الَّذِينَ اسْتَمْلَوْا لَذِكَرِ الْفَلَامِ وَالسَّلَامِ »

وَلَا فَرَغَ مِنْ كِتَابَةِ الْكِتَابِ لَهُ وَجَعَلَهُ فِي أَنْبُوبِ مِنَ الْقَصْبِ الْفَارِمِيِّ وَاقْفَلَ عَلَيْهِ
وَجَهَ الْأَنْبُوبَ وَخَرَجَ إِلَى خَيْمَةِ الْحَدْمِ فَلَقِي مَعِيدًا فِي الْطَّرِيقِ عَائِدًا مِنْ خَيْمَةِ جَنَانِ
ذَادَاهُ فَوَقَفَ فَقَالَ صَاحِبُ « كَيْفَ فَارَقْتَ الْدَّهَقَانَةَ »
فَقَالَ « تَرَكْتُهَا مَسْتَغْرِقَةً فِي النَّوْمِ مِنْ شَدَّةِ التَّعبِ »

قال «عندی کتاب ارید ارساله» الى مرو فهل تلق باحد من اولئك الناس نبشه في هذه المهمة على ان يحفظ ذلك مرتاً »

قال «عندنا سانس ابكم سربع التهم»

قال «ان الابكم نافع في هذه المهمة ولكن الابكم يكون اصم ايضاً فكيف فهمه مرادنا»

قال «ان هذا الابكم غير أصم فيسمع ولكننه لا يقدر على الكلام وقد عرض له

البكم من عقدة في لسانه»

قال «وهل امتحنت امامته»

قال «انا على يقين من امامته»

قال «أين هو»

فصاح سعيد ببعض السباب وأشار اليه فأنى نحوه؟ و اذا هو قصير القامة اسرع الالون
يمتليء الجسم ودلائل الصحة بادية في استدارة وجهه وغاظ عنقه واسع صدره وكان
جذعه عارياً الى الحقورين فبان الشعر كثيناً على صدره وكتفيه وذراعاه مستدير تان مبتليتان
وذلك ساقاه وقدماه وليس عليه من الكفاء الا سراويل قصيرة تخطي ثدييه الى اعلى
الركبة فوق ورأسيه اشاره التحية فقال له صالح «اتعرف من و؟»

فشار برأسه ان «نعم»

قال «اتعرف اميرآ اسمه سليمان بن کثیر»

فشار بيديه وأصابعه انه عرفه متذليل ابو مسلم عند الدھقان المرة الاخيرة ، وتحقق
صالح من اشارات أخرى انه عرف الرجل حقيقة فقال له «خذ هذه القصبة (واستخرج
له الانوب) وامضي سريعاً الى مرو واذهب توأماً الى دار الامارة فتجد الرجل هناك
قادفع اليه هذه القصبة واسرع راجعاً و اذا سألك لا تحييه والافضل ان تدعها اليه وتتجو
بنفسك سريعاً وتعود اليها فتجدنا في انتظارك هنا او في المحلة التالية .. خذ دابة اركب
عليها الى مرو

ففتح لك السائس وأشار الى قدميه الثلبيتين وقبض يده بشدة كما يعبر الحرس عن
القوة يريد «ان رجله اسرع من الدابة» فربت له صالح على كتفه تحبياً وثناءً فلامست
انامله الجلد فابتلت من العرق

اما السائس فتناول القصبة وأشار برأسه اشاره الوداع وتحول نحو مرو مسرعاً سرعة
الغزال وصالح وسعيد ينظران اليه ويجهجان من سرعته حتى توارى عن ابصارها . فتحولا

للاستراحة فقضى صالح الى خيمته واستلقى وأخذ يفك في ما ينفي له من أنسى في مشروعه

الفصل السابع والخمسون

ابو سلمة الخلال

وكانت الشمس قد مالت نحو الاصيل وتنذر انهم لا يزالون على مقربة من صروبيح ثم تقاد تسمهم يد اليه مسلم . وتصور ان ابا مسلم علم بكلائهم فبعث من يثأرهم فاقصر بدنه لاعتقاده بدهاء ذلك الرجل وافتخاره العجيب على كشف الغبات وشدة بطشه فاذا عثر بهم لا يبقي على احد منهم وياما من خيبة . ولكنه رأى نفسه عاجزاً عن مواصلة السير في تلك الساعة نظراً لما تشكوه جلالاً من التعب بعد الجاودة العنيفة وشدة حاجتها الى النوم تعزم على السفر حملها تستيقظ ولو في نصف الليل . وينما هو في تلك المواجهة سمع اجراساً فطناً عن بعد فاختلط قابله ونبض مذعوراً لعله انها اجراس قافلة مارة من هناك واصاح سمعه ليتحقق جهة المسير فادرك انها قادمة من الشمال فترجع عنده انها من القوافل التي تتردد بين العراق وخراسان . غرر من خياله لعله يرافقها عن بعد ليتحقق جهه الصوت ولكنه لم ير القافلة لأنها كانت لا تزال متوازية وراء التلال فامسر الى ثيابه وتنكر بلباس حاجب ابي مسلم وقلنسوته واصلح من شأنه وذهب الى سعيد وابي العينين وابيان واخبرهم بقدوم القافلة وانه عازم على تسم الاخبار منها واوصاه ان يكونوا على حذر لشلا تبدىء منهم كلة او اشاره تدل على حالمهم . ثم ركب فرساً وسانه فهو المثلثة التي سمع منها الاجراس وبعد قليل اطلع على القافلة فاذا هي قطر من الجبال يقودها حمار عليه رجل شيخ كانه الدليل والى جانبي القافلة فرسان مدججون بالسلاح لحراسة القافلة . فعلم انهم يحملون اموالاً لابي مسلم فضلاً عن الملوونة ونحوها . فوقف معارض القافلة كأنه صاحب الامر والنهي فامسر اليه احد الفرسان فابتدره صالح قائلاً « لماذا هذا التباطؤ في المسير ؟ »

فلا يمعه القارس يخاطبه بسلطان ورأى عليه ثياب حجاب ابي مسلم ظاهر قادماً من عنده لاستجهالهم فقال « انعدون مسيرون بطيئاً وقد جئنا من الكوفة الى برو في عشر يَوْمَاً ومعنا هذه الانقالاً .. هل انت قادر لاستجهالنا .. »

« قال ابي ذاهب يشاركة لبيعتنا في الكوفة ولكنني سمعت الامير يذكر ابطالكم

فأبمروا حفظكم الله

فلا يسمع الفارس قوله انه ذاهب بىشارة اشتق للإطلاق على البشارة فقال «وما هي تلاد البشارة؟»

قال «الم تعلوها بعد .. الم تروا نصر بن سيار صاحب مروناها في هذه الاودية ..»

قال «كلاً وهل فتحتم مرو؟»

قال «فتحناها منذ بضعة ايام واءلام الحق تتحقق الان فوق دار الامارة ولو عجلتم قليلاً لشهدتم الفتح واشتراككم في النعمة . كيف فارقتم شيعتنا في الكوفة»

قال «هم في خير وستثبت قلوبهم بغير الفتح ولا سيما ابو سلمة رعاه الله»

قال «وكيف ابو سلمة ..»

قال « هو عمدتنا وذخراها وهذه الاموال كلها من عنده وهو كما نعلم لا يدخل وسما بالبذل في سبيل هذه الدعوة .. والافق يقال ان هذه الدعوة انسانقوم بسيف الى مسلم ومال الى سلمة المخلال ..»

فخذ كر صالح حال الي سلمة هذا وانه من كبار الاغنياء وقد بذل ماله في نصرة الشيعة وانه كان قبل ظهور ابي مسلم يفعل ذلك في نصرة شيعة علي كا كان سليمان بن كثير فلما تحولت الدعوة الى العباسين ورأسها ابي مسلم اذعن كما اذعن ابن كثير وصار يبذل امواله في نصرتهم . ومررت القافلة وها واقفان يتكلمان وصالح ينتظر الى الاحمال فاذا هي كبيرة وفيها صناديق الاموال . فلما سمع لها امر ابي سلمة المخلال ظاهر بالامراض وودع الفارس واوصاه بالجهلة وقال له « واصلوا السير الى مرو ولا تفروا في هذه الحطة فتصلوا مرو في الشاء»

فasher الفارس اشاره العلامة وتفارقا فاظهر صالح انه يسير نحو الحكمة حق اذا توارت القافلة عن بصره رجع المولينا في اثرها بحيث يرى اطرافها ولا يراه احد من اهلها فرأها عند وصولها الى الحطة لم تخف الا قليلاً ثم اقلعت فسراً ذلك وسار حتى اتي خيمة الدعابة فرأها لازفال نائمة وريحانة جالسة عندها فسأل الخدم عن القافلة فقالوا انهم مروا بسرعين ولم يقولوا شيئاً . فذهب الى خيمته وبدل ثيابه وهو يفك في ابي سلمة المخلال والسبيل الى يحيى الله عن فسرا . ابي مسلم اذا بسعيده الصقلي قد جاءه مسرعاً وناداه بملفة فقال له « ماوراءك؟»

قال « ادرك مولاتي الدهقانة فانها افاقت من رقادها وهي تبكي. وتنحب ولا نعلم ما فيها »

فعلم انها تبكي للبيت والغربة وقد اخذت تنبه لمصيبتها وتنبني خيامتها فاسرع الى حيثها فلقي ريحانة بالباب وهي تشير اليه ان يسرع . فدخل الحمبة فرأى جلنار جالسة في الفراش وشعرها مرسلا على كتفيها وقد احمرت عيناهما وتذكرت اهدابها من كثرة البكاء فلما اطلع صالح صاحت به « آه يا صالح بل يا حباي لان مكنا كنت اناديك في ايام سعادتي وانا الان بئمة مقبرة شاردة » ارية .. .

ل هنا صالح عند فراشها وقال « ما الذي جرى يا مولاتي هل حدث شيء جديد ؟ »
قالت وهي لا تملاك نفسها من البكاء « آه يا صالح كنت لائمة فرآت في نومي ان ذلك القامي جاءني وفي يده خبر وكأنه يهم بكتلي فصحت فيه وبذلك ياخالم اهذا جزاء العيبة ووبيته وعذته وعاتبه عذاباً شديداً ا وهو واقف لا يتكلم وكان غيفاني يتماظم عليه وحنق يشد واعشر مع ذلك بشيء يتحرك في قلبي وينعطف نحوه وكان بين ناظريه وعروق قلبي ترابط لا ادرى ما هو . فقلت له لا يغرنك ضعف هذا القلب فاني ماغلبه واغلبه وانقم لوالدي شر النقام .. . »

قطع صالح كلامها بالهجة الجبون وقال « احدري ان تذكري له اسمي او تخبريه انني خادمك في هذا الانقام لثلا بر ساني الى خوارزم ». قال ذلك وضحك كما كان يفعل في ايام مجونه

فلبس جلنار الاخفوك رغم ما فيها ثم امسكت نفسها ونظرت اليه شرراً فابتدرها قالاً « لاذب لي في ذلك فانك ناديتني باسمي القديم ونفيتني ارجعي اليه فرجعت لان الفحوك على كل حال خير من البكاء .. . » اجمع ذلك فلم اكن احسبك تهمني باضطراث الاحلام و تستسلمين للفحوك للتسلي او قد طلبت اليك قمني اول خطوة خطونها ان تخالي هذا الفحوك وتتخالي بالخلاف الرجال لان الامر الذي اخمن ساعقوه فيحتاج الى دماء وتعقل وسعة صدر .. . »

قالت « لا ازال غير قادره على فحوك ولا اعمل .. . »

قال « اني لا اكافلك ان تباشرني عملاً فقد شرعت بالعمل منذ الان فكتبت كتاباً الى سليمان ابن كثير (واخبارها شفواه) وكانت اهل بيتك الصبور والداعاء، وانا اخاه، اناك متذدين كل هذه المتابعه .. . اصبرني ان الفرعاج الصابرین »

فاحسست جلثوار بثقل ازيجه عن صدرها وقالت « صدقت لا حيلة لي غير الصبر » ثم مسحت عينيها والتمنت الى ريحانة فرأتها تذرف الدموع بلا بكاء ولا شيق حتى كادت تختنق من ضيق صدرها والخبار عواطفها فلما رأت مولاتها تنظر اليها ووجهها منبسط بتسمية والدمع ملء عينيها وقالت « تجلادي يا مولاتي ولا بد من العذر والترجح قريب باذن الله »

فرأى صالح من الحكمة ان يشغلها عن ذلك الحديث النائي فقال « اخبريني يا مولاتي الدعقة هل تعرفين ابا سلمة الخلال ؟ »

فطلبت جلثوار صامتة مطرفة كل ثغرة تسقطرت ذاكرتها وهي تذكر انها سمعت هذا الاسم قبل الاَن فبادرت ريحانة الى الجواب قائلة « اظان مولاتي لا تذكره ولكنني اعرف هذا الاسم جيداً فانه لرجل فارسي من اكبر ارباب الثروة في العراق وفارس وكان يتنبه وبين مولاي رحمة الله علاقات قديمة حقاً كثيرة ما كان يزوره وينزل في داره اياماً وكانت مولاتي الدعقة لا تزال صافية »

فابتسم صالح وبدا السرور في وجهه وقال « ان هذا الرجل من اكبر دعاة هذه الدعوة فهو يؤيدها بالله كم يؤيدها ابو مسلم بسيفه ودهائه . وحكاياتي مع ابي مسلم مثل حكاية ابن كثير فان ابا سلمة كان مع ابن كثير يدعوان لاملورين ثم اطاع ابا مسلم في الدعوة الجديدة رغم ارادته فاذ اذا استطعنا خوبل ابي سلمة عن مساعدة هذا المشروع نقول أبدى لهم عن العمل وخصوصاً بعد القبض على ابراهيم زيل الحمية »

فقالت جلثوار « مذكرة هذا الاسم الاَن واذكر ايضاً انه جاءنا من ومه الهدايا والاحوال وفيها الحلى والحلواه وكان والدتي رحمة الله يحبه »

فقالت ريحانة « وانا اعرف امرأة من نسائه اهلها من سر وينها وبين والدة مولاتي الدعقة رحمة الله قرابة عصبية وسيدة الدعقة ازوجها اياها وكتبت واسطة بينهما »

فقال صالح « لقد هان الامر الاَن فالذي ارأء ان تحمل مولاتنا الى الكوفة نغيرها في مكان تقيم فيه بامان وينها اذهب لقضاء المهمة الاولى في الشام ثم آتيكم الى الكوفة ظافراً غالباً » ثم التفت الى الدعقة كأنه يستطيع رأيها فرأوها صامتة وفي وجهها لامع الاستسلام فقال لها « كوني معلمتك اني لا اراك حقاً اتحقق راحتك وسلامتك واترك عندك ريحانة وسعيده وأبا العينين واصطبغ الحلبي فقط لانه يعرف الشام لعلي احتاج اليه في حاجة .. والآن لا بد لنا من الاسراع في الرحيل للا يكتشف ابو مسلم مكاننا فيذهب

كل سعينا عيناً ولا غرابة في اطلاعه على سرنا وهو يكاد يطلع على خفايا القلوب «
قنهدت جلتار ولم تجتب قادرك صالح أنها تأسف على خيبة أملها في أبي مسلم لكنه
تجاهل ووقف لتدبر أمر السفر إلى الكوفة

الفصل الثامن والخمسون

مروان بن محمد والناسك

فلتدركهم في تدبر شؤونهم ولنذهب بالفارىء إلى دمشق القيحاء دار الخلافة الاموية
فإن الامويين اغتصبوا الخلافة من أهل البيت كما تقدم وغلووا طاصمة المسلمين من المدينة إلى
دمشق لأن أهل الحجاز هواهم مع علي وأولاده . ودمشق من المدن المظموي التي كان لها
 شأن كبير في التاريخ القديم فجعلها الامويون مقرًا للخلافة ومركزاً لقوة المسلمين حتى
 حدثهم ان ينقلوا منبر النبي من المدينة إليها ليضيقوا على عصبيتهم العربية أعظم أثر
 اسلامي يغاظرهم به أعداؤهم المقيمون في الحجاز . فلم يتيسر لهم ذلك واكتفوا
 بالعصبية فحكموا المسلمين نحو مئة سنة وامتد سلطانهم على معظم العالم المعمور في ذلك
 الحين وفي أيامهم بلغ العرب أسمى درجات العز . والدولة الاموية أقوى دول العرب
 وأشدتها بسطاً وهي وحدتها (بعد الراشدين) دولة عربية خالية من شوائب العجمة لأن
 أبناءها عرب وعملها عرب وكتابها عرب وهي التي نقلت دواوين الحكومة إلى
 اللغة العربية ونصرت العصبية العربية لكنها بالفت في ذلك واحتقرت غير العرب واستبدلت
 بالفرس وغيرهم من دان لسلطاتها حتى نعموا عليها وساعدوا أهل البيت على حربها
 لخروج البلاد من أيديها

وكان على دست الخلافة في عصر روايتنا هذه، مرwan بن محمد وهو من أحسن
 الخلفاء وأكثرهم حية وحزماً وغيره على الاصلاح ولكنها جاءت متأخرًا وقد تمكّن الفساد
 من جسم الدولة الاموية وأنصل الحال إلى أعضائها الحيوية حتى انقسمت على نفسها وقام
 من بين أمية غير واحد ادعوا الخلافة لاقضمهم فتمكن مروان برسالته وتعقله من التغلب
 عليهم . وكان الخلفاء الذين قدموا قد انهموا في الترف والقصف وأكثراهم شربوا المخدر
 واستكثروا من النساء فلم يأتوا من وانع الخلافة ورأى حالها من الاضطراب عزم على الحزم

والتغافل فحرم انحر على مجالسه وابتعد عن النساء^(١) واهتم في شؤونه اهتمام الرجال ولكن ذلك لم ينفعه شيئاً لأن الدعوة العباسية استفحات في أيامه ورسخت قدمها في خراسان وانتشر دعاتها في أنحاء فارس والعراق فارتبت في أمره وبذل غالباً جهده في دفع أعدائه وكانت ثنته ينصر بن يسار عظيمة ولنصر شيخ جليل ادرك الخامسة والهازية من عمره وقد حنكته الأيام وفي طبعه ميل إلى الاصلاح قالقى إليه مقايد خراسان وأواساه بمحابيتها وحفظها من الشيعة ولم يكن يخاف له الخوف عليها لعلمه بقلة الشيعة وتناثرهم حتى جاءه التذير بسقوطه مرو وفرار نصر بن يسار منها باهله وأولاده فأسقط في يده وأيقن بخروج خراسان وما وراءها من سلطانه وأصبح خائفاً على سائر مملكته

وكان مروان في تلك السنة قد ادرك الثالثة والستين من عمره وامه كردة الصل وذلك نادر في الخلقأه على عهدبني أمية لحافظتهم على العصبية العربية خلافاً لما صارت إليه الحال في أيامبني العباس فأن معظم خلفائهم من المجناد والمجندين الذي أبوه عربي وأمه غير عربية و كان مروان قوي البدن شجاعاً فلاقبه بالطمار وكان ريع القامة أبيض اللون أشهى شديد الشهمة ضخم اطهأة كت الإبجية أيضما^(٢) وشبيه أكبر من سنه هاول مالاقاه من الأمور العظام وخصوصاً بعد ان جاءه^{البأ} بسقوطه مرو وفرار نصر فانه مافقه الجميع رجاله وقواده وشاورهم في أمره ويتداول معهم في ماساراته إلى حال الدولة من الاضطراب وقد أخذني في اعداد الجنود وهم ان يهضم بنفسه لانه رأى من الحزم ان لا ينق يأخذ من رجاله في مثل تلك الحال فكان يقضى نهاره مشاوراً ويقضي معظم ليه مفكراً ورعا ماضي الليل وهو يخاطر في غرفته منفردًا عن الأهل والجواري والسراري فاتفاق في احدى الليالي وهو ساهر على تلك الصورة وقد جاءه انحر باستفحال أمر الشيعة ومدى معظم الليل اذ جاءه الحاجب مهرولاً فنظره جاءه رسول او رسالة وكان من هادئهم ان لا يردوا عن باب الخليفة صاحب خبر في اية ساعة جاءه ولو في نصف الليل او بعده فلما دخل الحاجب على مروان صاح فيه « ما وراءك »

قال « إن بباب رجلان غريب شكل يطلب أن يخاطب أمير المؤمنين »

قال « الله صاحب خبر أو رسول أو من هو »

قال « كلاماً ولا أدرى ما هو ولما أردت تأجيل أمره الى الغد قال أنه يريد مخاطبة

امير المؤمنين في شأن لا يجوز تأخيله لحظة
فأهتم مروان بالأمر وقال «ادخله»

وكان مروان جالساً على سرير فهمن والتلف بالعبادة وقئى في الفرفة وظلماً ينتقل
شالاً أو عيناً حسب موته من المشمعة القائمة في جانب الفرفة . ولم تمض لحظات قليلة
حتى صاد الحاجب وهو يقول «الرجل بالباب يا مولاي»
قال «لدخل»

فدخل رجل طويل القامة حامر الرأس وقد تبعد شعر رأسه وليته وتلبد من
الوضخ والاهال وعليه قيس طويل يكسوه الى الركبة وهو حافي القدمين عاري
الساقين والزنددين والقداره ظاهرة على يديه وانامله وفي وجهه وليته وعلى قيسه
وهلي كل شيء فيه مع به يظهر من خلال قدارته . خللا رأه مروان ابدره بالسؤال عما في
نفسه فقال بعنة التهديد « الا تدعوني للجلوس .. كأنك تخاف على هذه العنايس من
جلدي ام غرك مارا يته من زهدى فان اولياء الله لا يلبسون اطرب والدبياج ولا يهتلون
بالمشط او الطيب ..»

فلا سمع مروان كلامه هابه ولم يكن شديد الاعتقاد بالولاية لانه كان قد تعلم من
المبعدن ادهم مذهبة في خلق القرآن والقدر^(١) وغير ذلك ولكن شدة اتفقاره الى الشيء
يهون عليه تصدق المتفق وتساعده على التصديق رغبته في الحصول على ذلك الشيء . فكان
مروان في حاجة الى من يشير عليه او يرشده الى الصواب فاختمل جسارة ذلك الرجل ورحب
به وامرء بالجلوس بجلس على حلنسة وجلس مروان على وسادة مجاهده واصاح استمعه فرأى
الرجل ينقم بكلام لم يظهر منه مروان الا حركة الشفتين فظننه يهدى فصبر نفسه وهو على
مثل الجر فطال جلوس الرجل وطالت صلاته ومروان صابر حق كاد يضجر واذا بالشيخ قد
مسح وجهه يديه واعتذر فيتعجله وقال « اهل يا مروان افي جئتكم برسالة من عالم الغيب
جاها في المظلم الاليم وقد اوصاني صاحب الرؤيا ان ابادر بابلاغك ايادها حالاً واصيك وصية
فهل انت مصدق لما اقوله لك ؟»

قال «نعم قل»

الفصل التاسع والخمسون

الرواية

قال «بدأت روبياي بصوت يقتضي واذ برجل ينادي «الحيمة الحيمة الحيمة»، فقلت «وما الحيمة» قال في «الحيمة اصل الشر وسبع العداوة» فقلت واي عداوة فزجر في الصوت وقال «اذهب الى امامك مروان بن محمد في هذه الساعة وقل له ان عدوه الاكبر ابراهيم في الحيمة وهو اصل متابعيه فادا قبض عليه وقتله فقد قطع رأس الحية فسر اليه حالاً»، واحببت ان استزيده بياناً فاستيقظت من منامي وحيثت اليك فبلغت الرسالة وهذا انا راجع الى مغارفي» قال ذلك وهم بالنهوض فاقعده مروان وسألته عما يطلب منه من امر هذه الروايا فقال «خن لا تفسر الروايا وإنما نقلها كما أنتا فعليك الآن ان تسأل عن الحيمة فادا كانت بلداً فابعث اليه من يبحث عن رجل اسمه ابراهيم»

فقطن مروان لحال ان هذا الاسم هو اسم صاحب الدعوة العباسية ولم يكن يعرف مقره فادرك ان المراد بالرواية التيبيه الى مقر صاحب تلك الدعوة لاقبض عليه وصدق بولاية الشيخ لانها وافقت غرضه وجاءت على مرأءه والانسان وان انكر السحر وكذب اقوال السحرة فادا رأى في اقوال احدهم قوله يوافق ما في نفسه مال الي تصدق السحر حق الطيب اذا لم يطعن اهل المريض ويرجح لهم شفاءه عريضهم اتهموه بالجهل بلا برهان وإنما يدفعهم الى تلك التهمة كرههم لما يعتقدونه — وتذكر مروان انه يعرف بلداً بالبقاء اسمها الحيمة فعنم على ارسال جند يبحثون عن رجل اسمه ابراهيم فادا كان من نسل العباس كان هو المراد فيقضون عليه ويزجونه في السجن . اما الشيخ فظل محفزاً للخروج فقال له مروان «امكث يا شيخ عندنا على الرحب والسع»

قال وهو ينفض يديه «اعوذ بالله من هذا الشر اريد يا مروان ان تتحجب عن وجه اخلاقك وتفصل بيني وبين اهل الغيب؟»

قال مروان «اخبرني اذا ما هو امثالك وابن مقامك حتى ابعث اليك عند الحاجة» قال «لا اقدر على ذلك الان ولا حاجة لك في اذ لا اقدر على شيء غير ما اراه في الروايا او اسمعه من الماتفاق فهو امثلني» «والآن من عندك فلا جواب له عندي فادا شئت

ان تنتفع بي دعوني انصرف الى مغاربتي ولا تسالني عن اسي فاذا انتقى رؤياً أخرى او وجدت مكاناً لاقول اتيتك على عجل . وانقدم اليك ان تأس حاجتك ان لا يؤخرني عنك واحدن ان تعلم احداً على امري فان حنظ هذا السر يحفظ خدمتي لك » فرأى مروان في كلام الرجل قوةً وكان يود استبقاءه عنده فلما مع عذرها لم يثأر ان يكرهه على البقاء فقال له « فاصبر اذاً لتأمر لك بالجائزة » فصاح « الجائزة ! الجائزة ! ولماذا ؟ .. اتنا لانا كل من طعامكم ولا نشرب من شرابكم ولا نحس اموالكم كما امرنا فاطلق سراحي يا مروان او اقذافي فاني بين يديك ولا ارى سبيلاً لتاخيري سوى انك تزيد نفسى تغذتها » قال ذلك بابحة شديدة فاستغرب مروان غضبه بلا مبيب وقال في نفسه « يظهر ان هذه هي اخلاق الاولى واهل الصلاح » فأخذ يخفف من غضب الشيخ ويابره وقال له « انفل ما بدا لك واذا ثشت ارسلت معك من يخفرك الى مكانك »

فقال والغضب باه في وجهه وفي صونه « الذي اريده منك يا ابن الگردية ان تطلق سراحى قبل ان تتحقق روسى »

فعلم مروان قوله هذا ايضاً على ابله لاعتزال اوثنك الناسك عن الناس وانقطامهم للعبادة انا الليل واطراف النهار في مغر لا يرون فيها ايساً ولا يعاشرون غير الدبابات فقال له « مربحراة الله واعلم ان بابنا لا يغلق عنك ليلاً ولا نهاراً فاذا رأيت سبيلاً تقدم علينا به » وامر الحاجب ان يطلق سبيله واوصاه ان لا يذكر خبره لاحد . تخرج مهرولاً وخطواته واسعة وهو ينظر الى السماء وعاد مروان الى مجلسه وقد اشتعل خاطره بما سمعه من قول ذلك الناسك ولم يطالع انبعث الى بعض اخلاقه من اهل ثقته وزعم انه رأى رؤياً دلالة على محل الامام ابراهيم فقال الرجل « لاريب انها رؤياً صحيبة لان الحسنه في البقاء وفيها اناس من الشيعة فابغض إليها من يبغض على الرجل الذي اسمه ابراهيم فإنه الامام المطهوب »

فكتب مروان الى عامله على البقاء ان يأتي الحسنه فيقبض على رجل من العباسين اسمه ابراهيم وذكر له صفتة »

الفصل السادسون

حمام اعين

اما الناسك وهو صالح او الشحاذ فكان قد رافق جلدار ورافقها الى الكوفة وصال عن منزل الي سلة اطلاق فأخبروه ان له مسكنراً خصوصياً في محلية حمام اعين خارج الكوفة وهو هناك بحاشيته ورجال بطانته كانه دولة قائمة بنفسها واهل الكوفة يراعون خاطره ويختلفون تفاصيله وخصوصاً بعد قيامه بالدعوة العلوية. فإنه كان يبذل الاموال الطائلة في سبيلها فلما تحولت الى العباسين وقام بها ابو مسلم لم ير بدعا من مسايرته فظل على البذل والعطاء وفي خاطره شيء لم يبح به لاحد خوفاً على نفسه من غائلاه القتل وخصوصاً بعد ان بلغته وصية الامام «من اتهمته فاقتله» وكأنه كان يتوقع فشل ابو مسلم في دعوة ابراهيم فيعود هو الى الدعوة العلوية اذ تكون قد تهدت لها الاسباب على اهون سبيل . على ان ظاهره بدعوةبني العباس لم يكن ليختفي مافي نفسه على دهاء القواد والشيعة من اهل الكوفة ولكنهم كانوا يسأروننه ايضًا ليسترثروا امواله في سبيل نصرتهم

لما وصل صالح بن معه الى الكوفة وعلم ان ابا سلة مذكر في حمام اعين جاء بهم اليه وحطوا رحالهم ونصبوا خيامهم خارج الحلقة ينظرون الاقامة موقفاً للاستراحة وذهب صالح وريحانة حتى اتي المذكر فطلبها مقابلة ابي سلة فادخلوها الى فساطط كبير مبطن بالحرير الاحمر يابه المثرا وابهة الثروة ظاهرة في رياشه واساطينه . وكان صالح يلبس اهل خراسان فدخل وحيى ولم يكن في مجلس ابي سلة ساعتين احدهما سواه فرحب به وصال عن غرضه فاغتنم تلك الاخلوقة وقال «هل يعيرني مولاي اصحابه» فليلاً قال «قل»

قال «يرفقني جارية هل تأذن بدخولها؟

قال «تدخل» وصفق بخاء غلام فامر ان يدخل الجارية الواقفة بالباب فدخلت ريحانة وقد غطت وجهها بالخمار على عادة النساء عندم ووقفت متأدبة فدعاهما الجلوس فآتت ولكنها قالت «ابذ كرمولي انه رأى هذا الوجه» وكشفت وجهها فلما وقع نظره عليها تذكرة وقال «ريحانة؟

قالت «نعم يا مولاي»

قال «واين مولاك الدقان؟ .. هل تركته؟»

قالت وصوتها مختنق «لا ياسيد ي بل هو تركنا» ولم تهالك عن البكاء

فلم يستغرب ابو سلمة بكاءها لظنه ان مولاها طردها فهي تبكي على فراقه فقال لها

«وكيف تركك؟»

فلم تجده

فاجابه صالح قائلاً « اذا اراد مولاي ان تقنع عليه الطير فليامر ان تذهب جاريه الى دار النساء وياذن بذهاب الدعفانة جلنار ابنة صديقه دهقان مرو معها لانها مقيدة خارج هذا المعسكر»

فبلغت ابو سلمة وقال «جلنار ايضاً هنا واين والدتها؟»

قال « اذا امرت بدخولها دار النساء قصصت عليك خبرها»

قال «لتدخل حالاً» فان خالتها شيرين (يريد امرأة) تسأل كثيراً برأسيتها، ثم نهض هو وأشار الى صالح ان يلاقيه من الخارج ودخل من باب سري في الفسطاط الى دار بمحابيه ثم خرج من باب الدار وبين يديه الخدم فاقبه صالح ورمحانة هناك + فشار ابو سلمة الى رمحانة قائلاً «ادخلني الى مولاتك شيرين» + والتقت الى صالح وقال «هؤلاء هم الخدم فامرهم بالذهاب الى الدعفانة ينقلوها بما معها الى هذه الدار»

فانهى صالح عليه ومشى ومعه الخدم الى خيمة جلنار فدخل واخبرها بما فمه وقدم اليها ان تسير معه الى الدار وان يبقى الخدم هناك حتى ينقلوا الامتنة

فتشت صالح يشجعها وينهيا بنيل بغضا على يد ابي سلمة حتى دخل بها الدار فاستيقظت الجواري وذهبن بها الى خالتها فلما رأتها شيرين القت نفسها عليها وجمات قبلها وتستشق ريحها لانها كانت تحبها كوالدتها، فنهاجت تلك القبلات ما في خاطرها من امر والدها وفرارها فذلب عليها البكاء ولم تجد تستطيع امساك نفسها حتى خافوا عليها + سفاهات رمحانة وشاركتها في البكاء ولكنها جعلت تخفف عنها ايمارات استدللت منها شيرين على وقوع الفتاة في مصيبة اليم فتناولتها وأجلسها الى جانبها وجعلت تصح دموعها وقبلاها .. وكان ابو سلمة قد سمع الضوضاء وهو مع صالح في غرفة الرجال فتركه ودخل دار النساء فرأى جلنار علي تلك الحال فنفطر قلبه من يكلها وقد توردت وجنتها وأحررت عيناهما ونكسرت اهدابهما فنادي رمحانة فلته وهي ايضاً تبكي فسألها عن سبب هذا البكاء فقالت «ستسمع ذلك

من صالح فإنه هو سبب بقائنا أحياء ولولاء لكننا في عداد الاموات
فريجع ابو سلمة الى صالح وعالمات التأثر بالدية في وجهه فادرك صالح انه قد آن وقت
اللماشة ولكنكه كان يخاف ان يكون ظنه في ابي سلمة في غير عمله من حيث رغبت في الملوين
ونعمت على ابي سلم فزعم على استطلاع سره بالحيلة . فلما اقبل ابو سلمة عليه وسأله عن
سبب ما شاهدته من بكاء تلك الفتاة قال « اتها سبكي على والدها »

قال « سبكي على والدها الدھقان ؟ وما الذي أصابه ؟ »

قال « قتلوا »

قال « ومن قتله ؟ »

قال وهو يتظاهر بالرثي « قتله ٠٠٠٠ قتله قائد رجال دعوتكم ؟ »

قال « ابو سلم ؟ »

قال « نعم يا سيدى »

فهز رأسه وقال « لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠٠٠ ولماذا قتله »

قال « قتله لاته انصره بالمال والرجال ولاه بذلك كل ما في وسعه لنصرته »

فضحك ابو سلمة ضاحكا ياز جها غضب شديد وقال « كيف يقتله لهذا السبب ؟

قل الصحيح ٠٠٠

قال « هنا هو الواقع يا سيدى وحياة رأسك انه كان يعطيه الاموال بالبدرو قد خاطب
سائر دهاقن خراسان لينصروه »

قال ابو سلمة « لا يعقل انه يكون على هذه الصورة ويقتلها بلا سبب »

فأعدل صالح في مجاسمه وتأدب في جثوته على عادهم في الجلوس وقال « ايسنرب

ذلك من رجل يقتل على الشك ؟ لم تسمع بوصية الامام ابراهيم ؟ »

فأمسك ابو سلمة لحيته بيده وحرك ذقنه وهو يقول « أنت الله وآتا إيهراجمون » وكان

في خاطره شيئاً يضره او يخاف اظهاره فتظاهر صالح بالبكاء والحزن وقال بصوت ضعيف

« انسنرب ذلك من رجل يقتل على التهمة عملاً بوصية امام يدعون باسمه ليلاً ونهاراً »

وقد عهدنا الائمة من قبل يحاسبون أنفسهم على نعمة ان قتلوها بغير حق ٠٠٠

فلم يبهاك ابو سلمة ان قال « أولئك ائمة الهدى ابناء بنت النبي أولئك ابناء الامام علي

كرم الله وجهه » قال ذلك وغضّ برقبه

الفصل الحادى والستون

المكاشفة

فاغتنم صالح تلك الفرصة وقال « فلماذا حوتام الدعوة اذا الى هؤلاء واتمن اصحاب هذا الامر .. ام هي لازمال في الحقيقة لابناء الامام علي وانما تظهرون اليها لابراهيم تهويها »

فشك ابو سلمة ولم يجده وكان الجواب يخرج في صدره ولا يؤمن التصریح به فابتدره صالح قائلاً « يظهر لي ان أولئك الناس خدعوك وملتوكم طمعاً باموالك .. وانا اعلم بقيني انك غير راضٍ بما لهم هذا ولتكنك لازرى ان تفسد عليهم امرهم لان ظاهرك ضدتهم يؤذفهم »

فلم يصدق ابو سلمة يستطيع صبراً عن الكلام فقال « كلاماً ولكنني اعلم انى لو قلت ما في نفي لم أجد من ينصرني ... ولا أدرى كيف تغيروا جميعاً وقبلوا بهذا الامام وهو صاحب هذه الوصية »

ففرح صالح بهذا التصریح وقال « وماذا عسى ان يكون من امر هذا الامام وهو كاحد الناس واتمن جعلتم له هذه المنزلة وجعلتم لهم قلوب اهل فارس وخراسان »

وكان ابو سلمة جالساً يسمع كلام صالح فلما سمع قوله هذا هبّ من مجلسه بفته وجعل يختظر في الفرقه ذهاباً واياها ومعرفه بغير وراءه وصالح يراقب حرکاته وعقليات عواطفه قادرلا انه يكتم كرهه لهذه الدعوة فهض معه ووقف في بعض جوانب الفرقه وأطرق تهويماً ما جاش في خاطر ابي سلمة ثم وقف ابو سلمة امام صالح وهو يصلح فلسنته الملوشة وقال « قد جعلنا لهم قلوب اهل خراسان وفارس ومكانه من سيفهم وأيديهم وألسنتهم فاصبح هو المالك ولا حيلة لنا في ذلك »

فقال صالح « الحيلة سهله يا مولاي »

فضحك مستهزئاً وقال « كيف تستهل ما لا سيل اليه فان مثاث الالاف من الفرس وغيرهم يدعون باسم ابراهيم الامام فكيف تستطيع تغيير قلوبهم »

قال « قلت لمولاي ان ذلك هين على فهل تصغي لقولي وهل أنا في خطر على حبابي »

قال « قل ما يبدلك ولا تختف مقاومتك في امان »

قال « ما قولك بقطع الشجرة من جذرها ومحاكة الرجل بقانونه »
وكان أبو سامة يخاطب صالحًا وهو يتشم فلما سمع قوله وقف بثنا وأطرق وسابة
عين شفتيه ينقر بها قواطعه ويده الأخرى في منطقته ثم رفع بصره إلى صالح وقال « ماذ
أتفي يا صالح ؟ »

قال « أعني ان تقتل ذلك الرجل »

قال « ومن يتجرأ على قتله »

قال « تدبر ذلك عليّ ٠٠٠ أنا أقتله ولا يشعر أحد بي ٠٠٠ نهل إذا فمات ذلك يهون
عليك تحويل هذه الدعوة وقاومة أبي مسلم ٠ آنه بدونك لا يستطيع عملاً وخصوصاً إذا
عام الناس يقتل صاحب الوصية فلا شك عندك أنهم يسرّون بقتاله وأول من يفرح بهذه
المكينة التي قتل أبو مسلم إياها ونسب تصرّه وجماعها شريده طربدة وأخاف أن يتصل
خبرها بابي مسلم فيبعث اليه الله يفتشر عنها لكى يقتلاها فتأمل واعتبر هذه المعامة
ولا غرو فإن هذه هي قاعدة العمل عند أبي مسلم يقرب الرجل وهو في حاجة إليه فإذا
فرغ من حاجته قتله فيجب أن يكون كل منكم ساهراً عليّ حياته ٠٠٠ أقول ذلك بكل
الحرية ولكل الخيار »

فادرك أبو سامة آنه يعرض بالخطر على حياته هو فتجاهل وعاد إلى أيام الحديث

فقال « وهل أنت وائق من اقتدارك على ما ذكرت ؟ »

قال « لك عليّ ذلك في مدة لا تتجاوز مسافة العاريق وبضعة أيام ٠ أليس أصحابكم
في الحبيبة ؟ »

قال « بلى »

قال « لا يضفي اربعة أسابيع او نحوها حتى يقضى عليه وسأذهب في هذه المهمة
وأترك عذرك مولاني الدهقانة وخدمها وربما أخذت معي واحداً منهم فأوصيك بها
خيراً ٠٠٠ »

قال « لا توصني بيت دهقانه فرو فانه كان صديقي فضلاً عن صلة المصاهرة يتنا
فان شرين خالة جلنار وقد أحضرتها احتضان الولادة لولدها فكن في راحة من هذا
القبيل ، وكان أبو سامة قد استبشر بما سمعه من صالح وتوسم في الرجل قوة وعزماً
وجاء كلامه مطابقاً لما في خاطره فلزم على استخدامه في مصلحته فاظهر له الارتباط
وأطراه ولم يعلم أن صالحًا إنما فعل ذلك خدمة ماصحة نفسه ولا يهمه من تلك الأحزاب

غير الموارج وانما يهمه فوق كل ذلك ان يتقم لنفسه من ابي مسلم لانه تعمد قتله بالسم
وابو مسلم يحسبه في عداد الاموات

فلا يبلغ بهمما الحديث الى هذا الحد اشار ابو سلمة الى صالح ان ينزل للاستراحة في
دار الاشياق على ان يعود الى الكلام في هذا الموضوع . ففهى وففى بقية يومه في الراحة
وتذبىء بعض الشؤون وسار الى ريحانة فاجتمع بها واطلعتها على مادر ينته^ه وبين ابو سلمة
وافتهما اموراً تقوض اجلatar واوصاها باليقاء هناك ريثما يعود من مهمته الى الشام وانه
سيصطحب معه سليمان الحلبي لانه يعرف تلك البلاد . ثم دعا سعيداً او ابا العينين فاوصاها
بكثieran كل شيء عن اهل الدار فوق وصيته لابي سلمة بذلك وفي اليوم التالي استاذن ابا
سلمة بالذهاب فعرض عليه المال فاوى وقال « اني اقوم بهذا الامر خدمة لمصلحة المسلمين لا
اطلب على ذلك اجرأ »

الفصل الثاني والستون

الحيمة

فركب صالح جلاً خفيناً وكذا سليمان وحمل ما يحتاجان اليه من الطعام والماء وامروا
نحو الشام . وكان صالح في اثناء ذلك المدة يبحث عن احوال شيبان ورجال الموارج سراً
بالاستفهام وغيره . وقد تقدم انس شيبان اقلع عن مرؤ ما ايقن بوقوعها في يدي ابي مسلم . فلما استنقب
الامر لابي مسلم هناك بعث الى شيبان يدعوه الى البيعة فاجابه شيبان « انا ادعوك الى
بيعي » فكتب اليه ابو مسلم « ان لم تدخل في امرنا فارتحل عن منزلك الذي انت فيه »
فسار شيبان الى مرسى واجتمع اليه جموع كثير من بكر بن وائل وشريكه ابو مسلم فبعث اليه
رسلاً لخابرته فجئن الرسل فبعث اليه جندآ حاربوه وغلبوه فهرب الي بلد آخر وآخر حتى
دخل المدينة فقتل فيها وذهب امر الموارج ^(١) وقد وصل الخبر بقتل شيبان الى صالح
وهو سائر في طريقه الى الشام فشق ذلك عليه وكاد يذهب بنشاطه وسعيه ولكن تذكره
اساهة ابي مسلم اليه ورأى انه مطالب ايضاً بالانتقام لشيبان وسائر الموارج وميروت
السلطنة لا يجوز لاحد فاذا تمكن من اساد امر بي العباس فقد خدم المبدأ الاصلى عندم

وعلى هذا المبدأ يدل له قتل كل ذي سلطان يدعى الخلافة ومحاربها أكثر من قتل هؤلاء فذلك معدود عنده من المبررات . وووجد نفسه بين جماعات كل منهم يدعى الخلافة لنفسه الاموازن والعباسيون والعلوبيون وكلاهم في اعتبار الخوارج لا يليقون بالخلافة فايم استطاع قتله او افسد امره فقد خدم به مصلحة اصحابه

ومما زالا سائرين مسرعين حتى وصل دمشق فنزل فيها وفهي صالح اياماً وهو يدرس احوالها وترك سليمان هناك وسار الى الجية فتحقق وجود بني العباس وفيهم ابراهيم الامام ثم عاد واحتلال الطيبة التي ذكرناها لتعطى حيلته على مروان بغية ان يعرفه او يبحث عن قبيلته او ائمه او غير ذلك . فلما خرج من عند مروان في تلك الليلة سار توءاً الى خارج المدينة حيث التقى سليمان الحلي وبدليل قيافته فليس العامة والجية مثل سائر اهل الشام وتظاهر بالنقوى وامر سليمان ان يسير في اثره كأنه خادم له واوصاه وصايا تدفعه في الجية التي لها سائران فيها -- وذلك انه قصد البلقاء مسرعاً حتى ان الجية على جمله وسليمان على جمل آخر في اثره . فلما وصل الجية نزل في خان وتظاهر بالنقوى والولاية واصاح خادمه سليمان انهمما قادمان من الحجاز في مهمة لرجل سيكون له شأن عظيم ائمه ابراهيم فلما سمع اهل الجية ذلك فالذين يعرفون صاحب الدعوة خافوه لثلاث يكون قد امسكوا به وذاته في خطر قرب فليختبرس » ولم يقل صالح ذلك الا لما تحقق قرب وصول رجال مروان بحيث لم يهد في امكانهم الفرار من ايديهم . فلما بلغ الامام قوله ارسل اليه اخاه ابو العباس متذكرًا كانه بعض اهل الجية فقدم اخان وسمع اقوال صالح من فيه فلم يعند بها اذ لم يثبت عندهم انه من اهل الكرامة

ولم يمض على ذلك يومان حتى جاءت جنود مروان بفترة فاحاطوا بالحمة حتى دهم بعض اهلها على دار بني العباس وهم كثيرون فقاوموا الجند حتى كادت تكون مقتلة فقال رئيس تلك الشرذمة « ان امير المؤمنين يطلب أحدكم الذي يسمى ابراهيم ولا خوف عليه ولا باس عليكم جميعاً فسلموا اليانا بلا قتال والا فاذا احرجتمونا للقتال حل لانا اخذكم جميعاً »

فاذكر ابو العباس كلام صالح وتبين له صدقه ولكن لم يمسد عندهم حيلة للنجاة

فتشاروا فيها بيتهم سرًا فقرَ راجهم على تسلیم الامام ابراهيم فسلوه وُكَانَ اخوه ثلاثة ابا العباس وايا جعفر المنصور وعبد الوهاب فتحقق ابراهيم انه مقتول فاوصى بالخلافة بعده الى ابي العباس وامرهم ان ينتقلوا الى الكوفة وفيها شيعتهم

الفصل الثالث والستون

ابو جعفر المنصور

وكان صالح قد علم بالقبض على ابراهيم فسرّ لنجاح مسعاه وتربعن الى الغد ليسرع الى ابي سلة فيخبره بما حصل : فلما امسى المساء جلس للعشاء وهو لايزال بلباس اهل الشام وقد تذكر وصيغ سنته بالحناء وجمدها بعد ان حشانها بالشعر لذهب خفتها وظهور بالبلة وجلس بعد العشاء في حجرته يتوقع ان يأتيه بعض اهل الامام للاستفارة بعد ما تحقق له من صدق نبوته واذا بخادمه سليمان قد دخل وهو يقول ان بالياب رجلاً شريعاً يطلب مقابلتك فتظاهر برغبته عن المقابلات في تلك الساعة لاشغاله بالصلاوة ثم اذن للقادم فدخل عليه شاب اسمر اللون خيف البدن عليه قبعة اصفر وعامة سوداء والحقيقة تتجلى في وجهه مع صغر منه

فليا دخل علم صالح انه ابو جعفر المنصور وكان قد عرفه من قبل والمنصور لا يعلم فقال صالح في نفسه انا جاؤ الرجل لامر هام فاعمل فكرته لاقام الحيلة فوقف له ورحب به قائلاً « مرجباً بصاحب القباء الاصفر »

فلا يمعن المنصور قوله بفت وتحقق كرامته واطلاعه على الغيب فاسرع اليه واستأذنه في الجلوس جلساً وصالح يبتسم كأنه يغير شيئاً فقال له المنصور « لقد حثتك بهيمة مرية لاني تحققت كرامتك فهل ابيح لك يا في نفسي »

قال « سواه عندي ابحث ام كتبت فاني عالم بما في نفسك فاذ احيطت ان اطلعك على ما في خميرك فعلت واذا شئت ان تقول فافي سامع »

فازداد المنصور اعجبًا بالرجل وقال « قد تحققت صدق كرامتك من اول كلمة سمعتها منك واما اطلب اليك ان تخرج خادمك لخالو هنية »

فasher صالح الى الخادم نخرج واخذ صالح يبعث للجيشه وهو مطرق يجبل عينيه

في جوانب الحجرة كأنه يفتش عن ضائع ثم ثُمَّ يوم جايه انه يصل او يعزز فابتدره
المنصور قائلاً « أتعلماً لماذا جئت؟ »
وكان صالح يعلم ان هؤلاء لا يحسنون بغير الخلافة وكل منهم يطمع بها لنفسه فقال له
« جئني بشأن الخلافة »

قال « نعم لذاك جئتني فاصغ لي واشر علي » ولكن الخبرني قبل كل شيء هل انت تستطع
النبي بالولاية او بالنجيم » وكان المنصور شديد الاعتقاد بالنجيم وصدق المجنين
فقال صالح « بكلها لاني انعطى النجيم الروحاني فاطلعت على المغبات براقة النجوم
ولكنني لا استخدم الاسعارات ... تفضل قل ما تريده فاني سامع »

قال « قد عرفت صدقك من اذارك اياماً في صباح هذا اليوم ولم يسعدنا الحظ
بالاطلاع على رأيك الا بعد فوات الفرصة فأخذوا اخي الامام ابراهيم اسيراً ولا ندرى ما
يكون مصيره غير اننا لا نرجو بقاءه » وقد انبأنا ناهو بذلك واإصانات وصية تتعلق بالبيعة « ..
فقطع صالح كلامه وقال « البيعة لك » لعله ان تلك البشارة افضل ما ينقرض به
الناس من هؤلاء الاشراف

قال « وما ادرك انها لي؟ فقد يوحي بها اخي ابو العباس اليلدة »
قال « بل هي لك ان لم يكن عاجلاً فاجلاً » قال ذلك مكرراً بالمنصور علمه ان قوله
يجذب قلبه فهو وما خسره لم تصح نبوته وقد اجل وقوعها لوقت غير معين
وكان المنصور من اهل الذكاء والدهاء ولكنك سبق الى اعتقاده صدق صالح من اول
نبوة وتوصي الولاية في وجهه بما شاهده من تباذه فقال له « امساً جئتكم بهذه الغاية وقد
تحققت صدقكم منذ ناديني بصاحب القباء الاصغر »

ولم يكن صالح قال ذلك لفرض فافق ان هذه العبارة حكاية اخذ المنصور بقدحها عليه
فقال وهو يشير الى قبائه « ان هذا القباء يشهد بصدقك فقد اجمع بنوهاش منذ مدة في
المدينة وانا معهم للنظر في امر البيعة لمن تكون بعد ذهاب دولةبني امية وكان الانعام جعفر
الصادق حاضراً فقال « لا يزال الخلافة الا صاحب القباء الاصغر » وكنت لابساً لهذا
القباء فوعدت فضسي بهذا الامر وربت العوال من تلك الساعة »^(١)

فسر صالح لهذه الصدفة واخذ يستخدم دهاءه لانتقام الحيلة فقال « الماقل لك ذلك؟ »
قال « نعم ولكن الواقع خلاف ما ذكرت فقد بايعوا قبلي لامي ابراهيم ولما ساقوه اليوم

الى السجن بايع لانخي ابي العباس واوصانا ان نذهب الى شيعتنا في الكوفة »
 فقطع صالح كلامه « كانه لا يريد ان يسمع قوله » وقال « لا لا ... بل انت الخليفة
 هذا الذي اعرفه ولو بويح بها كل اهلك فانها صاحبة اليك ... ابشرها من الان وسترى
 وترى ان شاء الله » قال ذلك ووقف كأنه يريد ان يصرف جليسه فلم يعبأ المتصور بذلك
 لعله ان اهل الكرامة يغسلون غرابة الطياع فوقف وهو يقول « ما بالك ؟ »

قال « لقد آن وقت رجوعي الى بيتي »

قال « الا نكث معنا فنذهب سوية الى الكوفة فاذا صحي قوله كافنا ناك »

قال « ياجدا ذلك ولكنني مضطرب للذهاب الى المدينة بجوار قه الرسول واما الكوفة
 فلا اهربها ولا اريد الذهاب اليها »

قال « اشير علينا بالذهاب اليها »

قال « كيف لا وفيها ابو سلة ؟ »

فاستغرب معرفته ام ابي سلة بعد ان قال انه لا يعرف الكوفة فقال له « اما من
 سبيل الى استيقائك معنا ؟ »

قال « ان بقائي او ذهابي ليس بارادي ... فقد كنت مقينا في المدينة لا اعرف هذا
 البلد من قبل فسمعت المائف يا مرفي بالجيء بهذه المهمة ووصف لي البلد بحيث كانت
 ولكنكم لم تصدقوني فاصابكم ما رأيتم وزبها يأتيني هائف آخر يامر بتعليق بك فآتياك
 حيثما تكون ... اما الان فاطلب اليك ان تاذن في النصراني »

وكان المتصور مع اعتقاده بالولاية والتجييم صاحب دهاء ومحكر فلما رأى صالح يمالع
 بالتباعد عنه بعد ان طلب اليه البقاء معه تحقق ان الرجل لا غرض له غير الصدق اذا
 كان من اهل النفاق لاغتنم تلك الفرصة للبقاء معه وخصوصاً بعد اعتقاده انه سيكتب
 خليفة فغلب في ذلنه صدقه ووده لو انه يراقهه يستعين به في استطلاع الخبات لأن
 المتصور كان متين الاعتقاد بالتجييم كثير الاعياد على التجييمين ^(١) فلما مير حيلة في
 استيقائه قال له « ما املك وابى مقامك حتى اذا توفيت الى اخلاقة قربتك
 واستبعتك بعثتك »

قال « لاتنيدك معرفة امي ولا مكاني ... دعني انصرف الان وسأريك عند الحاجة
 وربما جئتكم عاجلاً لاني اشعر بقلة تحدق بخلانتك اذا اقشعتم ظهرت الحقيقة اما الان

(١) ابن الأثير ج ٥

فاني منصرف» قال ذلك ونادي غلامه فقال المتصور « اذا كشت مصحها على النهاب
فامشودعك الله» وخرج

الفصل الرابع والستون

اقتل ثم اقتل

وكان صالح لما عزم ابي العباس واخوه واهله على النهاب الى ابي سلمة احب الاستجواب
اليه ليغبره بما كان فيديها حيلة لاقام ما ينويه عليه على آل العباس فاصطحب لحيته وبدل ثيابه
فرجع الى حاله الاول وامر خادمه سليمان ان يهيي الجلدين . واغلق باب الحجرة على
قصبه ومكث يدير بعض الاشياء . فلما فرغ سليمان من اعداد الجلدين ذهب الى صاحب
اخوات فدفع اليه اجرة الحجرة وثن العلب ولبس يتنظر خروج صالح وهو متذهب
من دهائه واحتياله حتى اصبح لا يحس على مخاطبته . فطال انتظاره وقد امسى المساء وهو
لا يعلم ما يعمله مولاه داخل الحجرة . ثم خاف ان يكون احتياسه لسوء اصابه فتقدمن نحو
الحجرة وهو يخطو خطوةً خفيفاً ويتناول بعنقه ويطبع يدازنه لعله يسمع حركة او صوتاً
استدل بدر على شيء فوصل الى الباب فرأى من بعض شقوقه نوراً ضعيفاً ولكن له لم يسمع
صوتاً فوقف يتنصت وهو يتزدد بين ان يقرع الباب او يتربص ساكناً . فانا هو بالثور قد
طفي وسمع وقع اقدام فعلم ان صالح خارج ثم ما عتم ان رأى الباب فتح واطل منه رجل
طويل حاضر الرأس حافي القدمين عاري الزنددين وقد تجعد شعر رأسه وحياته وتلبد من
الوضوء والاهال وعليه قيس طويل يكسوه الى الركبة والقدارة ظاهرة على كل شيء فيه
فبفت سليمان لاول وهلة ثم نذكر انه رأء في هذا الحال مرة قبل هذه متذبذبة ايام .

اما صالح فانه اسرع الى عباءة التلف بها وغطى رأسه وحياته وأشار الى سليمان بخرج
معه الى الجلدين فركبا وخرجوا من ايان حتى امسيا خارج المحلة وها صامتان لا ينطق احدهما
 بكلمة ثم قال صالح « يا سليمان اتعلم الى اين نحن ذاهبان ؟ »

قال « اقتنينا ذاهبين الى دمشق »

قال « نعم اتنا ذاهبان اليها كلمرة للاضدية فتبق انت في انتظاري خارج المدبة ربنا

اعود اليك »

« فقال له سمعاً وطاعة »

وسافا الجليلين طول ذلك الليل واليوم التالي وما بعده و لم يستريح الا قليلاً وما زالا
حق اخترقا النوطة واشروا على دمشق نحو الغروب فإذا ينبار يطابير قرب باب المدينة فوتفا
وقال صالح « اسرع يا سليمان واثني بخبر هذا القبار فاني في انتظارك هنا واحذر ان يعلم
ايجد بحقيقة حالتنا »

فهز سليمان رأسه استكاراً لذلك التذير وساق جمله نحو المدينة وظل صالح في
انتظاره وهو على جمله وقد التفت بالعبارة ولم تمض برهة حتى رأى عائداً فلما اقبل عليه
قال « ماذا رأيت ؟ »

قال « رأيت معسكر الخليفة مرداز بن محمد »

قال « والليلة معهم ؟ »

قال « نعم »

قال « هل علمت سبب خروجهم »

قال « علمت انهم عسكروا هنا تاهياً للسفر في صباح الغد »

قال « الى اين ؟ »

قال « اخلتهم ذاهبين الى حرب في بلاد بعيدة لكثره ما اعدوه من الاموال
والانتقال »

فاطرق صالح وقد ادرك ان مرداز خارج لقتال شيعة المباسين في العراق بعد ان
تحقق استعمال امرهم على اثر دخولهم مرو ورصفهم نحو العراق . فترجل واشار الى سليمان
فنزل وجلا في خل شجرة والليل قد سدل نقابه وقدم سليمان طعاماً كان قد حمله من بعض
الطريق فاكلا حتى اذا فرغ من الطعام قال صالح « اني ذاهب في مهمة الى هذا المعسكر
فاما كنت انت هنا ربياً اعود اليك واطعم الجليلين وكن على اهبة الرحيل ».

قال « سأفعل ذلك »

وبهض صالح خل العباء ظهرت قيافته الجديدة بشعره الجعد وفيصه القصير
وقد ارته ثم ترعرغ في تراب ناعم هناك حتى كساه القبار كأنه قادم من سفر طويل ومشى
نحو خيمة الخليفة

وكان مرداز في شاغل بما يلهه من أمر الشيعة واستفحاله في فارس . والعراق حق
خاف على سلطاته وقد أخر سفره ربيعاً وجاءه البشير بالقبض على الامام ابراهيم في صباح

ذلك اليوم فامر ان يجلسوا في حران وخرج بجيشه ليبيتوا تلك الليلة في الغوطة ثم يذكرون في صباح الفد فلما فرغ من العشاء صرف امراءه وجلس في قسطنه يدير شؤونه وكأنه مشتغل بالاطار كثیر القلق لما أخذق به من الشوافل فلم يستطع رقاداً وبهذا هو في ذلك جاهه الحاجب يخربه بقدوم الناسك المعلوم فبعث مروان لأول وهلة ثم شعر براحة وأطمئنان عند ذكر اسمه وقال « ليدخل حالاً »

وماعم ان دخل صالح في الحالة التي ذكرناها فرجب به مروان ولم يتجرأ أن يدعوه للجلوس فابتدره صالح قائلاً « لقد كابدت مشقة كبرى وسفراً طويلاً حتى كنت من الوصول اليك قبل سفرك »

فقال « الملك جئني بإشارة جديدة »

قال « ليست هي جديدة يا ابن محمد ولكنني انشت اتهم قبضوا على ذلك الرجل وأنك جبته في حران فإذا اتيت عليه فلتلك لم تفعل شيئاً — اقتل ثم اقتل ثم اقتل »

فاطرق مروان ولم يستقر برأي ثم قال « طب نفساً واعلم انه مقتول »
فلما سمع قوله تحول يربد الحروج فهم أن يدعوه للجلوس فلذكر ما كان من انكاره ذلك في المرة الماضية فلبث صامتاً وهو يرى صالح يخطو نحو باب القسطنه خطوات طوبية ورأسه متوجه نحو السقف حتى خرج من الباب ولم يلتفت الى الوراء

فعاد مروان الى هواجه وقد اطمأن خاطره من بعض الوجوه وارتاح الى رأي الناسك وماك الى الاعتقاد بكرامته مع انه كان من اهل الشكوك في الدين — ولكن الانسان مفظور على الضعف وحب الذات فإذا رأى حدثاً وافق غرضه وان كان مخالف لاعتقاده يهاب عليه ضعفه فيصدق المستحيل

الفصل الخامس والستون

دمع صالح وقد تحقق ان ابراهيم مقتول بعد قليل وعاد الى امر اخوته وذهابهم الى الكوفة وما يكون من امر ابي سلمة حتى اذا عاد الى خادمه سليمان فوجده في انتظاره وقد اخذ الجلرين فركبا وسارا مسرعين . وقبل خروجهما من الغوطة ترجل صالح عند

بحيرة هناك اغتسل فيها واصلح شعره ولبس ثيابه وتلثم بالكونفة والتلف بالعباءة وسار بطلع المراق وهو يكاد بواسل السير ليلاً ونهاراً حتى لا يسبقه العباسيون الى ابي سلمة وبعد مسيرة ايمان اشرف في الصباح على الكوفة فاطل على حام اعين فرأى قصورها وحدائقها وفاسطيطها وتدذكر المهمة التي هو قادم بها فاقتن انه فائز بفرضه في اخفاق أمر العباسيين لقتل ابراهيم ومجيء اخواته وسائر أهله الى ابي سلمة فيون عليه اغراوه بقتالهم او جسمهم فذهب دولتهم ويقوى الشيعة على ابي سلم ففشل وبسهولة عليه الاتقام منه فاستراح في ظل شجرة هنئها ثم ركب مسرعاً الى حام اعين وامر سليمان ان يذهب الى جنانار ليخبرها بمجيئه وسار نوًّا الى منزل ابي سلمة وهو لا يزال ملثماً بالكونفة وملتفاً بالعباءة فلما وصل الى الباب ترجل واراد الدخول فاعتراضه الحرس ومنعوه من النقدم فاستخف باعتراضهم وقال لهم «أعلمونا اي رسول احمل اليه كتاباً»

قال احدهم «لا يستطيع احد ان يخاطبه بشيء الا ان»

قال «ولكنني رسول بخبر عام لا يبني على تأجيله»

قال «مهما يكن من امر رسالتك فاننا مأمورون بمنع كل انسان من الدخول عليه لاشتماله بمقابلة سرية»

فاضطر ر خاطر صالح بذلك المقابلة مع هذا التشدد في منع الداخلين عليه ولم ير بدأ من الطاعة وتحول الى دكة بجانب الباب وحل عقال كوفته فراراً من الحرس وجلس وهو يفك في ما سمع ثم سمع تفصيفاً ورأى الحرس على اترها في حركة واهم و قد دخل احدهم ثم عاد يتقدمه رجل قصير القامة غريب الزي عليه عمامه كبيرة جداً وقد كحل عينيه تكحلاً كثيراً وأرسل سالفه على صدغيه وجعل لحيته شطرين ارسل كلها منها الى جانب من صدره وغليه جهة من الخز واسعة ويده عكازة يتوكل عليها ووراءه غلام قد علق على احدى كتفيه جراراً مزركشاً وحمل يده اسطولاً بأكيرأ وتأبط كتاباً ضخماً فلما رأه صالح احتاج قلبه في صدره من الفتنة لانه يشبه صاحبه ابراهيم اليهودي خازن ابي سلم وقرر ان يه و قد دهش وكاد الدم يجمد في عروقه اذ تحقق انه ابراهيم يعنيه وندم على حل ثيامه مخافة ان يراه فيعرفه وينكشف امره

اما ابراهيم فانه خرج وهو يعني الحيلاء يضرب الارض بعказه ويتلفت بيناً وشهلاً والحرس وقف بين يديه تحفلاً واحتراماً فوقع بصره على صالح فقرر به حيناً وقد امتعق لونه عند رؤيته ولكنها تجاهل وظل سائراً الى بستانه عليها عدة متشاه بالدباج

أُمِرَّعْ يَامِنْ الْقَلْمَانْ فِي تَقْدِيمَهَا إِلَيْهِ وَسَاعِدَهُ غَلَامَهُ فِي الْوَنْبَ عَلَى ظَهُورِهَا وَلَمْ تَكُنْ إِلَّا
لَفْلَةَ حَقْ رَكْبَ وَسَاقَهَا

يُظَلِّ صَالِحَ وَأَفَقَأَ وَقَدْ تَوَلَّهُ الدَّهْشَةُ ثُمَّ اتَّبَعَهُ حَالَاهُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ « مَا الَّذِي جَاءَ
بِهِذَا الْحَيْثَ إِلَى هَذَا لَا بَدَأْهُ قَادِمَ بِدِسْيَسَةً » ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى الْحَاجِبِ وَقَالَ « هَلْ تَنْظَنُ
مَوْلَاتَا يَأْذِنُ بِدُخُولِي عَلَيْهِ الْآنَ؟ »

فَدَبَّلَ الْحَاجِبُ ثُمَّ عَادَ فَدَعَا صَالِحًا فَدَخَلَ حَقْ أَقْبَلَ عَلَى أَبِي سَلْمَةَ فِي قَاعَةَ كَبِيرَةَ
كَانَ جَالِسًا وَحْدَهُ عَلَى وَسَادَةِ فِي صَدْرِهَا وَقَدْ ظَهَرَ الْأَهْمَامُ فِي وَجْهِهِ فَلَمَارَ أَيْ صَالِحًا
مُقْبِلًا أَبْتَسَمَ لَهُ وَرَحِبَ بِهِ وَدَعَاهُ لِتَعُودَ إِلَى جَانِبِهِ « فَهُمْ أَوْلَأَ بَقِيلٍ يَدْرُوا احْتِرازًا » ثُمَّ
قَدَّمَ فَإِبْتَدَرَهُ بِالسُّؤَالِ عَنْ حَالَهُ وَسَلَّمَتْهُ خَاجَابَهُ بِالْدَعَاءِ فَقَالَ أَبِي سَلْمَةَ « أَرْجُو أَنْ تَكُونَ
قَدْ فَزَتْ فِي مَهْمَتِكَ لِيَمْ حَظَّنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ »

فَقَالَ « أَقْدَ حَيْثَكَ بِمَا تَبَتَّهَ وَتَجَبَّتَ فِي مَهْمَتِي أَحْسَنْ خَاجَ بِيرْكَنَكَ وَدَعَائِكَ
فَهُلْ شُنْنَ فِي مَأْمَنِ مِنْ الرَّفِيَادِ؟ »

فَقَالَ « شُنْنَ فِي مَأْمَنِ قَلْ مَا بَدَأْ لَكَ »

فَقَالَ « الْأَنْدَمَ إِلَى مَوْلَايِ بِسُؤَالِ أَرْجُو أَنْ لَا يَنْقُلَ عَلَيْهِ »

فَقَالَ « أَسَأْلَ فَانِكَ مَطَاعَ »

فَقَالَ « الْعَنْوَيَا مَوْلَايِ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَمْرَ النَّاهِيِّ وَلَكَنِي رَأَيْتَكَ مُبَطِّنَ الْوَجْهِ عَلَى غَيْرِ
مَا تَعُودُهُ مِنْ ظَاهُورِ الْأَهْمَامِ وَالْفَلَقِ فِي عَيْبَاكَ مِنْذَ تَشْرُفَتْ بِالْمَثَولِ بَيْتَ يَدِيكَ فِي الْمَرَةِ
الْمَاضِيَّةِ فَهُلْ مِنْ خَبْرُ جَدِيدٍ يَدْعُوكَ إِلَى السَّرُورِ؟ »

فَضَحِكَ أَبِي سَلْمَةَ وَقَالَ « لَبِسْ ثَمَّةَ خَبْرُ جَدِيدٍ وَلَكَنْ مُجْمَعًا مَاهِرًا جَاءَنِي فِي هَذَا الصَّبَاحِ
رَأَيْتَ مِنْهُ الْمَجَابَ وَتَحَقَّقَتْ أَنَّهُ مِنْ الْمَهَارَةِ فِي النَّجَامَةِ إِلَى مَا لَمْ يَقِنْ بِعُدُّهُ غَایَةً »

فَقَالَ « اخْتَنَهُ الرَّجُلُ الَّذِي خَرَجَ مِنْ عَنْدِكَ السَّاعَةِ »

فَقَالَ « هَلْ رَأَيْتَهُ خَارِجًا؟ .. نَعَمْ هَذَا هُوَ بِعِينِي .. إِنَّ النَّجَمَ حَابِّيْ مِنْ هَبُودِ حَرَانَ
وَلَهُ مَهَارَةٌ عَجِيبَةٌ فِي النَّجَمِ »

فَقَالَ « وَكَيْفَ عَرَفْتَ ذَلِكَ؟ »

فَقَالَ « عَرَفْتَهُ مَا شَاهَدْتَهُ مِنْ كَشْفِ الْأَسْرَارِ فَقَدْ أَخْبَرْتِي عَنْ أَمْوَالِ مَرْيَةِ لَمْ يَكُنْ أَحَدْ
يَعْلَمُهَا غَيْرِي حَتَّى ذَكَرَ لِي قَدْوَمَكَ إِلَيَّ وَتَلَّا عَلَيَّ بَعْضُ مَا حَدَّثْتَنِي بِهِ »

فَلَمَّا مَعَ صَالِحَ قَوْلَهُ أَجْقَلَ وَتَحَقَّقَ أَنَّ ذَلِكَ الْيَهُودِيُّ فَادِمُ الْجَهَنَّمَ عَنْهُ وَلَكِنَّهُ أَسْتَغْرَبَ

اطلاعه على وجوده هناك وعلى ما دار بينه وبين أبي سلة وخاف أن يُنـدو ذلك في وجهه فتجاهل واظهر الاختلاف وقال وهو يضحك «وما الذي قاله ذلك؟» قال «خبرني قبل كل شيء عما يكتبه شهيري من امر هو ولا العباسين وتعلّمهم على الخلافة فانكرت ذلك عليه لذا يكون قداماً بديسية من احدهم فاستخف باشكاري وظل على قوله وبرهن على صدقه بأقوال لم يكن احد علىها بها سواي وبعضاها لم يطلع عليها احد سواك . ومن جملة ذلك انه ذكر قدموك علينا ومعك ابنتنا جلنار وقص ما اصاها من الاذى على يد أبي مسلم ورآيته ناقاً على هذا الطائن لغدره بها مع انه لم يكن يعرف الفتاة ولا ابا مسلم ولا رأها . وانت اخبرتني انت حدث جلنار والدها المسكين لم يطلع عليه أحد وقد اوصيتك بمحفظه مكتوماً . وكان لا يقول شيئاً الا بعد مراجعة كتاباته واستعمال اسطرالابد . فلما رأيت منه تلك الاصادبة وثقت به وسألته عما يراوه من مستقبل هذه الحوادث فطاولي وبشرفي

فلم يتهاى صالح عن قطع كلام ابي سلة قائلاً «هل اخبرته عن المهمة التي ذهبت بها الى الشام؟»

قال «لم يترك لي باباً لأخباره عن شيء بل هو كان يخبرني عما في نفسي حتى قال لي ان المهمة التي سار بها صاحبك (بني انت) لا ريب في نهاجها فاستعاد صالح باقه وایقن ان ابراهيم ابا انت بديسية من ابي مسلم البخت عنه وعن جلنار ولكنها استغرب اطلاعه على تلك التفاصيل فانقضت نفسه وأسقط يده ونفي فوجهه بقتل الامام ابراهيم واطرق مهيبوناً ولم يجر جواباً . فانكر ابو سلة حالة فقال له «ما لي اراك ساكتاً لا تتكلم اخبارني عما فعلته في سفرتك

فقال بصوت ضعيف يكاد يكون مخفقاً «ما النائدة من نجاحي في مهمتي بعد ما سمعته منك؟»

فبعث ابو سلة ولم يتم لهم مراده فقال «وما الذي سمعته مني . . . ان لي زيدنا سروراً وبطاعتنا على حسن العاقبة

قال وقد ترققت السمع في عينيه من شدة الغيط «كلاً يا مولاي وانما هو يذهب بساعينا ادراج الرياح ويجعل حياتنا في خطر» فازداد ابو سلة دهشة لما سمعه ولم يفهمه وصاح في صالح «ولماذا قل بالصالح فقد شغلت خاطري بما لم افهمه»

قال «ان المخيم الذي ذكرته يا سيدى ميغقول كلامك الى ابي مسلم وربما زاد من عنده ما يفاضل ذنبينا وانت تعلم عاقبة الشكوك عند ذلك الرجل»
فقطاول ابو سلة بعده وحملق عبيده وتحذّر كانه مهم بالوثوب وقال «الى ابي مسلم ٠٠١ وما شاء الله مع ھودي من اهل حران ٢٠٠ اخليك واهما»
قال «لست واهما يا مولاي فاني اعرف الرجل معرفة جيدة وهو من اتباع ابي مسلم بل هو من اكبر ثقانه ومن امفو ادوات القتل عنده»

قال وقد تلعم لسانه من شدة التأثر «افصح لقد شغلت بالي ٠٠٠»
قال «عرفت هذا اليهودي خازنًا عند ابي مسلم وعلت من دهائه وعمره ما اكدر لي ان ابا مسلم يعول عليه في تخس الامراء بالاحتيال ٠٠٠ لا رب عندي في ذلك مطلقاً»
قال «وما الحيلة الآن؟»

قال «لا حيلة لنا الا بالقبض عليه او قتلها حق لا يستطيع ايصال خبرنا الى ابي مسلم ٠٠٠»

قال «نعم الرأى رأيت» ثم صفق. فدخل حاجبه فقال له «هل تعلم المكان الذي سار اليه المخيم المرواني؟»

قال «كلا يا مولاي ولكنني رأيته ركب نحو الكوفة وقد ساق بعنه سوقاً عيناً»
فنظر ابو سلة الى صالح كأنه يستطلع رأيه فقال صالح «اظنه نازلاً في بعض اخنات هناك او في بعض منازل اليهود او كنائسهم»

فالتفت ابو سلة الى الحاجب وقال «ادع لي ابا ضرغام العيار»
خرج الحاجب وقد استغرب صالح طلب ابي سلة فقال له «وهل تنوى ارسال العيار في طلب اليهود؟»

قال «نعم فان هذا العيار وجاءه تحت امره من خيبة العيارين قد اذخرتهم مثل هذه المهمة لسرعة حزكتم واطلاعهم على عيوب الناس» ولم يتم كلامه حتى عاد الحاجب ووراءه
رجل عاري الصدر والظهر مكشوف الرأس حافي القدمين وليس عليه من الثياب الا
سراديل قصيرة من الخيش المتين كالجلد وقد علق بكنته مخللاً ملوكه من الحصى وفي يده
العنق مقلاع من جلد وفي البسرى قطعة من الخيز وهو يضخ كأنه دمي وهو على المائدة
فنهض وبقية طعامه في يده. فوقف بين يدي ابي سلة بغیر احترام كأنه واقف مع بعض
رفاقه على ضفة الفرات فابتسم له ابو سلة وقال «اعرف الكوفة يا ابا ضرغام؟»

ففضحك ابو ضرغام وقال « وكيف لا اعرفها ؟ »

قال « ارابت المجم الذي جاءنا في هذا الصباح وخرج من عندنا الا ان ؟ »

قال « اتعفي اليهودي المكحل صاحب العكازة فقد رأيته خارجاً ووراءه غلاماً وقد

وقد أتعفي الجراب الذي كان يحمله فإنه يقطع سبل الحصى »

قال « هل تقدر ان تأتيني به ولد جرابه وملء جرابه بما تشتهي ... والرجل

ذهب الى الكوفة فهو اما في بعض اغاثات او عند بعض اليهود »

قال « نعم اني اسوقه اليك كما يسوق الغنم للذبح فاذبح او اضع او اعف فانك صاحب

الشأن ولكن هب اني لم استطع استيقادمه حياً فاذادا افضل ؟ »

قال « احب ان اراه واخاطبه فاقفل ان يكون حياً وهل يسر عليك ذلك ؟ »

فهز العبار رأسه وضحك ثم قال « يسر على اكلاً فاني ساعده اليك ولو كان في

البلح وهب انه طار في الهواء فاني ارسل اليك سجراً بهذا المقلاع أصيب ما شئت من

مقاتلوك فيسقط فآتيك به صيداً حلالاً » قال ذلك واشار الى المقلاع الذي يده

فضحك ابو سلمة وقال « فاذهب سريعاً واحذر ان يفوتك واذكر ان جرابه لك

وفيه ما شئت من مال او تحف »

فتوى ابو ضرغام وهو يقول « لا يهون ملؤه من المال موائماً املاه من الحصى

المساء المناسبة لمقلاعي »

الفصل السادس والستون

النغلب بالغدر والغنى

فلما خرج العبار عاد ابو سلمة الى مخاطبة صالح وقد اشرح صدره بعد ذلك الانقسام

لانه لم يخامر شرك في نجاح ابي ضرغام فقال « لا يليث هذا اليهودي ان يأتيك صاغراً

فافعل به ما تشاء ... فأخبرني الان عما فعلته في الشام »

وكان صالح قد اطمأن خاطره ايضاً وسرّي عنه فقص على ابي سلمة حدث

سفره من اوله الى آخره فانجب بدهائه وذكره غاية الالتجاب وعادت اليه آماله باسترئاج

ما كاد يذهب من امن الملوين وقال « فات واثق بقتل امامهم ابراهيم »
 قال « لا اشك انه قتل الان ولكن البيعة انتقلت الى اخي ابي العباس فيمنا ان
 قضي على بقية اهله فنذهب البيعة ولا يرق من يبايعونه من العباسيين فتفضي الخلافة طبعاً
 الى العلوين وهذا محمد بن عبد الله الحسني مقيم في المدينة وقد باعه سائر بنى هاشم من
 العباسيين والملوين على ان يكون هو خليفة المسلمين بعد ذهاب دولة بنى أمية وهذه
 البيعة ثابتة لا ريب فيها » (١)

قطع ابو سلمة كلامه وقال « لا شك عندي في صحة هذه البيعة وانا على يقين ان
 ابا العباس هذا وأخاه المنصور وسائر بنى هاشم باعوا محمدآ المذكور ولكنهم يتذكرون
 هذه البيعة الان ولو لا ذلك لما كان ثمة باعث على هذا الاختلاف »
 قال « مهما يكن من الامر فان ابا العباس واخوه واعمامه وسائر اهله قادمون اليك
 بعد قليل وسيزلون عنك فلنكون في قبضتك فارسلهم الى خوارزم ٤٠٠٠ » قال
 ذلك وفتح

فلم يفهم ابو سلمة من اذهنه فقال « ولماذا نرسلهم الى هناك ؟ »
 قال « انما أريد ان تقتلهم وهذا تعبير تعلمته من كير القتلة ورئيس اهل الفدر ابي
 مسلم فانه يكتفي بخوارزم من القتل فاذا قال خذوا افالاتا الى خوارزم علموا انه يريد قتلها »
 فوضحت ابو سلمة لهذا التعير ثم قال « وهل تبني ان اقتل آل العباس ؟ »
 قال « سواء عننت او لم اعن انا اعلم لاملايين الابطال هؤلاء واما لم تقتلهم
 قتلوكم »

فطرق ابو سلمة وهو ينظر في بساط بين يديه عليه رسوم بعض ملوك الفرس وصالح
 ساكت يراقب ما يهدو منه ويرجو ان يوافقه على قتالهم لاعتقاده انها فرصة ثمينة اذا
 لم يتمكروا ذهب اسرهم ضياءاً مع علمه ان ابا مسلم لو سمح له فرصة مثل هذه اغتنمتها
 ولا يالي بن يقتل في سبيل غرضه
 ظل ابو سلمة مطرقاً حيناً ثم رفع اصره الى صالح وقال وهو يشير بسباته اشارة
 النفي « لا لا لا أقدم على هذا العمل القظيع فاني اذا أقدمت عليه ارتکب منكرين
 كثرين الاول اني اقتل جماعة من ابناء عم التي لا ذنب لهم والثاني اني اخفر ذمي وأغدر
 بخير اني بل هم اضيافي فكيف اقتلهم ؟ كلاماً »

(١) تاريخ العدن الاسلامي ج ٤

فهزّ صالح كتفيه وفأب شفته السفل وأشار بيته وحاجبيه اشارة ملتبثةً كأنه يقول له « أفعل ما يبدأك أن هذا أمر لا يعنيني » ثم تخفى للقيام وهو يقول « لا انكر عليك قطاعنة هذا العمل ولكن الدول لا تقوم إلا بذل ذلك وهذه وصية الامام لو عاشرناهم يعتقلاها جاز لـ أنا قتالهم فهو يقول من شكلت به فاتله وكم قتلوا من الناس الابرياء ولا ذنب لهم سوى أنهم وجدوا في طريق تلك المطامع عرضاً وهم لا يعلمون » واتأعلى يقين أن أبو مسلم لو كان في مكانك لم يضع هذه الفرصة لأن القوز مضمون « فالناس يأموا آل محمد وأكثراهم يعتقدون أن البيعة لابناء عليٍّ ولكن أبو مسلم يهود عليهم ويدعوهم إلى بيعة آل العباس فإذا لم يبق أحد منهم فالبيعة تحصر بالطبع في آل علي وهذا محمد بن عبد الله في المدينة ويتهيأ في أعقاب أولئك العساينين « وأبو مسلم نفسه مق علم بموت ابناء العباس لا يرى بدلاً من مبايعة ابناء علي والأَّ قاتل حربه وفتحه تذهب ضياءً ولا يقدر هو أن ينفع بها لعلمه أن الناس لا يخضعون إلا لخليفة قرضي » ٠٠

وكان أبو سلمة قد هض أيضاً وهو يسمع كلام صالح ولا يستطيع دفعه فقال « لا أخفي عليك أن حجتك في هذا البحث قوية ولكنني لا استطيع ارتکاب هذين التكرين ولا أقدر اتصور سيفاً مسلولاً لقتل جماعة من ابناء عم النبي ويكتفي ما دري أنه اقتل أحدهم » ففضحك صالح وقال « كانك فهمت أي أريد قتلهم بالسيف جهاراً كما يقتل المجرمون؟ كلاً وإنما قتلهم بلا ضوضاء ولا بكاء ولا يشعر أحدٌ ب فعلك ٠٠ قتلهم بالسم في البن او العسل كما كان يفعل بنو أمية باعدائهم « وإذا أكترت أن تقتل كل القادمين عليك من بي العباس فقاتل أخوة ابراهيم الامام الذين يختنقون نقل البيعة اليهم وهم ثلاثة او اقتل أبو العباس الذي استقلت البيعة اليه على الأقل واذا شقّ عليك مباشرة ذلك بنفسك اعهد به الى فلان اقضيه لك على اهون سبيل »

وكانت يتكلمان وها واقفان وظن صالح هذه المرة انه غلب على رأي أبي سلمة ولكن ما عزم ان رأء ينكر ذلك ويعظامه الى ان قال « لا ارائي قادرًا على ارتکاب هذه الجريمة سوال عنك يدك او يد سواك فالقاتل في كل حال أنا والذنب يكون ذنبي ٠٠ فاذا كان عندك حيلة غير هذه اذكريها »

قال « لا أرى فرصة سانحة مثل هذه فاذا لم تقتلمها ذهب سعيك في نصرة الملوين عبّاً لان اهل الفتوك والقدر لا يبني ان يعايموا بغير ذات والأفهم الفائزون « ولا أظنك تحبهان ان علياً وأولاده وأحفاده اغا فتيلوا في ما يطلبونه من اسر الحلاقه لانهم لا يستمعون

في تأييد حقوقهم بغير الحق والتقوى والعدل والارجحية وبينوا أمية يطالبونها بالدهاء والفتوك
وكم من فرصة مثل هذه ستحت لدعاة الملوين فعدوا اغتنامها منكراً فذهب ضياعاً واضاعوا
بها حقوقهم . وبعكس ذلك الامويون كانوا ينقبون عن مثل هذه الفرص ويدللون
في سلسلتها المال والرجال . فإذا اطمعتني ثلت ما أتبغيه واقت الدولة الملوية ولم يضع امر
الملوين هذه المرة كآضاعوه من قبل يضعف رأيهم وجنيهم وانت بعد ذلك مخيراً ..
وإذا خالفتني اطمعتك »

فقال أبو سلمة « لي اسوة بالامام علي واهله ولا اطمع ان اكون احسن منهم حزماً
وأسوب رأياً »

قام يرَ صالح حيلة في اقناعه فسكت وعمد الى تغيير الحديث وتذكر امر ابراهيم
اليهودي الحازن فعاد اليه وقال « وهل نظن العيار عثر على المنجم؟ »
قال « اذا كان المنجم المذكور على سطح الارض فإنه لا يستطيع الفرار من يدي
العيارين ... » ثم صفق فدخل الحاجب فقال له « هل علمت شيئاً عن اي غرام »
قال « علمت انه حينما خرج من حضرتك اشار الى رجاله فتبعوه وكل منهم في مثل
لباسه وسلامه وتلا عليهم ما امرته بذر وفرقهم في اطراف المدينة وذهب هو الى وسطها
ولم يعد بعد »

فهز رأسه ان « فهمت » وهي اشارة الصرف عندهم . نخرج الحاجب وتذكر صالح
جلalar فرأى انه ابطأ عليها بعد ان بعث خادمه ليخبرها بقدومه فاستاذن في الانصراف
فدعاه ابو سلمة الى البقاء ربيعاً يعود العيارون فقال « سأكون بفضل مولاي في بعض منازله
لاني لم ار جلالاً بعد ولابد ان تكون في انتظاري على مثل اجر »

قال « صدقت وقد كنت احسب انك لقيتها قبل عبيئك الى» فاذهب اليها وطمئنها
وعرضاً على نيتها وشقائها » قال ذلك وترققت الدموع في عينيه . نخرج صالح من بين
يديه وقد لاحظ اجهائه فقال في نفسه « ان من كاتب فيه حنان النساء وضعف الرجال
لا يصلح لانشاء الدول وإنما تنشأ الدول بالدهاء والاجرام والفتوك »

الفصل السابع والستون

الفشل

وما زال سائرًا حرقى إلى دار النساء، وهي على مقربة من قصر أبي سلة فالتي بسلان واقفًا بالباب ينتظر قدومه، فسألَهُ عن جلنار فقال هي في خير ولكنها قلقة لطول غيابك وكانت توقع سرعة مجيئك إليها «

قال «إنما تأخرت لامي هام ٠٠٠٠ أين هي الآن؟»

قال «هي في هذه القاعة ومعها ريحانة» وأشار إلى قاعة داخلية

قال «فأدع لي أحد الخصيان»

فذهب وعاد بخصيٍّ أياضٍ فوقف بين يديه متأنِّيًّا فقال له صالح «أخبر ضيفك الخراسانية التي أريد مقابلتها» ولم يذكر اسمها لرغبه في كتمان امرها لأسباب نقدم بيانها ولم يكن أحد عالمًا بحقيقةيتها غير أبي سلة وأمرأته وبعض الجواري. فذهب الخصي ثم عاد ودعا إلى قاعة تستطرق إلى الخارج ياب خاص لائل هذه المقابلة. فدخل صالح واستقبلته جلنار بامامة وكانت لم تبسم منذ انتابتها تلك المصائب فانشرح صدر صالح بروابتها وهو اظهر الانشراح لأنَّه يشعر بأمورًا هي أكبر شأناً عنده مما يظاهره من رغبته في قيام الدعوة العلوية وسقوط العباسيين والأمويين ولو خيره لاختيار ذهابهم جميعاً. لأنَّ الخارج لا يرون الحكَم لأحد من هؤلاء وهو من كبار أمراء الخارج كما علت ولكنَّ الاحوال بجرته إلى الاهتمام بشان هذه الفتنة والاتقام لها من أبي مسلم بل هو اتقام لنفسه لأنَّ أبي مسلم تعمد قتلَه، ولا يطاله ان يضحي جلنار في سبيل ذلك

فلا دخل صالح إلى القاعة حيًّا تجاه مشتاقٍ فاجدرته ريحانة بالترحاب والسؤال عن حاله إلى أن قالت «لقد شغلت بالثانية بتأخرك إلى الآن وقد أخبرنا سليمان أنك أتيت منذ عدة ساعات . . .» قالت ذلك وفي صوتها غنة العتاب

قال «كان ينبغي لي أن أسرع لعميل بين يدي مولايي الدهقانة على عجل ولكنني أحببت أن أفاوض أبا سلة بعض الشؤون المهمة لتدبير ما يساعدنا على تمام المرغوب . . .» فقالت جلنار «قد يلغني من سليمان ما يذكره من المشقة والجهد في سبيل غرفتنا وإنك

جعلت مروان الأموي يقبض على ابراهيم الامام ويحبسه الى غير ذلك فبورك فيك ...
وكنت احب ان اسمع تفصيل هذا اظير منك »
فأشار برأسه اشاره الطاعة وقال « ان سليمان لم يعرف من اعماله الا بعض خواهرها
هل اخبرك انا قتلنا ذلك الامام ؟ »
قالت « كلا ... وهل قتلتوك ؟ »

قال « نعم ... وقص علينا سفرته وما ذكره من الحيل والتجاهل من الاسباب حق
نفع في مهمته فاحسست بالفراج كربتها كأنها اذقت لوالدها وشعرت بزيادة امتنانها
لصالح حق غدت لا تعرف كيف تبدي شكرها له لاعتقادها انه بفعل ذلك في سبيل
مصلحتها وقد سرّه ما بدا من سرورها وسأله تذكر ما لا يزال يخمره من امر ابراهيم الخازن
واطلاعه على مقرب هنالك . فادا لم يقبض العيار عليه يمكن من الرجوع الى خراسان
وكان المضيّة كبيرة عليهما وعلى ابي سلمة . ولما تذكر خراسان خطري بالله ابن كثير وتذكر
الرسالة التي بعث بها اليه مع ذلك السادس الابكم والثالث الى ريحانة وقال لها « الميربع
ذلك السادس من مهمته ؟ »

فتحت ريحانة وقالت « عاد منذ بضعة ايام »

فاستغرب شحونها ورأى جلنار تُفتح بمعها كأنهما نكجان خبراً منحكتا فقال لها
« ما بالك تُفتحين ؟ . الميلان رسولنا الرسالة كا يجيب ؟ »
قالت « لا افتح على ذلك فانه يبلغها كا يبنيغ ولكنني تذكرت حابيم المجم الذي
جا ... معه ... »

تحقق قلبه عند سماعه ذلك الامر واضطربت جوارحة وقال « اي نفع ومن هو
حابيم هذا »

قالت « هو نجم يهودي من اهل حرثان التي به سائنا في اثناء رجوعه من مهمته ...
فعلم صالح انها تعفي ابراهيم الخازن تخفف ان يكون قد اطلع منها على شيء فقال
« وما الذي اصحابك من هذا المجم ... »

قالت « اصحابكفي منه انه خفيف الروح كثير الجون فضلاً عن مهارته في استطلاع
الخلفيا بالتجيم ... اي لا انسى حركاته في استخدام الاسطراطاب فقد اصحابكنا كثيراً ولو لا
السائنا لم تيسر لنا الاجتماع به ... وقد كان مولاتي المدققة تسليمة كبرى في اثناء
انتظارها رجوعك . ومع خفة روحه فإنه نادر امثاله في استطلاع المجرأت وقد رأينا

منه المجزات . . .

فازداد خوف صالح وقال لها « ما الذي كشفه لك من الخفايا »
قالت « كشف لنا عن اشياء كثيرة وأغرب ما في مهارته انه كان يطلعنا على
اسرارنا بالاشارة ولا يتكلف لفظاً »

تحقق صالح ان ذلك التجم لم يكشف له سراً ولكنه ساقهم الى كشف اسرارهم
بالاشارات المبهمة على عادة اولئك المشعوذين في مثل هذه الحال فانهم يستخدمون اشارات
تتطابق على عدة معان فإذا كان السائل يعتقد صدق التجم فسر اشارته وأوكلها حتى
توافق ما في نفسه فيصيح بسره وهو يحسب التجم قد كشفه بمهارته — فايقن صالح ان ذلك
اليهودي اطلع على اخبارهم بالتجم على هذه الصورة فاستعاد بالله وهز رأسه وظهر الارتباك
في عينيه فلما رأته ريمانا لم يصدقها فقالت « يظهر انك لم تصدقني فاسأل مولاكي كيف
قص عليها حديث والدتها ومقتله وفرارها معك الى هنا حتى ذهابك الى الشام . . . »
فلم يبال ذلك صالح ان صدق تصريح اخلاقه ووثب من مجلسه وهو يقول « لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم »

فيهنت جنار وريمانا ولم يفهما سبب وثوبه وبغضه فقالت جنار « ما بالك يا صالح . . .
لماذا فعلت ذلك »

توقف بين يديها ويکاد الغيظ يتقطع من شفتيه وقال « لم يبق لنا مقام هنا . . . قدم
افتضح امرنا . . . خدعكم ذلك اليهودي الخبيث واستطاع اسراركم . . . لعنك الله يا ابراهيم
ولعن الساعة التي رأيك فيها . . . »

فابدرته ريمانا قائلة « ليس هو ابراهيم واغا هو حايم »
قال بل هو ابراهيم اليهودي خازن ابي مسلم الذي سقاني المم كما سقى ابن الكرمانى
وهو يرقض بمجدل الدب . . . هذا هو بيته وقد رأيته في هذا الصباح خارجاً من عند ابي
سلمة بمعان كشف له عن سره أيضاً ولو لا كلام يستطيع ذلك لأنكما ساعداه على استطلاع
خبرى منكما فساعدته ذلك على خداع ابي سلمة حتى توه في القدرة على معرفة القيب
فراح له باسراره »

قال ذلك وهو يختظر في الغرفة وجنار وريمانا تشارزان كائنان متلاومان على الوثوق
بذلك التجم وقد تولما الدهشة وجد الدم في عروقها وغلب الخوف على جنار حتى
ترقرفت الدموع في عينيها وسادها ان تكون هي السبب في كشف ذلك السر فتحتمل تبعه

ما يقرب على كشفه من الاذى — وليس على الانسان انقل وطأة من تلك التبعة ولو
تحملا من نفسه على نفسه — فلما رأها صالح في ذلك الاضطراب اراد ان يخفف عنها
فقال « ولكن سأدبّره تدبرأ حسناً واقله اقطع القتالات وكل آت قريب »
فقالت ريحانة « وكيف قتلته »

قال « قد اطاعت ابتسامة على حقيقة أمره فاذن بعض المعايرين للقبض عليه حياً
او ميتاً »

الفصل الثامن والستون

فلما قال ذلك ساطع ان جلزار نظر الى ريحانة نظرة استحقاق كأنها تدعوهها الى
التصريح بشيء تخجل هي من ذكره فاستغرب ذلك منها وقد كان يتوقع فرجهما بما ترجوه
من القبض على المتهم او قتله فنظر الى ريحانة وقال « مالي أراكا تزدادان ٤٠٠ هل
أخطأت برأي في سرعة القبض على هذا الخيط ؟ »

فقالت ريحانة « كلامك فعلت الواجب ولكن ٤٠٠٠ ونظرت الى مولاتها فادا
هي مطارقة خجلاً فرفعت نظرها الى صالح وقالت « ولكن الا يمكن تأجيل قتلها يوماً ؟ »
فاستغرب صالح هذا الاقتراح وقال « وما معنى هذا التأجيل ؟ »

فالتفت الى مولاتها وسكتت « فازداد صالح استقراراً ووجه كلامه الى جلزار وقال
« ما الذي تكتمونه يعني ؟ ٤٠٠ العلّكم تسيرون الفلان بي ؟ »

فقالت ريحانة « حاش لنان لي » الفلان بك بعد ما رأيناها من جهادك في سبيل مصالحتنا
ولكن مولاتي تود تأجيل مقتل المتهم لانه شغل خاطرها بكلمة قاها ووعد بتفصيالها في
الغد ٤٠٠

قال « وأي كلمة ؟ هل بجوز ان اعرفها ؟ »

قالت « نعم بل يجب ان تعرفها وذلك انه لما جاءنا المرة الاخيرة وعرض ذكر ابي
مسلم في حديثه لنظر الى مولاتي نظرة اهتمام وقال لها (سأريك غداً بمخبر يفرح قلبك
ليجئ على غير انتظار منك وانا انها أتيت هذه البلاد من أجله ولا أحب ان يعرفه أحد) وأجبينا

ان نسرزده ياناً فاما خادم ابي سلمة يستدعيه اليه عاجلاً فقضى
فلما سمع صالح قوله ورأى تعلق آمال جلنار بما سبقه اليهودي ما عن أبي
مسلم اربك في أمره ولم يفهم القصد منه ولكن خاف ان يكون ابو مسلم ندم على مجازاته
جلنار فاحب استرضاهما بفتح بار ابراهيم متذكراً لطفته الثانية • ولعنه اوصاه ان يفعل ذلك
خفية عنه وربما كان في جملة مهمته ان يستطلع مساعديه ويتبعهم احوال الملعوبين ومحو
ذلك — صرت هذه الخواطر في ذهنه بالحظة وهو ساكت وجلنار تنظر اليه خلسة
وتخاف ان يحيط بالتفى وهي تود الانتظار لانها مأربحت منذ سمعت وند ابراهيم وهي
تنظر ساعة الموعد وقد تحرك قلبه وتحولت مجازي آمالها

اما صالح فرأى من الدباء ان يحيط بكلب ابراهيم ويتحقق تنبئه مخافة ان يكون وراء
الوالد ما يعرقل مساعديه او يعود بالاظطر عليه فتضاحك وقال «اني لاستغرب من مولاي
الدھقانة مع ما اعلم من تعقلها وذكائها ان تعلق اهمية على كلة فالماء هذا اتفاق وهو لا
يريد بها غير التقويه ليستطلع ما يلقى من امرارنا او ليرميها بالفن .. . ألا تعرين دماء هؤلاء
ال القوم وكم غدروا بالناس على هذه الصورة ؟ .. .

فقالت ريحانة «صدقت ولكننا اذا سمعنا قوله فليس من الضروري ان نعمل به وفي
كل حال لا يخطو خطوة الا برأيك وتدبرك فإذا امكن استبقاء الرجل يوماً او يومين كان
في استبقاءه وسيلة لذهاب قلق مولاي باطلاعها على ما وعدت نفسها بضاعف»

قال «لا يأس من استبقاءه ولكن لا حيلة لنا في ذلك وقد ذهب العيارون للبحث
عنه والقبض عليه حياً او ميتاً . فإذا جاءوا به حياً بعثنا به الى الدھقانة واما اذا قتلوه فلا
سبيل الى احياءه . على اني لا اراه الاً منافقاً وانما يريد التقويه واذا اطعهنا وجاها كما
ابداه وابصقا في وجهه .. . ومع ذلك فافعل ما بدا لكما» قال ذلك وفي صوته وملامح
وجهه اشارات العتب . فادركت ريحانة انه استاء من اخراجها وقد سبق الى ذهنتها حين
اللسان به ورأت مجازاته في رأيه قد تختلف فلقي سيدتها فقالت «وانا ارى مثل رايتك
فان هذا الرجل لا ياتي على بده غير الاذى والاحسن ان تخذر منه ونسبي في القبض عليه
وقتله لخلاص من شره»

فلا سمعت جلنار اتفاق ريحانة وصالح في الرأي وافقهما وقد اقتضي عقابها بتصواب
ما ارتآيه ولكن قبلها ما زال متجركاً فعمدت الى التقلب عليه بالعقل فقالت «دعوا
القادير تفعل ما تشاءه فإذا جاءتنا حيا سأله واظرنا في ما يقوله وإذا قتل فلا حيلة لنا به وفي

كل حال لا أخله يستطيع الفرار اذا اراده لأن هؤلاء العيارين صنف من الابالسة
لا يفلت منهم طائر ولا هارب »

وعادي صالح الى هواجسه واراد ان يعرف كيف جاء ابراهيم الى الكوفة لعله يستطيع
 بذلك «عرفة الفرض من قدمه فقال لريحانة : كاني سمعتك تذكرين السائس الاكم مع
 هذا اليهودي »

قالت : « نعم قلت لك انه جاء به معه في عودته من مرو »
 فقال : « وابن هو احباب ارباد »

سفررت ريحانة مسرعة ثم عادت والسائس معها وهو في حالة الذي وصفناه به قبله
 فلما دخل حيَا ووقف . فسأل الله صالح عما تم له في سفره فاشارة بيديه وعينيه أنه وصل
 الى مرو ودفع الكتاب الى ابن كثير . فسأل الله كيف عرف منزله فاجاب ان رجالاً كان
 يعرفه من قبل دله عليه . فسأل الله عن شكل ذلك الرجل وابن عرقه فاشارة انه قصير القامة
 وانه عرفه للمرة الاولى في بيت مولاه الدهقان يوم نزل ابو مسلم عندهم . فترجع عند
 صالح انه ابراهيم بيته وانه لما رأى ذلك السائس يسأل عن ابن كثير وذكر انه شاهده
 في منزل الدهقان ظنه قادماً بهمة من الدقة او منه خلاف صالح ان يكون قد اطلع
 على خرى الكتاب فيقع ابن كثير في هوة الشك فيتعرض للقتل . فسأل الله كيف دفعت
 الكتاب الى صاحبه فاشارة انه دفعه اليه سرًا وكان متفرداً في حجرته فقال : « وكيف
 فلت بعد ذلك » فاشارة الى خروجه من مرو في صباح اليوم التالي فلاقاه في الشاء
 الطريق منجم يهودي صحبه الى الكوفة ومعه خادمه وكان يسأله ويركه احياناً على
 يقنته ويطعنه من طعامه ومحو ذلك حتى اتى الكوفة

فتحقق صالح عند ذلك ان ابراهيم قادم بهمة سرية من عند ابي مسلم نبهه اليها
 قيود ذلك السائس الجاهلي بالكتاب الى ابن كثير واعلن انه اذا اخجا واباعي الامام سالم خبرهم
 فانه قاتلهم وقاتل ابي سلمة لا محالة . فاصبح هذه البحث عما افضت اليه مسامعي
 العيارين في القبض عليه وقد فر من رؤية السائس وندم على اهذاه بذلك الرسالة فاشارة
 اليه ان يخرج . فلما خرج تقدم صالح الى جلزار وخطبها بصوت منخفض كانه يحذر ان
 تسمعه جدران الفرقة وقال : « يظهر اتنا اخطأنا بالاعتداد على الخدم والاعوان في شؤوننا
 فينبغي لنا ان لا ترق باحد قاعدي يا مولاي ان العيارين اذا لم يظفروا بذلك اليهودي فاننا
 تكون نحن المطرد الشديد »

فبفجت جلزار وبدت البقة في عينيها وقالت « وكيف ذلك ؟ »

قال « ذلك لأن ابراهيم هذا إنما جاء بهمة سرية للبحث عنا وعن مقاصدنا وقد نجح بجهته بخاحاً تماماً فعرف كل شيء عنا وعن هذا المسكين أبي سلمة وعرف إنما سمعنا في مقتل الامام ابراهيم فإذا أخوا من العيارين ووصل الى أبي مسلم فإنه لا يذكر وبعما بالسي في قتلنا وهو اليوم في أبان سلطانه ولا عبرة في ما موه به عليك بالوعد »

قام تستعلم واحدة منها ان تفترض على هذا الرأي لانه صحيح لا ريب فيه فارتبتنا وشعرت جلزار بقلق وخوف وقالت « لم يكن لنا ملجاً في ما مضى سواك وانت اليوم ملحاً علينا وعوننا فأشر علينا »

قال « أولى اول كل شيء ان تستغنى عنينا من الخدم فإذا انتقانا الاختباء في مكان كتنا وحداً فقط اي نحن الثلاثة . فالآن أنا ذاهب للاستفهام عن العيارين وما فعلوه فإذا تحققت فشالهم عدت اليكما وأخبرتكما بما ينبغي عمله وإنما أتوسل اليكما ان تكتسا ما دار بيننا وأقدم اليك يا ريحانة أن تجويي ما حفظ حمله وغالباً منه من الاموال وتهشّي كل شيء ب بحيث تكون على أبهة السفر في أية لحظة اردنا .. فهمت ؟ »

فأشارت برأسها ان « نعم فهمت .. »

ثم هض وودعهما وخرج ودخلتا تأهبان للرحيل وها مضطربتان وخصوصاً جلزار فقد أصبحت كلما ذكرت ذلك اليهودي ترتجف فرائصها وتتألم من نفوذ جلزار عليها حق كشف أسرارها ثم تذكر ذهب العيارين في اثره فيطمئن خاطرها وريحانة مشتعلة عنها بتدبر التثاب والحلبي واتقاء ما حفظ حمله

الفصل التاسع والستون

بنو العباس

أما صالح نفرج يائس قصر أبي سلمة ليسأله عما فعله أبو ضرغام ورفاقه وقد عزم اذا رآهم أتوا به حياً ان يحرض ابا شلمة على قتلهم حالاً ويختفي ذلك عن جلزار وكانت الشمس قد مالت الى الاصليل . وقبل وصوله الى القصر سمع ضوضاء وقرفة وصليلاً وراء بعض البيوت مما يلي طريق الشام فالفجت فرأى قافلة من الجمال مثقلة بقودها

حارث عليه عبد أسود وحولي القافلة بغال بسرور عليها رجال بالبسة حسنة وكاهم ملتفون بالعي رباء زاد عددهم على العشرين غير المثاء في ركبهم من الخدم والعيدي وفي ذيل القافلة بغال علىها الموارج حلل النساء والاطفال . ويتقدم الجميع فارس عليه لباس اهل الكوفة يظهر من مجلل حاله انه خرج من الكوفة لاقائهم فتغرس في الرجل فعرف انه من حرس أبي سلمة . واعمل فكرته قليلا ففاب في اعتقاده انهم بنو العباس الفادمون من الحمية بعد القبض على ابراهيم الامام . فتقدمنا حق وقف بخيت يراهم وهم مارون والناس لا يهتمون بهم لانهم لا يرثونهم وقد تعودوا أمثال هذه القافلة من الغنیوف يتزلون في دور لابي سلمة خاصة بالاتياف . فأخذ صالح يتغرس بالرأكين على البغال فرأى المنصور يذبح فتحقق انهم بنو العباس وتدكر ما دار بينه وبين ابي سلمة بشأنهم في هذا الصباح . وقد وقع نظر المنصور على صالح ولكن لم يعره ولا فطن له الاختلاف سحته عما كان عليه يوم تلك المقابلة وكان صالح متوجه في المنصور قوة ودهاء ويتوقع له الخلافة بعد ابي العباس اذا ثبتت الخلافة في المباينين . ولما بشره بالخلافة يوم مقابلته في الحمية لم يقل ذلك عن رؤية واعتدار وانما قاله لغير استثنائه لعلمه ان كل واحد من ابناء اخلاقه واخواته يتوجه في نفسه الاحقية بالخلافة وقد يتوفى اليها غير اهليها فقال له ذلك ليسه اذا بصدق قوله وتولى المنصور الخلافة كانت له بد عنده فلم يفع في امر من الامور . وكان صالح في اثناء تلك المقابلة لا يزال يعتقد اقداره على تحمل الخلافة الى الملوين فلما رأى ما رأى من ضعف ابي سامة وعجزه عن الفتاك وخرقه الفدر اصبح لا يرجو للملوين فوزاً وفازت همته في تحمل المسؤولية وحضر همه بقتل ابي سالم انتقاماً منه وثاراته كثيرة عليه وفي جلتها ان سقوط الحوارج اتفا كان بسيبه فاما قتله فانه ينتقم لشیان امير الحوارج وسائل رجاله

وظلّ واقفاً حتى صرت القافلة ولما دنت من دار الاتياف تقدم اليها بعض اهل القسر ان تتحول الى قصر عينه طم في بعض اطراف الحلة فادرك صالح ان ابا سامة يتوي كچان امرهم عن الناس وعلم انه لا يليث ان ينزل للاقائهم او زيارةهم للترحيب بهم فاسرع لمقابلته قبل خروجه ليسألها عن تبةجة سي العيارين فسار ماشياً حتى دخل القصر وطلب مقابلة ابي سامة فادخلوه اليه فرأى حالاً وقد حي غنبه وجان الاربال في وجهه فاما دخل عليه صالح لم يجالك عن الهرم بفتحة ومشى نحوه مشية مستجد و قال « كانوا سمعنا بقتل احد مؤلاء العباسين لتحمل افعال سائرهم » هل رأيتم قادمين »

فلا يمْعِ صالح نذمه استبشر لعله يستطيع اغراًه على قتله فقال «ولو عاشر يا ولادي انك لف في نصرتك للشيعة العاوية عند هذا الحد فيذهب سعيك وبذلك وجهاك عبئاً وتعرض حياتك وحياة سائر أهلك وأصحابك للخطر ما أقدمت» على ما أقدمت عليه مع انك قادر في هذه الساعة ان تنقل الخلافة الى الغوريين كما اخبرتك في هذا الصباح ولا يكفيك ذلك الا كلاماً .. قال هذه الكلمة وانا اتفق الامر فانها فرصة لا ينبغي ضياعها .. ووالله لو خلفر ابو مسلم بثلا ما اغفلها .. وزد على ذلك ان حياتك أصبحت في خطر اذا استبقتهم ..

قال ابو سلمة «واي خطط»

قال «اذا لم يفلت عيارونك بذلك المجم وتمكن من الفرار الى ابي مسلم واطلبه على خبرك فهل تظنه يعفو عنك؟ ..

قال «وهل تخوبه يقتلكني؟ .. لا لا .. انه لا يفعل ذلك لما يعلمه من نصرتي ايام بالمال والرجال والشيعة كلهم يعلمون انه لولا اموالي وقوذ كلامي في الدهاقين ويوتات الفرس لم نقم لهم قاتلة فهل يجاسر احد منهم ان ينتهي باذى؟ ..

فابتسם صالح وهز رأسه قائلاً «اما ابو مسلم فيفعل وقد فعل ذلك غير مرّة .. انظنه يراعي شعيره او ينفي الحاسبة وقد زاده استبداداً وظلماً وصية الامام ابراهيم يات يقتل كل من يشك به ..

فاستخف ابو سلمة بتضييع صالح وحول وجهه عنه ومشى نحو مشتمة من الشعب فائمة في وسط القاعة على كرمي من الابنوس المطعم وتشاغل بنزع الغبار عن قاعدتها باصبعه وهو يقول «لا اظن نفس ذلك الغلام تطبع الى هذا الحد» .. وهم بتغيير الحديث فقال «هل علمت مافعله ابو ضرغام؟ ..

قال «كلاً .. وماذا فعل .. فقد جئت لاسألك عن ذلك»

قال «عاد الي منذ ساعتين واحبني انه قلب الكوفة رأساً على عقب هو ورجاله ولم يغادروا مخانة ولا منزلة ولا كنيساً ولا حازوا الا دخلوه وفتحوا فيه فلم يقروا للرجل على اثر ولا رأوا احداً يعرفه حتى حراس ابواب المدينة فقد سألوهم عن زجل هذه صفتة فقالوا انهم لم يشاهدو احداً بهذه الصفة او ما يقرؤها مع انه اكدر لي انه مقيم في الكوفة .. فامررت ابا ضرغام ان يبحث عنـه في ضواحي المدينة وارياضها ولا يترك منزلة حتى متزلـ الا ويقتـشـ فيه ويسـأـلـ عنـ خـبرـ ذـاكـ المـجمـ المـناـقـقـ ولا اـدرـيـ ماـكـونـ التـيـعـةـ

الفصل السابع

دير العذاري

فأيقن صالح عند ذلك بآيات ابراهيم وانه اسرع سرعة البرق ليبشر ابا مسلم بن جراح مهمته ولا يتيسر العائق به لاحد ولكن ظاهر انه لا يزال يرجو العثور عليه فقال « لا يبعد ان يكون هذا الحديث قد تخبأ في بعض هذه الاراضي فاطلب الى الله ان ينذرتك به » قال ذلك وودعه وخرج يبحث عن مكان يارا اليه مع جنار وريحانة من ذلك الى مسلم ربها تبدل الشؤون . فند كـ انه وهو ذاهب الى دمشق وعائدهما مر بدير على مقربة من الكوفة يقال له دير هند بنت النعمان قبل الاسلام ^(١) وقد عرج اليه واستراح عند بابه وشرب من سبيل قائم بحياته وعلم من حارسه انه عامر يقيم فيه الرهبان يذرون العنة ابغاء مرشاة الله . فخطر صالح ان يذهب بجنار وحاشيتها لتجان هناك وهو يتعدد اليها او يقيم في بعض الاماكن بجوار الدير متذكرًا بذلك حين عليه فزعم ان يقرر رأيه في الغد بعد ان يذهب الى الدير ويستفهم عن كيفية الدخول اليه والاقامة فيه

في ذات تلك الايام ولم يغمض له جفن لظم ما حاج في خاطره من الغضب على ابراهيم الخازن وكيف يمكن من كشف امرهم ففرق مساعيهم ويخلال ذلك ما وعد به جنار بما كان يستولي عليها . وفي صباح اليوم التالي يكر الى دير هند فوجده آهلاً بالرهبان فسألهم هل يضيئون النساء فاجابه احدهم « في الدير مضيف ينزله من شاء على الرحب والسعه »

فاحب ان يسأله عن الاقامة في مكان سري لا يراهم فيه احد الا من ارادوه تخاف ان يأول استئهامه الى شيوخ السر . وتذكر الاعتراف الثامن عند التنصاري لفنسيم وانه سر مقدس لا يحيطون به ولو هددوا بالقتل فرأى ان يجعل حدثه مع رئيس الدير على سبيل الاعتراف فسأل عنه فاخذوه اليه فاذا هو شيخ جليل عليه ملامع الاحترام والوقار فسلم عليه واكب على يده كأنه يقبلا نقبه الرئيس ودعاه الى الجلوس وامر له بالزاد او غيره من الفاكهة او الشراب فقال صالح « اشكرك يا حضرة الاب المخترم على تفضلك فالي لا احتاج الى طعام ولا شراب واما جئتكم بسر اريد ان استودعكم واستشيركم بشأنه وقد عملت انكم

معاشر القسس من رجال الله ومستودع اسرار خلقه »

فانشرح صدر الرئيس لهذا الاخطاب وقال «مرجباً بك قل ما تريده ولا تحف» قال «معي فتاة من اهل البيوتات اصابها نكبة ادت الى فرارها من وجه القلم فلم ترَ خيراً من التجائها الى بيت من بيوت العبادة وقد دلتا بعفهم على هذا الدير فهل يجوز ذلك» قال الرئيس «كيف لا وعندنا دار خاصة بالاضياف .اما اذا استشرتني فاخبرك ان دار الاخضياف عندنا لا تخالون من المارة ولا يعكنتنا ان غنم احداً من الترول فلا يكون سرّكم في مأمن نام ولكنني ادلّكم على دير العذاري الراعبات على مرحلة من هذا المدّت هو اولى بنزول النساء لانه غير مطروق ولا يقيم فيه الرجال فاذا شئت اوصيتك رئيسه بك فتوري» لكم غرفة خاصة .واما انت فاذا اخترت ان تقيم عندنا فرجباً بك »

سرّ صالح بهذا التوفيق من الجائزين وهو يعلم ان الاذياز تقوم ببيات الحسينين فلو دفعت جلنار الى رئيسة الدير بضم مثاث من الدنانير فانها تملك قلبها وتكون آمنة عندها فارتاح بالله لهذا التدبّر وعاد الى حمام اعين واحبّ قبل انتقاله الى الدير ان يتم بحثه عما عمله العيارون فسار الى قصر ابي سلة واستفهم منه عن ذلك فاخبره انهم لم يقفوا لارجل على خبر فتحقق صالح ان ابا سلة وبطانته اصبعوا في خطور فرأى ان يبعد عنه بالحليلة فذهب الى جلنار واخبرها بما دبره وقال لها «فالآن ينبغي ان تخرج من هذه المحلة خلسة بمحوث لا يشعر اهلها بنا ولا يعلم احد بقدمنا»

فقالت «وختالي لاتعلم ايضاً؟»

قال «وختالك قبل الجميع»

قالت «واللدم؟»

قال «نعم وكل انسان غير انت وانا وريحانة . . . والليل الى ذلك ان نأمر ائدم فيسرجوا الخيل ونظلّر اتنا ذاهبون للتنزه على خناف القرات وتشغل ائدم والسياسات بما يلهيهم عن مراجعتنا او الشعاق بنا ونختع اتنا فحب النزه على انفراد ففي بعدها عن المحلة عرجنا نحو الدير فنقيم هناك حتى يتفقى الله امراً كان مفعولاً»

فاحسست جلنار كأن جبالاً غليظاً التف حول عنقها وكاد يختنقها العظم ما هاج في قلبها من اسباب اليس لا اضطرارها بعد ان اقامت في منزل الى سلة واستأنست بمخالتها واحيتها ناء القمر ان تقر الى دير تقطع فيه عن الناس . ولم تر فرجاً الا بالبكاء، فبكّت وبكت معها ريحانة حتى صالح ثمع ما عليه من غلاطة قلبه اوشك ان يكى معها . على انه اخذ يخفف عنها ويقول جلنار «لا تبكي يا مولاتي لا بد من الاخذ بالشار ولو بعد حين

فإن الخازم من صبر على مرض الحياة وترى من لاغتنام الفرص وكل آت قريب «
 فاذكرت أيام مسلم حبها القدم وكيف كانت تحبه وكيف أصبحت لا تصر عن قوله
 يوم ما يذهب وعده اليهودي من شحريك قليلاً فهاجرت عواطفها وبكت ثانية لسبب غير سبب
 بكلها الأول صالح لا يعبأ بذلك أو هو لا يفهمه وإنما كان همه أن يستجل في
 أعداد ما يحملونه معهم إلى الدير . فقال لها « مري الخدم أن يسرعوا لنا الأفراس فأفارتهم .
 وفي أسيل ذلك اليوم خرج الثلاثة من الخلة ينظرون النزهة على شفاف الفرات وليس
 معهم أحد من الخدم ولا يعرف أحد مصدرهم حتى إذا تواروا عن الناس نجوا نجوا نحو الدير
 بخواصاً أولاً دير هند وتد العد صالح مررة فيها منه دينار دفعها إلى رئيسه هبة الدير .
 وكان الليل قد سدل نقابه فدعاه إلى الميت هناك على انت يكروا في الذهاب إلى دير
 العذاري فاطلاعوه فقدموا لهم من أطعمة الدير وفاكهته فأكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة .
 وفي الصباح التالي كتب لهم الرئيس كتاباً إلى رئيسة دير العذاري أوصاها فيه بالفتنة
 ومن معاها ودفع الكتاب إلى صالح نجده وذهب جلنار وريحانة وأرسل الرئيس لهم
 دليلاً يوصلهم إلى الدير المذكور فوصلوا نحو الناهر فاستقبلتهم رئيسة احسن استقبال
 وازلتهم على الرحب والسعفة وخصوصاً بعد ما رأت من لطف جلنار وكرمها لاتها في حال
 وصولها إلى هناك أمرت ريحانة فدفعت إلى الرئيس بدرة من المال فافتادت لها غرفة
 مطلقة الماء نظيفة الأثاث وأوست بعض الراهبات أن تعيني بها

الفصل الخامس والسبعون

فاطلان صالح على جلنار وتفرغ للنظر في شؤونه فاقام في دير هند وكان يتردد إلى
 دير العذاري حينما بعد حين يتعهد جلنار بما تحتاج إليه وينزل إلى الكوفة متذكرًا يجيئ
 الأخبار الشائعة ليرى مصير الأمور ويترقب فرصة يتحقق بها من بلوغ ثابتة . فعلم أن
 أبي العباس نزلوا عند أبي سلة وأنه كتم امرهم وأهل الكوفة لا يعلون يجيئهم وكان اخلاق سائرون
 قد علموا بذلك فباء جماعة منهم وعدوكروا خارج الكوفة عند حمام اعين وقوادم
 يبحشون عنهم . وكان أبو سلة بعد أن انكر على صالح الفتى بهم عاد فنظر في امرهم فرأى

السداد في رايه ولكننه اعظم الاعدام على قتلهم فبسم وكتم امرهم ونفع ان يرجع اليه صالح فيقاوضه في شأنهم لعله يلهم على الفتك بهم او يعفهم واما صالح فلم يعد يظهر لاحد فقط وكان يجر بجام اعين وهو مشكر فيسع اهل الى سلة وخدم جبار يذكرون فقد انها منذ خرجت مع خدمتها على شفاف القراء وقد رجعوا غرقها في مائه . وكان يشترى احياناً باثواب الفقهاء فيقضى يومه في المسجد يسمع احاديث القوم وبليس احياناً ثوب الاجناد او السؤال او العبارين او غيرهم فعلم ان الناس عرفوا بقتل الامام ابراهيم وضاجروا في السؤال عن اخوتة واهلة ثم علم بعد اربعين يوماً من قيوم العباسين ان الحراسين المسكرين بظاهر الكوفة عرفا بوجودهم في دار الوليد بن سعد مولىبني هاشم وهي الدار التي انزلتم فيها ابو سلة وان ابراهيم اوصى بالخلافة لأخيه ابي العباس فاتحوا ابا سلة انه جسمه هناك لرغبه في نقل الخلافة الى العلوين

فلا علم شيعة العباسين بوجودهم في تلك الدار اطلق اليهم كبير منهم اسمه ابو حميد الجيرري فلا اقبل رأى جماعة لم يعلم افهم اخليفة فسأل «من الخليفة منكم» فتقدمن داود ابن علي احد اعمام ابي العباس وقال «هذا امامكم وخليفك» وأشار الى ابي العباس فسلم ابو حميد عليه بالخلافة قائلاً «السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله» وقبل يديه ورجايه وقال له «مننا بامرك» وعزاه بابراهيم الامام . ثم رجع واخبر كبار القواد واعظام الشيعة بقاء معه منهم جماعة حق دخلوا على ابي العباس وقالوا اياكم «عبد الله بن محمد بن الحارثية» فقالوا «هذا» وأشاروا الى ابي العباس فسلوا عليه بالخلافة وعزوه بابراهيم فلما علم ابو سلمة بانكشاف امر القوم اراد ان يدخل فيباعي ابا العباس مثل سائر الناس فنحوه الا ان يدخل وحده لأنهم سادوا اللعن به فدخل وسلم عليه بالخلافة

وكان صالح يسمع في اثناء ذلك انهم سينزجون بالخلافة ليبايعوه في المسجد يوم الجمعة في ١٢ ربیع اول سنة ١٣٢هـ^(١) فتذكر باباس الفقهاء ووقف في بعض الشوارع الكبرى فرأى اهل الكوفة قد لبسوا السلاح واصطفوا في الطريق متوجهين الى العباس . ثم رأه مارئ على يرذون اباقي وحوله اهل بيته على اخيه او البراذين والناس يتزاجون ويتطاولون لمشاهدة الخليفة ابن عم النبي ويذربكون بروبيه . وما زال الموكب سائراً وصالح في جملة المارة حتى وصلوا دار الامارة ثم خرجوا الى المسجد فبايعوا الخليفة هناك وضج الناس بالدعاء . ثم رأى رجلاً صعد المنبر فانصت الناس وهم يعثرون وسائلين «هذا هو الخليفة اسمعوا خطابه»

(١) ابن الاثیر ٩٦ ج ٥

فتظر صالح الى العباس فاذا هو طويل القامة ايض الاون بعد الشعرا في الانف حسن الوجه واللحية . ثم رأى رجالاً اكبر منه سنًا صعد المذير في اثراه ولكنها قام دونه فعلم انه عمه داود بن علي ثم اهل ابو العباس على الناس والتاثر باد في وجهه ولو رأاه احدهم عن قرب ليبين فيه ارتعاشًا من الوعك والضعف على انه لم يكن يرى بذلك من الخطابة فقال الناس يستمعون :

« الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمته واختاره لنا فايده بما وجعلنا اهله وكنته وحصته والقوام به والذاريين عنه والناسرين له فالزمنا كلة القوى وجعلنا احق بها واهلها وختنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرباته وانساننا من آبائنا وابنائنا من شجرته واشتقنا من نعمته جعله من انفسنا عزيزا عليه ماعنتنا حريرا صاعينا بالمؤمنين روزوفيا رحيمها ووضعنا من الاسلام واهله بالموضع الرفيع واتزل بذلك على اهل الاسلام كتاماً بدل عليهم فقال تبارك وتعالى فيما انزل من حكم كتابه اما يرب الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم نظيرها وقال تعالى قل لا اسالكم عليه اجرًا الا المودة في القربي وقال وانذر عشيرتك الافريين وقال وما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلاته والرسول ولادي القربي وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان الله خمسه والرسول ولادي القربي واليتامي . فاعلمهم جل شاؤه فضلنا واجب عليهم حقنا ومودتنا واجزل من اقي ، والغنيمة نصيحتنا تكمة لنا وفضلنا علينا والله ذو الفضل العظيم . وزعمت الشامية الفضلال ان غيرنا احق بالرئاسة والسياسة والخلافة مما ثناها شافت وجوههم . ولما اهدا الناس وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وعصمرهم بعد جهالتهم وانقذهم بعد هلاكتهم واظهرنا الحق ودحض الباطل واصلاح بنا منهم ما كان فاسداً ورفع بنا الخيبة وتم بنا النفيضة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة اهل التعاطف والبر والمواساة في دنياه واخواننا على سرر مقابلين في آخرتهم فتح الله ذلك منة وبهجة محمد صلى الله عليه وسلم . فلما قبضه الله اليه وقام بالأمر من بعده اصحابه وامرهم شوري يلهم حروا مواريث الاسم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها واعطوهما اهليها وخرجوا خاصاً منها ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فاذدواها بخواريفها واستشاروا بها وظلموا اهليها بما ملا الله لهم حيناً حتى اسوقه فلما اسوقه انقض منهم بایدینا ورد علينا حقنا وتدارك بنا اهينا وولي لصره والقيام باهريننا لجهن بنا على الذين استضفوا في الارض وختم بنا كما افتح بنا واني لا ارجو ان لا يأتكم الجبور من حيث جاءكم الجبر ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا اهل البيت الا بالله . يا اهل الكوفة انتم محل محبتنا وترسل مودتنا انتم

الذين لم تغيروا عن ذلك ولم يتكم عن تحامل اهل الجبور عليكم حتى ادركتم زمامنا
واناكم الله بدولتنا فاتم امد الناس بنا وأكرمه علينا وقد زدتكم في اعطيائكم مائة درهم
فاستعدوا فانا السفاح للبيح والثائر المنبع :

ولما بلغ ابو العباس الى هنا غالب عليه الضعف واشتد فيه الوعاء خلس على المنبر
وقام عليه داود ائم الخطابة عنه بخوض هذا المعي وطمئن طمعناً قيحاً في بي امية وسوء سيرتهم
وامتدح اهل خراسان لانهم نصروا الحق ثم نزل ابو العباس وعمره عن المنبر وذهبا الى
دار الامارة وظل ابو جعفر المنصور في المسجد يأخذ البيعة على الناس فلم ينزل يأخذها
عليهم حق صلی لهم المصر ثم المغرب وعزم الایل فدخل صالح منزو يتأمل في ما جرى
بين يديه ويقاد يقين غيظاً لجبوط مسعاه في ابطال البيعة العباسية ولكتنه توسم الفرج من
جهة اخرى فانه رأى في ابي العباس ضعفاً لا يأذن بيقائه طويلاً وتحقق انه اذا مات
فالخليفة بعده صاحبه ابو جعفر لا له افضل اخوه وخصوصاً لانه تولى اخذ البيعة
على الناس

الفصل العشرين والسبعون

ذكرى الحبيب

وخرج صالح من المسجد وهو منقبض الصدر وذهب الى جلنار وخبرها بما شاهده
وان الاوس استتب لبني العباس ولا حيلة في ذلك ، فبكت فقال لها « لا يكفي ونحن بالحقيقة
لا يهمنا قيام هذه الدولة او سقوطها وانما يهمنا ان نقتل ذلك الرجل وانما سعينا في افساد
امورها لافساد امره فاذما لم يتيسر لنا ذلك من هذا الطريق فلتا طرق اخرى »

فسكت وتهدت وفي نفسها سرّ تحرص على كتمانه ومخجل من اظهاره حق لريحانة
لما فيه من صغر النفس وضعف الطبع — فانها كانت مع كل ما اساها من ابي مسلم
لا تزال تشعر بالليل اليه واذا ذكرته احست بشيء يحسنه في عينها وكان طول المدة
اذهب ما في نفسها من الحقد عليه ولكن لم يذهب ما في قلبها من الانعكاف اليه ، فكانت
تشعر بذلك الانعكاف وتغالط نفسها بمحاجة لتيار الذي دفعها غضبها فيه لطلب الانفصال
وصالح يحرضها على الثبات ومحبب ايتها الاخذ بالثار ، فلما طال جهادها وتواتي الفشل عليها

اجذتْ نعمتها تفلاض و تصرُّف وجهها يتجلى ويظهر وخصوصاً بعد ما قاله لها ابراهيم حق
جاءها صالح باستتاب الامر للعباسين وأخفاق مساعيه في ابدال دعوتهم فاحسنت بالفشل
محاسبة الحقد عن قلبها ونجحت لها صورة ابي مسلم كما كانت على عهد شفتها به وهوَنَ
الحب عليها كل عذرٍ حق ارادها القصور مبنية في الهواء تحيل لها ان ابا مسلم لم يفعل ما
فعله بوالدها او بها الا جريأعلى سياسه في نصرة العباسين وليس كرها لها فلم يه و قد تم
له ما اراده من تأييد دولتهم ان يصنفي لنداء قابره او يشقق على انسكار قلبها — والحب
كثير الشكوك وواسع الآمال — اذا سعدَ الزمان بما يتمنى وتحقق الي الاجماع بحبيبه
توالت عليه المخاوف ثلاثة يطأ عليه ما يبعد عنه و تكاثرت شكوكه في صدق محبه و اذا
جفافه حبيبه وعاده فيشعر وقلبه يتقد نفحة وحدقاً بأمل يظلل ذلك الحقد — والحب
غريب أمره

فكان جنار تنازعها الآمال وهي تتعالج نفسها ولا تبوح لاحد بسرها فلما جاءها
صالح بذلك الخبر تصادمت عواطفها بين الامل والفشل فلم تهلك عن البكاء ولم يكن
وعد صالح ليختف عنها كثيراً ان ولالي الاختلاف في وعده لكنها اظهرت الارتياب لوعده
وقالت « واي طريق توقع ان توصل به الى مرآتنا »

قال « تهول يا مولاي وعليه تدبر ذلك وقد صبرت فاصبري ايضاً ان الله مع
الصابرين » فسكتت واطرقت وتهدت فشعر أنها تضرر شيئاً وخف ان يكون الفشل قد
اضيف عزمهما وهو قد يحتاج اليها في تنفيذهما بقتل ابي مسلم فاحب ان يتهمها في ذلك
العزم فقال لها « يظاهر لي يا مولاي ان حبوب سعينا هذه المرة قد انور في عزتك فلا
يتامي من الفوز واما عبدك ورهين اشارتك ابدل نفسي في سبيل مصالحتك وانت
تمامين اني تركت العالم وانقطعت الى خدمتك وعادت اشر الناس وادعهم من اجل
مرضاك وقد سعينا في معاكسة ذلك الرجل ولم ننجح وقد يلقه سعينا وعرف مقاصدنا
بواسطة خازنه اليهودي على بذلك فلو اردنا الرجوع عن عزمنا فهو لا ينفك حق يعثر بنا
ويقظتنا ولو اعلم انه يكتفي باقتلي ويستبيك لهسان علي ذلك لاني احب اللحاق بوالدك
رحمه الله فان ما عندك خير مما عندنا وابقى » قال ذلك ونظاهر بالاجهاش فاولهم جنار
انه متنان في خدمتها وذكرها بقتل والدها فترك عواطفها عليه فندرت على ماسه بذهنها
من الميل الى مسلمة ابي مسلم او استعطافه وخصوصاً بعد ما سمعته من تابع صالح ان
كشف امرهم لابي مسلم اذَا كان على يدهما فاصبحوا تحت خطير القتل فكيف يخطر ببالها

الرجوع عن عزّها فلم تر بدًا من مسيرة صالح في قوله فانكرت ما توهه فيها من ضعف العزيمة وأكذبت له أنها باقية على قصدها وأنها لا يمكن أن تنما على الاستقام لوالدها ولكنها يشق عليها ما يكابده هو من العذاب في سبيل ذلك فاجابها أنه يغفره عن رضي وراحة ملأه من الثأر أيضًا

فمضت جلنار في ذلك الدير زماناً وصالح يتزدد إليها بالأخبار واهما في تلك السنة انهزام مروان بن محمد آخر خلفاء بيرومية وكان قد جاء مجيشه لحاربة العباسين في العراق فقلبوه في بلد يقال له ازاب فقر إلى مصر وقتل ببلدة يوصير وجاءها بعد أيام يقتل بيامي وهو يستغره فقالت « لاغرابة في قائم بالحرب »
قال « واي حرب انهم قاتلوك غدراً بعد ان أمنوهم وادنووا بدخولهم إلى مجالهم والجلوس بين أيديهم »

فقالت « قاتلوك بلا سبب ظهر منهم »

قال « بلا سبب ظاهر ولكنني اظن ابا العباس اغرىهم على قاتلوك فدس شاعرًا قال يتناحر به ابا العباس على قاتلوك دفعة واحدة وعددهم نحو تسعين رجالاً »
قالت « وما هذا الشعر الذي كان له مثل هذا التأثير؟ »

قال « ليس هو تأثير الشعر ولكن النقوس متعددة والقلوب ملائمة والشعر حر كالألم الشاعر ذكر السفاح بن قله الامويون في أيام ولهم من الهاشميين — قال ذلك في حضرة السفاح وبنو أمية على مائدته يأكلون فاص لهم فضرروا بالعمد حتى قتلوا وبسط عليهم الانطاع فأكل الطعام عليها وهو يسمع انين بعضهم حق ماتوا جميعاً »

فلا سمعت جلنار ذلك فقطعت كلام صالح ولم تمالك عن الصياح قائلة « اعوذ بالله يا للفظاعة يقدرون باضيائهم ثم يأكلون الطعام فوق جثهم وهم يسمعون انينهم؟ ان ذلك لم يسمع بذلك » قد اقشعر بدقي وقف شعر رأسي تبحthem الله من اناس قيادة القلوب »
قال صالح « أمثل هؤلاء يركن اليهم او يرجي الصفح منهم » يعرض بما خطط يمال جلنار من هذا القبيل فسكت

ولاتسل عن حال جلنار لما جاءها صالح يقتل أبي سلمة فقد عظم مصايب عندها مثل مصائب والدها لأنها كان يحبها ويذكرها فسألت صالحًا عن سبب قوله فقال « وهل عجبليين السبب ان القوم شكوا فيه قاتلوك ونسوله ما كان من بذلك الاموال في سبيل نصرهم وهي

انه كان ضد هم فبعد ان ملكوا قياد الدولة وصارت الاموال اليهم فكان الصفح اولى بهم
لرجل بذل ماله ونفسه في سهل دعوته »

فقالت « صدقت اني لم اسمع بذلك هذا البطش والفتنة ولا اظنني في امية كانوا اشد
« فتكا من هؤلاء وكيف قتلوه ؟ »

قال « قد علمت انهم شكوا في اخلاقه لهم ولكن ما رأى الامر اتفق بايع في جلة
الذين يابوا فقدمه ابو العباس وجعله وزيرا - كانه فعل ذلك ليتزبّغة امواله ثم عاد الى
شكوكه خلف قته عنده ولم يجسر على مباشرة ذلك بنفسه فكتب الى ابي مسام وهو
في خراسان يستشيره بشأنه فاجابه « انه اوجب الشك واستحق القتل فقتلوه » فلم
يجرئ على قتله خوفاً من اخرين الذين معه فبعث الى ابي مسام ان يرسل من يقتله
فيما اتى رجلاً قتله سرّاً واتساعوا ان بعض الخوارج قتلوه وهذا هو اعتقاد اهل الكوفة
الآن ولكنني اعلم على سرّ الامر »

فيكت جلنار وقالت « قبحهم الله ما افقي قلوبهم ان ابا سلمة رجل ليس فيهم منه »
قطع صالح كلامها وقال « واغرب من ذلك قلم سليمان بن كثير قال ابا سلمة نحن
نعلم انه كان ينوي الغدر بالعباسيين واما ابن كثير فأشهد عند الله انه لم يخطر بباله الغدر »
ففجعت وقالت « قتلوه ايضاً وكيف ذلك ؟ »

قال « لما قتلوا ابا سلمة كما اخبرتك اتفق ان ابن كثير قال كلمة تقلها بعضهم الى ابي
مسلم فشك فيه قتله جهاراً بلا تحقيق ولا نظر ٠٠٠٠ فهل يؤثرون جانب اناس مثل هؤلاء
فكمل من علموا عنه اخرافاً ولو اظهر الطاعة فانهم ينكرون به سرّاً او جهراً » وقد اراد
صالح ان يعرض مرة اخرى بما دار بينه وبينها في المرة الماضية ليثبتها على عزمه ضد ابي
مسلم فرأها اصبحت تحذف ذكره لانه سبب تلك الفضائح كاها وقد ارتکبها في اول من سنة

الفصل الثالث والسبعون

فاما ايفون صالح بثبات جلنار على عزمه اخذني في تدبر الوسائل لافتتك بالي مسلم بنفس
الطريقة التي قتلوا بها ابا سلمة واخذ بترقب الفرص ثناها حتى اذا مات ابو العباس السفاح

سنة ١٣٦هـ افاقت الخلافة الى أخيه المنصور فايقن بوسوله الى الغرض المطلوب بعد ما قدمه من التهديد في هذا السبيل منذ لقائه في الحرمية وبصره بالخلافة . فلما علم بموت السفاح وخلافة المنصور ذهب الى جلنار وامارات السرور باديه في وجهه وكانت جلنار تنتظر عبيده بفارغ الصبر فلما رأته قادماً حفظ قلباً توهماً لاما عيادة ان يقتله اليها من الاخبار ثم شفرس في وجهه وتستطلع ما في نفسه من سرور أو أنباء . فلما جاء في ذلك اليوم رأت السرور بادياً في وجهه فاستبشرت وفرحت وكذاك ريحانة فانها كانت تقرأ عواطف مولاتها فابتدره قائلة « هل من بشارق خير؟ »

قال « قد دنا وقت النجاح الا يد فات ابو العباس وافقت الخلافة الى أخيه للتصور صاحب وهذا يعتقد كرامي وقد بشرته بالخلافة منذ بضعة اعوام وارجو ان يكون نيل المرام على يده وخصوصاً لان في نفسه حزازات على ابي مسلم قبل الخلافة » فقالت جلنار « وأي حزازات في نفسه وابو مسلم هو الذي سلم اليهم الخلافة ولو اراد تحويلها الى سواهم لم ياق معارضاً؟ »

فاستغرب صالح تصدى جلنار للدفاع عن ابي مسلم وقد قاتل ان الحب اذا تأهل في قلب الكريم لم تزعه الكوارث ولكنها قد تضفت عليه فتحقيه فلما أذبحت عنه عاد الى رونقه باحسن مما كان — فلما سمع صالح قوتها تتجاهل وغالطها فقال « لا يخفى على مولاني الدقة ان طلاب السيادة هذا شأتم قائم لا ينفكون عن الحاسدة والفاخرة والمخادرة ومداري الآن ان اذهب الى التصور فهو لاشك يستقبلني بترحاب ويقدمي ويسبقني عنده واحب البقا، هناك لاسي في امرنا فهل تعيان هنا؟ ام تذهبان معي الى الانبار لأن مقر الخلافة انتقل اليها »

فقالت جلنار « كيف ينقى هنا وانت بعيد عنّا فارى ان تنتقل الى الانبار تقيم في بعض يومها ولا خوف علينا فان الناس قد نسوا امرنا وكمانا هذا الحبس »

ففرحت ريحانة برأي سيدتها لانها كانت قد ماتت الاحتباش في ذلك الدير فقال صالح « اسمحي لي بالذهاب قبلاً وحدني لاجتسس الامور ثم اعود اليكما فانقلوكما اليه » فوافقته على ذلك لكنها الحلت عليه بسرعة الرجوع وقالت « اذا ابعطت علينا مرتنا اليك وبختنا عذرك في بلاط الخليفة » قال حسناً وخرج واخذ يتأهب لمقابلة المنصور فصفع طليبه وبدع نياكه كما كان لما قابلها في الحرمية منذ بعض سنوات وزاد على ذلك انه اظهر الرمد وغضى عينيه بعصابة مهالفة في التشكير لعلمه ان في دار التصور انساناً يعرفونه

ولابسا خالد بن يرمث وكان قد رأه مرة في بيت دهقان مرو والعينان أظهر ملامح الوجه وأدل على صاحبها من سائر الأعضاء

اما للمنصور خالدا افضت الخلافة اليه تذكر منجم الحميّة وقال في نفسه لو جاءني لقربيه مكافأة لبشرته فلما ورق هو ذات يوم في داره بالاسرار ان دخل عليه حاجبه الريح وابرأه ان رجالاً كفيف البصر يطلب المثلولين بديه على افراده فشار المنصور الى من في حضرته من القواد نخرجوا وأذن بدخوله فدخل وهو مطرق يتوكأ على عكازه وقد شد عينيه بعصابة وعليه علامات الضعف فلما اقبل على الخليفة سلم تسلیم الخلافة ثم قال « اشكر الله الذي اراني صاحب البقاء الاصغر على كرسى الخليفة وان كنت ارمد »

فاثقه المنصور للرجل فوقف له وأخذته بيده حق اجلسه على وسادة بين يديه وهو يقول « مرحباً بالصديق القديم اني ما بدرحت من يوم جلوسي هذا المجلس وأنا افكرك فيك وأرجو قدموك » فاطلب ما تريده

قال « لا أريد شيئاً يا امير المؤمنين سوى تأييد دولتك وطول بقائك وقد اخبرتك يوم التقينا في الحميّة اني سأتريك على غير انتظار فقد جئتكم »

قطع المنصور كلامه قائلاً « وما الذي اصاب يصررك؟ »

قال « اصابه لا ادرى ما اصابه ولم يجوز لي بهذه المصيبة لاني لم ائم الهمة التي جتكم بها هناك كما ينبغي فلم استطع تبليغ الرسالة قبل تقاد الخليفة في نجاة الامام رحمة الله ولتكنى لم انعم ذلك كما تعلم وفي كل حال فما انا في حاجة الى البصر لولا رغبتي في رؤية امير المؤمنين »

قال « ادعوك طيباً يصف لك دواه »

قال « كلاماً فاتا معاشر الزهد لا استعين على الامراض بالعقافير وانا ندفعها بالادعية »

فقال المنصور « نعم ان يكون قدموك لا لاقامة عندنا هذه المرة »

قال « دعوت اليك لا تكون في خدمتك الى ان تستفي عن او اموت فاني لا ارجو البقاء طويلاً ومثلي لا يليق بمناجاته اخلاقهم ولكنني علمت بما يحدق بدولتك من الاخطار لكرزه اعدائهم وحسادك فاحبب ان يكون لي بد في تأييدها على عجزي وقصر باعي »

قال المنصور « بل انت صاحب الفضل الاعظم لانك بشرتني بالخلافة وأنت لم تعر في

فاحب ان تكون عندى الان فاذا شئت جعلتك رئيس المنجمين »

قال صالح « عفوتك يا مولاي فاني فضلاً عن عدم استحقاقي هذا المنصب لا اريد

ان اسمي فمي منجعًا لأنني لا احمل أدوات التجميم وانما أقول ما يلقيه اليه اهاتيف او يلامونيه الله وقد كنت استعين بالنجوم فلما كف بصرى أكفيت بالاحساظ فاذا شئت ان تكون في خدمتك شعفي في حجرة من حجر دارك او في مكان آخر لا يراني فيه احد لأنني لا ارى احداً

فقال « بل قيم في داري ان تكون قريباً مني » وصفق يده حاجه الربع فامر ان يأخذ ذلك الزاهد الى حجرة منفردة في داره ففعل وامر بعن الخدم ان يقوموا بخدمته اما المنصور فلما خلا بنفسه عاد الى دهائه وذاته وطلأب السيادة يومئذ ييشون اللظن في اولادهم وخصوصاً المنصور لظرف حذره وحزمه فلما رأى ذلك الزاهد طلب الاقامة في داره ساء اللظن به واحب ان يختبر صدق كرامته ولهاته ثلاثة ثلاثة يكون دسيساً من احد اعدائه يفعل ينكر في رجل عاقل يختاره لامتحانه ولم يكن عنده اعقل من خالد بن برمك وكان مقدماً عنده والمنصور حسن الاعقاد على آرائه تبعت اليه يفاوه فاخبره باسم الرجل الزاهد على ان يكون ذلك سرياً لانه فصله عن سائر المحبين ليستعين بأرائه عند الحاجة الى ان قال « ولكنني اخاف انه غشني فلا يكون عنده علم ولا ولابة فادخل عليه والخدعه » وامر الربع ان يأخذنه الى حجرته

الفصل الرابع والسبعون

كشف السر

فيها والمنصور معها حتى اقبل على الحجرة فدخل خالد وظل المنصور والربع بالباب بحيث يسمحان . فلما سمع صالح وقع الاقدام داخل الحجرة ظاهر باعمال الفكرة . اما خالد فلم يزد على ان قال « السلام عليك » فعرفه صالح من صوته فاجابه على الفور « وعليك السلام يا ابن برمك : انك خير الوزراء خلير الخلقاء »

فبفت خالد معرفة احمد ومر لسميته ووزيرًا فاصبح يشقى ان يعتقد المنصور كرامته فيعمل برأيه ويجعله وزيراً فالتثبت خالد الى المنصور فرأه يشير اليه ان يغالطه فقال خالد « وما ذنبي عندك حتى جعلت والدي عبودياً فاذا كنت لم تعرفي كان ينبغي ان تصمت » فضحك صالح وقال « اذا كنت خالداً وقد ولدك برمك الجوني فما هو ذنبي عندك

على أن خروجك من صلب رجل غير مسلم لا ينبع فضلاك فان النبي (صل) لم يكن ابوه مسلماً . وإذا كان مرادك اخباري فاسأليني فاكشف لك ما يقول في خاطرك حتى لا يقع بعذرك شيك في اخلاامي »

فانجب خالد بذلك الجواب وسره وجود مثل هذا الرجل في بلاط الخليفة لم يعن اليه في شيء . وكان مبالاً الى المصادقة على بيارته لانه ثاباً بوزارته ولكنها خاف اذا طلب اليه قراءة ما في ضميره ان يصرح بامور لا يرضاه المتصور والدرس لا يخلو من اشكال يومئذ من شيء على آل العباس فاحب تاجيل ذلك خلوة يخلوها معه . والنتف خالد الى المتصور فرأه يشير بالانصراف فرجعوا وقد رسخ في اذهانهم صدق ذلك الزاهد في اقواله وكرامته في استطلاع اخلفيا واممى المتصور الربيع ان لا ياذن لاحد ب مقابلته وظل صالح وحده وهو يظهر من الصفت قوة وقد سره ان يكون المحقون خالد بن برمك لانه مطلع على كثيرون احواله ويعرف صوته وخالد لم يخطر بباله انه الضحاك الذي رأه في منزل دهقان مرو متذابض سين لاعتقاده انه قتل مع ابن الكرمانى

اما خالد فاشغل خاطره بالزاهد واراد مقابلته على افراد لامر في نفسه يريد ان يسأل عنه فلما سمع الخليفة يوصي الربيع بنع الناس عنه نقدم اليه ان ياذن له مقابلته فقال للربيع « امنع الناس كافة الا خالداً » لانه كان يحبه ويشق به ويعتمد على آرائه

فسر خالد بهذا الاذن وبكر في صباح الفد فدخل على صالح غنيماً فرحب به صالح واطراه ويسره ومتأن استغلاها لرضاه عنه واستدناه لاعتقاده به بخل خالد بين يديه وقال « لقد جئت اليك بامر يهمي الاطلاع عليه فإذا كشفته فرجت كربلة كثيرين » قال « قل لعلي استطيع ذلك باذن الله »

قال « لي صديق وقع في مشكل لا دخل له في السياسة او الحرب وانما هو يتعلق بشخصه وشخص آخر يحبه وقد اخشع ذلك الحبيب بمحبه ان يعرف مكانه »

فدخل صالح بيده حق قبض على بدخل خالد وقال « صرحت او اعطيتني اثراً من آثار الشائع فاعرفه » قال « لا سبيل لي الى شيء من آثاره ولكنني ازيدك تصربيجاً : اتعرف ابا مسلم الخطرياني » فاستبشر بذلك كرامته لعله يستفيد من حديث خالد عنه ما يعيشه على الفنك به فقال « ومن لا يعرف صديفك ابا مسلم »

فقطلع خالد كلامه فائلاً « لا نقل صديفك لأن الخليفة متغير عليه وقد اتهمه وأحب ان لا يكون بي يد في هذه التهمة ولذلك قلت لك انه سؤال لا علاقة له بالسياسة ولا

الحرب . وإنما مسألة أبي مسلم خصوصية تتعلق بفتاة احبتهُ ولم يحبها فاساء اليها ثم ندم فاحب ان يستدعيها فلم يقف لها على اثرو لا يزال يبحث عنها فهل تعرف مكانها فلما سمع كلامه تذكر ما قالته جلنار عن موعد ابراهيم الخازن فعلم انه انسا جاء بالبحث عنها وتذكرة ملاحظة من رجع آمالها وتحرك قلبها وايقن ان ابا مسلم بتوبي قتله واخذ جلنار منه والا لما كان ثمة باعث على فراره منه وقال في نفسه «لقد آن وقت العمل» فلما فرغ خالد من كلامه كان صالح لا يزال قابضاً على يده فاطرق كاته ينكر في امر هام ثم رفع راسه وقال «مسكينة جلنار - كم احبت هذا الخراساني وخدمته وكم اساء اليها وعلبها فما الذي غيره؟»

فذهب خالد لذكره اسم الفتاة ولشخص حديتها وافسر بدننه وقال «ان الذي غيره هو انا لاني كنت على يحبها له وتقاضيها في خدمته حتى قتلت زوجها لاجله ثم اتهم ابو مسلم والدها بالخطيبة وقتلها بخاءت لعماته علي افراد ولم اكن حاضراً وفي صباح اليوم التالي اخبرني بما كان من غضبه عليها وسبها وراثت في كلامه ضعفاً وتومست فيه ندماً على ما فرط منه بشانها علي غير عادته فاختدت في توبيه وحيبت اليه لقربها والتزوج بها فرقى وبعث يستقدمها من السجن فقيل له اتها ليست هناك فبحث عنها في دار الامارة وبئث الناس في اطراف المدينة فلم يقروا لها على خبر فتحققنا انها فرت لمكان بعيد وكانت شديدة الرغبة في الوقوف على خبرها لاعتقادي انها مظلومة واحب ان تتصف بفترشت ابا مسلم على البحث عنها في الاطراف البعيدة فكافي رجلاً يهودياً عنده ان يفتش عنها ووعده اذا جاءه بها ان يعطيه مالاً كثيراً فتذكر اليهودي واخذ في التقبip حتى عثر عليها في الكوفة منزل اليه سلطة واوشك ان يظفر بها ففجاعت منه كلها طارت بين السماء والارض فعاد اليها بهذا الخبر فغضب عليه ابو مسلم وارجعه للشتيش عنها ثانية وقد جاء في متذبذبة ايام وخبر في انه لم يغار عليها . فهل هي حية وهل تعرف مكانها؟

وكان خالد يتكلم وصالح يتابعه في الحديث كأنه مطلع على الحكابة فاذَا توقف خالد اعاده بكلمة ما يعلمه وخالد لا يستغرب ذلك لما سبق الى ذهنه من اعتقاد كرامته فعلم صالح من سياق هذا الحديث انهم لم يكونوا عالمين بيقائه حيّاً ولا اخرين ابراهيم بذلك خوفاً من ضياع فضلها في قتلها مع انه ينبغي ان يكون قد علم هو بيقائه ثانٍ يوم مقتل ابن الکرماني اذ لم يجدوا جثته هناك . وعلم ايضاً ان ابراهيم قرب من ذلك البلد او ربما كان في بلاد الغليفة فاحب ان يتحقق ذلك فقال «انها حية سالة ولا يصعب علي معرفة

مكانها وانما يحتاج ذلك الى مهلة قليلة ويلوح لي انها ليست في مكان بعيد من هنا . الم
تَسْأَلُ الْجَهِينَ عَنْ ذَلِكَ ؟

قال « سأله غير واحد فاختلقو وتناقضت اقوالهم وليس فيهم من ينفع مع رغبة امير المؤمنين في الاستكثار منهم للاستفادة بهم ولم اجد بينهم احداً مثلك »

قال « ان أكثر مفعلي هذا الزمان يخلون الصناعة لابتزاز الاموال ويجبتون في اقوالهم خبط عشواء . وانما في نعم يختص بها الله انساناً وقلما يستطيعها احد بالاجتهاد على ان بعضهم يخدنها وسيلة لغرض خاص كا يفعل المجم حابيم »

فحريك خالد لعرفة صالح ذلك الاسم الجديد وقال « مسكن حابيم ابن هو من التقييم ومع ذلك فهو مخترط في جملة منجي المنصور يقبض راتباً مثل رواتبهم »

علم صالح ان صاحبه في بلاده اخليفة من جملة التجارين فشك وتزحزح من مكانه فادرك خالد انه قد آن الصراقة فنهض وودعه واوصاه ان يكتم ما دار بيدها فوذهبه بذلك وانه ميهبيه عن مكان جلنار بعد بضعة ايام تخرج خالد وقد تولته الدعسة اذ لم يكن يopian مثل هذا الرجل يوجد في الارض فذهب توأماً الى داره وبعث الى ابراهيم اليهودي فلما جاء سأله هل وجد النتائة فاجاب « كلاماً »

قال « قد وجدت شيئاً يستطيع الوقف على مكانها »

قال « ومن هو ؟ اريد ان ارأءه »

قال « لا سبيل لاحد اليه فان امير المؤمنين لا ياذن في الدخول عليه وقد حلبت مقابلته من اجل هذا الامر فوجدت فيه مهارة غريبة ولم اكدر اسأله عن الفتاة حتى تلاه لي خبرها وعرف مساعدك وانك اقتللت صناعة التقييم لهذه الغاية وان املك المجم حابيم ونحو ذلك مما ادهشني وكنت اود ان تفاهه لولا ما ذكرته لك من تشديد الخلافة في المدع « وكان ابراهيم يسمع كلام خالد وهو يفك في من عساه ان يكون هذا المجم فلما سمع ما قصه عليه من مجزاته تبادر الى ذهنه انه منجم كاذب مثله ولم يستبعد ان يكون صاحبه الفحراك وقد تحقق بقاءه حياً في الكوفة يوم النقبا يباب الى سلة وتشازرا وتناكرا فسأل خالداً عن شكل الرجل وليس فاخبره ان على عينيه عصابة وان طبيعته معناة فسأله عن قامته فقال « لم اره واقفاً ولكن يظاهر انه طوبيل » فلم يشك ابراهيم انه صاحبه بعينيه وخصوصاً لذكره بالرمد فانها امشولة تعلها الفحراك منه يوم النقبا ومهما القصاص في معسكر شيئاً بضواحي مرو ، فتجاهله ولم يدرك لاحظة ولذلك عزم على الخدر فصرفة خالد وعاد وهو

عالق النعن بذلك الزاهد واحب أن يلقاء ثانية بذكر اليه في الغد وآخره انه لقي ابراهيم
وانه اطيب له بما شاهده من كرامته ومارته

فلم يفرح صالح بما سمعه من هذا الاطلاق وسأله ما قاله عنه ابراهيم خافه ان يدعوه
ذلك الى الشك فيه لعله انه لم يطلع احد على تلك الحقائق غيره . على انه كتم
استياءه واثنى على خالد وعمد الى اجتناب قلبه اليه كما اجتنب قلب المنصور قبله
بتبشيره بما توقع اليه نفسه وكان خالد طامعاً بالزيارة فاشترح صدره ولكن له
صالح « ان الله سيكافئك على معいく في التوفيق بين هذين الحسينين باكبر منصب تطمح
اليه الابصار بعد الخلافة » فادرك خالد انه يبشره بالزيارة فاشترح صدره ولكنه نذكر ما
يحول دون ذلك من اشتغال المنصور بامر ابي مسلم اذ خاف ان يتقم المنصور بسيمه على سائر
رفاقه القواد فلهمه نصيبي من تلك الثقة فاحب ان يستفي الزاهد في ذلك فقال له
« احب ان استثنيك في مسألة أخرى تهمي وقد شغلت بالي وبالطبع ارجوان يكون
ذلك سرّاً بيدي وبنك »
قال « قل لا يخفى »

نفصن عليه مسبب غضب المنصور على ابي مسلم وانه ينوي القبض عليه خوفاً منه واطعه
على تفاصيل لم يكن يعرفها ثم سأله هل تظن المنصور يجعل تقمته عامة على سائر نصارائه
فاطرق وهو يعلم فكرته ثم قال « كلاماً .. لان المنصور لم يتغير على ابي مسلم لانه قام
بدعوته بل لانه طمع بالملك لنفسه وهب انه تقم على سائر الطراسين فلن يتمم عليك »
فاطنان بالله وخرج مسرعاً خافه ان يأت في المنصور فيراهم هناك

الفصل الخامس والسبعون

المنصور وابو مسلم

ولبث صالح ينتظر قدوم المنصور فاعتم ان جاءه وحده ودخل عليه خلسة حتى دنا منه
وقبض على يده ليغتله فلم يغتله لعله انه لا يمس احد على ذلك غير الخليفة وكان قد سمع
صوته من عهد قريب بجوار سجرته فقال « السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله »
فقال « وعليك السلام .. كيف تجيء حالك ؟ »

قال «ارانيه في نعيم والحمد لله لصدق بشارتي ويسري ان ارى امور المسلمين في قبة امير المؤمنين ايده الله ... ولكن هل تذكر عبارة قلتها لك يوم تلك البشارة ..؟» قال «اذكر كلامك كله ولم انس منه حرفاً اذنك تعني الكلمة التي تحدق بخلافتي»

قال «نعم هذا ما اعنيه وقد عرفته قبل وقوعه واذنه وقع فلماذا تكتبه عني»

قال «لم اكتبه وقد جئت الان بشأنه ولكن ما هي الكلمة التي تعنيها؟»

قال «اتجذبني يا ابا جعفر؟ ان الكلمة التي اعنيها اغا هي مطامع الناس في خلافتك - وبعفهم في المجاز والبعض الآخر في خراسان وآخرون في هذه المدينة بل في قصرك يوماً كلونك و يشاربونك»

تجاء كلام صالح مطابقاً لما في نفس المتصور كل المطابقة لانه كان يخاف العلوبيين في المجاز بعد ان بايعهم على ان تكون الخلافة بعد بنى امية محمد بن عبد الله الحسني واراد المتصور نكث البيعة وحصر الخلافة في بنى العباس . وكان يخاف ابا مسلم اذا اقام يغزاسان لانه قادر على نقل الخلافة والناس يطاعونه . وكان يخاف بعض اهله على الخلافة وفيهم اعمامه وابناء عممه وهم مقيمون معه يوماً كلونه فلما سمع كلام صالح زاد يقينه بكرامته ومارته فقال «صدقت اني اخافهم الاقرب فالاقرب يعني بعض اعمامه»

قال «ليس ادعى للغوف من ذلك الخراساني الفناك»

قال «تعني ابا مسلم؟»

قال «اياه اعني . فان نجحه في اسقى المطالع ولو استئنف الحجارة لنفدت معه ولو حارب الابالسة لغلتهم .. هذا الذي يخشى بأسه ولكنني ارى نجحك اسقى من نجحه وسعدك ابقى من سعده ..»

قال «ولا اخفي عنك ما في نفسي من هذا الخراساني فقد كنت اخافه من ايام اخي السفاح رحمه الله فاشترط عليه ان يحبسه فلم يطعنني ولا اففت الخلافة اليه رأيت منه اخراضاً وبلغني عنه امور اغضبتني وخوفتني فاستخدمته في مغاربة عمي عبد الله الطامع بالخلافة وضررت احدهما بالآخر فنـ قـتـلـ مـنـهـ نـجـاحـيـ اللهـ مـنـهـ فـنـ عـمـيـ وـفـازـ اـبـوـ مـسـلـ هـاـ فـعـكـرـهـ منـ القـنـاطـعـ فـبـعـثـتـ اليـهـ اـطـلـبـ القـنـاطـعـ فـغـفـلـتـ وـقـالـ اـنـيـ خـوـنـهـ وـاخـبـرـنـيـ الرـسـولـ اـنـهـ شـتـقـيـ .ـ فـلـاـ رـأـيـتـ هـذـهـ الـجـسـارـةـ خـفـتـ اـذـ سـارـ اـلـىـ خـرـاسـانـ اـنـ يـعـصـيـ فـبـعـثـتـ اليـهـ وـهـوـ بالـجزـيرـةـ اـنـيـ وـلـيـهـ الشـامـ وـمـصـرـ وـطـلـبـتـ اليـهـ اـنـ يـأـتـيـ فـاجـابـيـ جـوـابـاـ يـدـلـ عـلـ خـوـنـهـ فـيـ وـهـذـاـ نـصـهـ :ـ لـمـ يـقـ لـامـيـ المـؤـمـنـ أـكـرـهـ اللهـ عـدـوـاـ إـلـاـ إـمـكـنـهـ اللهـ مـنـهـ وـقـدـ كـنـاـ تـرـوـيـ عـنـ مـلـوكـ

آل ساسان ان اخواف ما يكون الوزراء اذا سكت الدهاء فتحن» تافرون عن قريرك
حر يصون على الوفاء لث ما وفيت حر برون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد حيث تقاربها
السلامة فان ارضاك ذلك فاما كاحسن عيدهك وان ابيت الا ان تعطى نفسك بارادتها
تفقدت ما ابرمت من عهدهك ضناً بنفسك

فلمما قرات كتابه كتبت اليه واظهرت له انه خططي في فاصر على الامتناع ومدى الى
حلوان وجاءني منه كتاب جمع بين الاحتجاج والاعتذار هذا نصه :

«اما بعد فاني اخندت رجلاً اماماً ودليلاً على ما افترض الله على خلقه وكان في محله
العلم نازلاً وفي قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما فاستجهاني بالقرآن فحرقه
عن مواضعه طعماً في قليل قد نعاه الله الى خلقه فكان كالذى دانى بغيره وامرني ان
اجرد السيف وارفع الرحمة ولا اقبل المقدرة ولا اقبل العترة ففعلت توطة لسلطانكم حق
عرفكم الله من كان يحملكم ثم استقذفي الله بالتوبة فان يمفوعني فقد فعل ما اعرف به
ولبس اليه وان يعاقبني فيما قدمت يداي وما الله بظلام للعيid» فاشكل علي امر هذا
الكتاب بجمعت التجارين منه بضعة ايام وطابت اليهم استطلاع ما في نفس الرجل
فاحسنتوا الثناء عليه وقالوا « انه قد تاب عما كان فيه واذا احسنت الفتن به وقربيه ذمك »
فامسيت في حيرة من الامر هل اصدق هؤلاء او ابقى على عزتي في القبض عليه وكتت
وابا في حيرتي هذه افكر فيك واطلب الى الله ان يرسلك اليه لعلك تعلموني على الصواب »
وكان صالح يسمع كلام المتصور وهو جالس الارباع متکي في بکوعيه على خذنه
ووجهه نحو الارض كانه ينظر فيها فلما فرغ المتصور من كلامه رفع صالح رأسه وقال « اي
التجارين يقول ان الرجل تاب وان استيقائه ينفعك ؟ ان صوت قلبك يا امير المؤمنين
اصدق من تكون التجارين » وخصوصاً اذا كان قيم منجم يهودي اسمه حايم »

فاستقرب المتصور معرفته ذلك الرجل وقال « قد لحظت من حايم هذا رغبة شديدة
في تبرئة ابي مسلم وآيات حسن نيته اكثر من سائر التجارين »

فقال « لانه صنيعه وريث نعمته وهو عين له عليك »

فذهب المتصور لاصحابة ذلك الزائد في كل ما قاله كان الغيب كتاب مفتوح بين يديه
يقرأ منه ما شاءه و كان المتصور قد ساء الفتن بذلك اليهودي لانه تغرس فيه الرياء والذكر
فقال « اظنك مصرياً بقولك وسيذال هذا اليهودي طلاقه سعيه » فاترى انت في نية ابي

قال «كما ترى انت يا امير المؤمنين .. فاني أرى في بقائه خطرًا عليك وعلى دولتك ولا تعبأ بما جاء في كتابه من عبارات الاعتبار فانه يلقي التبعة على اخوك الامام رحمة الله او هي حيلة يجتاز بها عليك ربما يمكن ذلك في عاتلك وتندم حيث لا ينفع الندم — وكأنني فهمت من كلامك انك اذا قبضت على ابي مسلم نتني استيقاءه محبوساً — وقد قلت لك ان بقاءه خطر عليك وعلى دولتك لان الرجل لا تقصره مطامعه على ولاده خراسان بل هو طامع بالخلافة»

فخنك المتصور وقال وهو يظهر الاستخفاف «لا افلنه يبلغ به جنونه الى هذا الحد - عليه ان نسبة اصغر من ان ينطأول الى هذا المذهب وهو مولى ايجي والخلافة لا تكون في غير قريش»

قال «أتوص الى مولاي امير المؤمنين اذا قلت له قوله ان لا يكذبني لاني لا اقول شيئاً من عند نفسي . فابو مسلم طامع بالخلافة ولم يغفل عن حصرها بقريش ولذلك فهو ينخل لنفسه نسبة فيهم ليزعم انه من نسل سليمان بن عبد الله بن العباس جدكم»

فلا يصح المتصور قوله وثبت من مكانه وثوب الاسد وقد غلب عليه الغضب ولم يقال لك ان قال «يا للبرأة والوقاحة .. صدقت» يظاهر انه طامع بالخلافة وهو يستخف بي فقد كتب اليه يخطب عمتي وجعل اسمه في ذلك الكتاب قبل اسمي فبقاءه عشرة في طريق دولتنا ولا بد من قتلها .. ولكنني قد يشتت من استقدامه بالحسنى وهو مقيم في حلوان وينبوي الشخص الى خراسان»

قال «اهديك الى وسيلة لاستقدامه على اهون سبيل .. ذلك ان تكتب اليه كتاباً مع رجل لين اللسان يخاطبه بلطف ويرغبه في القدوم اليك ويوكل له حسن قصداك وانك تنتوي ان تنتوي نقديه وان تجعله وزيراً لك .. وتوصي رسولك اذا لم يفاجئه بالحسنى ان يهدده باشك تحمل عليه حالاً وهو بحلوان بعيد عن رجاله الخراسانيين ..

قطع المتصور كلامه قائلاً «هذا الذي كنت عازماً عليه»

فقال صالح «بقي عندي رأي : وهو ان تستكتب حايم اليهودي كتاباً الى ابي مسلم يختتمه بـ «مخاتره بدعوه فيه الى اليه» ، ويطمعته ويزكيه كد له حسن قصداك وانك تنتوي نقديه .. اكتب انت ما تراه من هذا القبيل عن لسان هذا اليهودي الى ابي مسلم واستقدم الرجل واجعله يختتم عليه مخاتره .. وسترى اصحابه على خاتمه «ابراهيم» فلا تستغرب لان هذا هو اسمه الحقيقي .. وتبعث هذا الكتاب مع رسول آخر يدعوه الى ابي مسلم على حددة كأنه رسول من صاحبه هذا .. وبعد ان تدبر هذا التدبير انتقل للي بالآخر وابقى جندك اختراسانيين

هنا واوصل رسولك ان يأتني بابي مسلم الى ذلك البلد فإذا سار اليك اسرع في قتله ..
واحدر ان تبقي عليه .. هذه وصيتي .. وليست هي من عند قصي واغا اقول ما يلقى اليه»
قال «حسناً .. ولكن لا بد من ذهابك عي فقد أصبحت لا استغنى عنك ..
قال «سمعاً وطاعة ولكنك تاذن لي ان أخرج في اثناء ذهابي الى مكان مبارك لي فيه
نذر ثم آتاك الى حيث شئت»

قال «لاباس من ذهابك وما رأيك في المكان الذي سأنتقل اليه»

قال «أرى ان تنقل الى المدائن لتوسيعها بين البلدين ولانها المدينة التي غالب فيها
الفرس في اول الاسلام وسيغار فيها هذا الفارسي ايضاً باذن الله»

فانجذب المنصور بهذا التعليل وتغافل به وقال «سأفعل وحيتي عدت واني الى هناك»
ثم ندم المنصور على الاذن بذهاب الزاهد لثلاثة يفلت منه ثم لا يراه او انه يطلب الفرار
خلاة فقال «ولكنك ككيف البصر فينبغى ان ارسل معك من يتولى خدمتك في الطريق»
فلم يسع صالح الا القبول واخذ في التأهب فخرج المنصور من عنده واسطراحب ان يعد
له فرساً ويرسل معه رجلين من اخليمن يكونان في ركباه حق يعود

الفصل السادس والسبعون

من القلب الى القلب دليل

وكان صالح ينوي الدعاب الى جدار ليطمئنها ويحرضها على البقاء في الدير ريثما تهدأ
الاحوال لانه تذكر قلقها ورغبتها في مرافقته حتى هددته اذا ابطأ عليها ان تتحقق به كأن
قلبه دلماً على اقلاب ابي مسلم الى حبها فاختست بما يحتجزها ثغره — وهذا الذي يختلف فيه
صالح على نفسه لانها اذا اتت دار الخلافة وعلم بها خالد او ابراهيم اخبروها برسالة ابي
مسلم فتعسى في اقراذه فادا نجحت بني ابو مسلم حينها فيقتلهم فضلاً عما في ذلك من اخفاق مساعي
خرج المنصور فكتب الكتاب كما اشار صالح وبعث الى التجم حابيم (ابراهيم الخازن)
فلا دخل عليه دعاء الى اجلوس مجلس وهو خالف من تلك الدعوة — ويؤكد المربي
يقول خذوفي — وخصوصاً بعد علمه بوجود الزاهد (صالح) في دار الخلافة فلما دعاه الخليفة
خاف ان يكون صالح قد وشى بور فيقتله المنصور على التهمة . فلما جلس بين يديه لحظ

المذهور خوفه فقال له « لا تخفي يا ابراهيم لاني دعوتك لتباعدني على تقدير امير بني العباس (ابي مسلم) اتنا لا تزيد به شرعاً لاننا كاتبناه غير مرأة ندعوه اليها وهو يابي مع اذلك تعلم حسن ظبيعاً به كا تعلم صدق توبيخه ورجوعه الى الصواب فما كتب اليه كتاباً اذ كره له فيه صدق نيتنا في شدعيه وان ليس له عندنا ما يذكره »

فعلم ابراهيم ان المتصور لم يكفله بذلك الا لعله بصداقتنا ينهموا اخبره بها صالح فقال « وما الفائدة من كتابي بالنظر الى كتاب امير المؤمنين؟ »

فقال « انه نافع باذن الله » وكان المتصور قد امر الكاتب فاعده كتاباً يرغبه ابا مسلم فيه بالقدوم ويوكل له حسن ظان الخليفة فدفعه الى ابراهيم وقال له « هات خالتك » فارتبك ابراهيم في امره ولم يز مندوحة عن الطاعة فلديه الى منطقته واستخرج كيساً صغيراً من جانب الدواة دفعه الى الكاتب فاستخرج الكاتب من الكيس خاتماً طلاً بالمداد وختم به الكتاب ودفعه الى المتصور فقرأه فاذا هو « ابراهيم » فلم يجد ملاحظة ولكنه ضحك وقال « يظهر انك ذو اصحاب اسم داخل واسم خارجي ... لا باسم عليك ... » وتلطف المتصور به اعلم بحتاج اليه بكتاب آخر ولكنك استيقظت عنده واقام الارصاد على ابراهيم لثلاً يخرج من الانبار . وذهب المتصور في اليوم التالي الى المدان مع جماعة من مخاصمه وترك سائر الجلد في الانبار ولم يظهر غرضه لاحظوا واصطحبوا بعض المتجهين هوليث يتضطر قدوم الجواب من ابي مسلم ويود محيي الزاهد قبل اليسعيين برأيه اذا مست الحاجة الى ذلك

اما الزاهد (صالح) فانه ركب الى دير العذاري فلما وصله ايق الخادمين مع الفرس خارجًا ودخل وقد رفع العصابة عن عينيه وشدّد وسار حتى اقي جشار في غرفتها فوجدها في حالة يرثى لها من البكاء وريحانة الى جانبها تختلف عنها ولما وقع نظرها عليه صاحت فيه « آه يا صالح .. لقد طال معي في هذا الدير وفقد صبرتي وقلبي يهدى ثني بمغير عند خروجي منه ... تراكمت علي الاحلام على غير المعتاد ولا اظن ابا مسلم باقياً كما كان فقد رأيته في منامي جاثياً بين يديه يلتمس العفو عما اقترفه خwoي وهو يبكي وينوس .. تأمل يا صالح ... رأيت ابا مسلم اغترساني بطل المسلمين يبكي بين يديه ففهمت ان اقبله فاستيقظت وذهب خياله من امام عيني ولا ازال ابكي الم الآت » فالت ذلك وهي تكاد تشرق بدمعها

فاستغرب صالح بطابقة حملها الواقع وكاد يبكي لمسكانها لولا فظاظة قابه لانه لم يستمع

منها مثل هذا التصریح قبل تلك الساعة كأن عراطتها ظهرت فلم تعد تملئ نفسها فاستillet لاميال قلماها وباحت بسرتها . فلما رأها صالح في تلك الحال لم ير خيراً من تسکين ما بها بالكلام اللاتين ونکذيب الاحلام وطأتها لثيق في الدبر بضعة ایام اخر ربنا يتم ملبداً به من مقتل ابي مسلم فقال لها « مالي اراك في غير ما اعهده فيك من التعلق والرزاقة .. امن اجل حلم لا معنى له تبکین وتتخبین وتتصدقین بالشکیل ؟ . ومق کانت اضغاث الاحلام ما يعول عليه في تصاریف الزمان ؟ دعی الاوهام وارجعي الى رشدکي .. اذا كنت تستوعین من ابي مسلم حجاً فانك تعطلين من النار ما لا نه رجل لا قلب له يحب بد احداً حق ولا امراً له فكيف ترجون منه ان يندم على مجادلاتك بل كيف ترجين حجة اياك ؟ .. فلما سمعت كلامه لم تهالك عن ان صاحت فيه « الم تكون انت اول من نقل الى خبر حبه ؟ وامررت الى ما في نفسه من الشغف بي وانه اغا يمنعه من التصریح خوفه ان لا يكون عندي مثل ماعنته .. فكيف لقول الان انه لا قلب له يحب به و تستغرب بكلائي شوقاً اليه و تستبعد ان اخطر بيه ؟ . قد رأيته الليلة رأي العين كافي في يقظة او كان روحه ناجت روحي .. لاشك انه يحبني .. هل يمكن ان يكون قلبي مخدوعاً الى هذا الحد ؟ كيف يمكن ان يبلغ مني حبه هذا المبلغ حق اراه في المقام كالحقيقة واتلقى عذابه كالراحة وانسى سيناته وان كثرت واموت او احيا بكلامة منه ويكون هو بلا قلب ولا عاقل ؟ فان لم يلتفت الى حجاً فانه يرق لي شفقة .. » . فالت ذلك وقد يجيء صوتها وختقاها العبرات وتکسرت اهدابها واحمرت عيناهما من البکاء، وریحانة لفهما ولتبلا وخفف عنها ودموعها بتسلط بلا صوت كأنها تبكي همساً

فتحجب صالح لفهام القلوب و مطابقة تلك الرواية للحقيقة و حدثه قسه ان يريح لها يحب ابي مسلم ونده ثم توقف لعله انها اذا علت بذلك فسدت طبعته فاستشك وقال وهو يظهر العتب « لا يأس يا مولاقي اني احتمل هذه الاهانات اكراماً لمعزة والدك رحمه الله ولا اعتب عليك لانك فتاة لم تعرفي امور الدنيا .. اهذه عافية سعي في خدمتك طول هذه المدة ؟ »

تخرجت جنار لهذا النويخ وتقدمت ریحانة وهي تقول « لاعتب على مولاقي مها قالت وهي في مأزاه من النثار .. لا ادری ما الذي اصحابها منذ اقى اليها ذلك اليهودي هذه العبارة .. لينه مات قبل ذلك الحين »

فقال صالح « اذا اذنب اليهودي عاقب انا ؟ فقد حلت المشاق في هذه اليرارني

لطمئن عنكم وبشركم بقرب النجاح فبدلاً من ان تلقياني بالترحاب وتسألاني عما جرى
تسمعني هذا التوبيخ لا يلبس بامضيتي هل عندكم لعام؟ فاني لم اكل منذ الايس
خفيف جلزار وباردت ريحانة والله يا حضر من العام فاكمل وهم سكت وفدي
هذا روع جلزار فندمت على ما اظهرته من الحدة ولكنها استكانت من الاعذار وشعرت
بتغير قلتها واحت لسب لا تعلمها يا يفترها من صالح واصبحت اذا نظرت في عينيه اعتزها
نفور فلم تعد تستطيع المكوث بين يديه فنهضت الى غرفة أخرى واستلتقت على الفراش
ظهور التعب والتعاس وخللت ريحانة بين يدي صالح تعتذر عما فرط من سيدتها وسأله
عما جرى فاظهر انه متأثر بما معه وقال «ساخبرك عن ذلك في المرة القادمة فاني ساع
جهدي في مصلحتها ولا ابالي يغصبي او رضاها فاصبحي لي ان اصرف الاآن وهي افاقت
مولاتك اهدتها سلامي» قال ذلك وخرج فاصلح عصابة عينيه وعاد الى ما كان عليه
فوجد اظالمين في انتظاره بالبلواد فركب وعاد

الفصل السابع والسبعون

مقتل أبي مسلم

اما المتصور فنزل في قصره بالمدائن ومكث ينتظر قدوم ابي مسلم او جوابه وبعد
بضعة ايام وصل صالح (الزاهد) وقد سمع ما سمعه من جلزار وصم على تع gio قتل ابي مسلم
تجدد الطاعة لذا يعرضه مفترض وهو يعلم انه اذا لم يقتله قتل هو اذا ليس من يعرف حقيقة
حاله الا هو وخازنه ابراهيم وامتبطاً بالمتصور ابا مسلم فسأل صالح عن سبب الابطاء فقال
«لا بد من قدومه واذا لم تتحقق فيه هذه الحياة فندي حيلة أخرى لا شك في نجاحها»
يريد انه يزور كتاباً عن لسان جلزار جواباً على كتابه اليها لهذا لا تلك يكتب له على المجيء
على انه لم يوجد حاجة الى ذلك فبعد بضعة ايام أخر جاء البشير ان ابا مسلم قادم فبعث
المتصور من يستقبله ويرحب به وفيبلغه سلامه وشوفه فاحتلان ابي مسلم وكان لا يزال
حزيناً كثيراً لارتباته من هذه الدعوة فدار في موكيه حتى اقبل على قصر المتصور فاذن
بدخوله فدخل وكان صالح عنده على وسادة في بعض جوانب القاعة فتقدم ابي مسلم وقبل يد
المتصور فاظهر ارتياحة وامرها ان ينصرف ويروح نفسه ثلاثة ايام ويدخل الحمام فانصرف

وشقَّ هذا النَّاجِيل على صالح بخافة أن يحدث ما ينبع قوله: فقال للنصرور «أَرَى مُولَّاي
يُاعْلَم في ما يدعوه إلى المبادرة والسرعة»

فقال «تُركناه ليطعن قلبه ثم نرى»

فلا سمع قوله خاف أن يكون في نيته غير القتل فقال «ثُمَّ ترى ماذا؟ .. اقتلْتُمْ أَقْتَلْ
ثُمَّ أُقْتَلُ .. وَإِذَا لَمْ تُقْتَلْهُ فَتَكُ»

ففحَّلَ المتصور وقال «لَا تَخَفْ .. لَا يَلْتَقِي خَلَاتٍ فِي أَجْهَةِ الْأَقْتَلِ أَحْدُهَا
صَاحِبِهِ» فاطَّلَ صالح

اما ابو مسلم فكثُرَ ثلَاثَةِ أَيَّامٍ لَمْ يَرَ فِي اثنَيْهَا خازِنَهُ إِبْرَاهِيمَ وَلَا خَالِدَ بْنَ يَرْمَكَ
فاستوحشَ مِنْ غَيَابِهِما وَاقْطَاعَهُما وَعَادَ إِلَى هُوَاجِهِ .. وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ جَاءَهُ رَسُولُ
الْمُتَصْوِرِ فَرَكِبَ مَعَهُ بَعْضَ رِجَالِهِ .. وَكَانَ الْمُتَصْوِرُ قَدْ أَعْدَّ خَسْنَةً مِنْ حَرَاسِهِ خَلْفَ
الرَّوَاقِ بِالسَّلَاحِ وَقَالَ لَمْ «اَذَا صَنَقْتُ اَهْجَمُوا عَلَيْهِ جَمِيعًا وَاقْتُلُهُ» فَلَا وَصَلَّى ابو مسلم
عَنْدَ الْبَابِ تَرْجُلَ وَدَخَلَ مُنْقَرِدًا حَتَّى مَرَّ بِالرَّوَاقِ إِلَى الْقَاعَةِ وَفِي صَدْرِهِ مَرِيرٌ قَدْ جَلَسَ
عَلَيْهِ الْمُتَصْوِرُ وَحْدَهُ وَلَيْسَ فِي الْقَاعَةِ إِلَّا ذَلِكَ الزَّاهِدُ وَقَدْ قَدَ جَائِيًّا وَاطَّرَقَ .. فَلَا دَخَلَ
ابو مسلم حَيَاً وَوَقَفَ وَقَدْ لَقَدَ سَيِّفَهُ وَعَلَى رَأْسِهِ قَلْنسُوَةٌ طَوِيلَةٌ فَلَمْ يَدْعُهُ الْمُتَصْوِرُ لِلْجَلوسِ فَزَادَ
إِسْتِيَّاشًا فَاحْتَالَ الْمُتَصْوِرُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فِي اخْذِ السَّلَاحِ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ «اَخْبُرْنِيْ عنْ نَصْلِينِ
اَصْبَهِمَا مَعْ عَمِيْ عَبْدِ اللَّهِ»

فَدَّيَدَهُ ابو مسلم إِلَى سَيِّفِهِ وَقَالَ «هَذَا اَحْدُهَا»

قال «أَرَفِي اِيَاهُ»

فَانْسَاهَ وَدَفَعَهُ إِلَيْهِ فَوْضَعَهُ الْمُتَصْوِرُ تَحْتَ فِرَاشِهِ .. ثُمَّ اَقْبَلَ يَعْاتِبَهُ عَنْ اُمُورٍ كَثِيرَةٍ كَانَ
قَدْ أَسَأَهَا هُوَ وَهُوَ يَرِدُ عَلَيْهِ رَدًّا جَيِّلًا حَتَّى قَالَ الْمُتَصْوِرُ «الْسَّتُّ الْكَاتِبُ إِلَيْهِ تَبَدَّى بِنَفْسِكَ
وَتَخَطَّبُ عَمْقِيَّ أَمْنَةَ بَنْتَ عَلَى وَتَزَعَّمُ اَنْكَ لَيْنَ سَلِيطُ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ؟ .. قَدْ ارْتَقَيْتَ
لَا اَمَّ لَكَ مِنْيَ صَعِيْبًا» فَكَانَتْ هَذِهِ الْعَبَارَةُ اُولَمَا حَرَّكَ غَضْبَ ابْنِ مُسْلِمٍ وَلَكِنَّهُ كَلَمٌ
وَفَلَلٌ سَاكِنًا وَقَدْ تَشَاغَلَ بِاصْلَاحِ رَدَائِهِ عَلَيْهِ كَتْنَيْهِ فَقَالَ لَهُ الْمُتَصْوِرُ «مَا الَّذِي دَعَاكَ
إِلَى قَتْلِ سَلِيطَنَ بْنَ كَثِيرٍ؟ مَعَ اُثْرِهِ فِي دُعْوَتِنَا فَانَّهُ اَحَدُ فَتَيَّانَا وَهُوَ الَّذِي اَدْخَلَكَ فِي
هَذَا الْأَمْرِ»

فَقَالَ «أَرَادَ اَنْتَلَافَ وَعَصَافِيَّ فَقَتَلَهُ» .. وَلَا طَالَ الْعَنَابُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ لَمْ يَعْدَ ابو مسلم
يُطْلِقُ صَبِرًا فَقَالَ «لَا يَقُولُ هَذَا لَيْلِي جَعْدُ بْلَائِي وَنَصْرَتِي .. وَمَا كَانَ مِنِّي» يَعْرُضُ بِنَهْرِهِ

دعوتهم . فقال « يا ابن الحبيبة والله لو كانت أمة مكنته لفعلت مثل فعاث إنما عملت ما عملته في دولتنا بريخنا وتجاهنا فلو كان ذلك إليك ما فعلت شيئاً »

فاحسأ ابو مسلم بدلاله الغدر في التصور ورأى نفسه منفردًا هناك فتقدمنا إلى التصور وأخذ يده ويقبلها ويعتذر فقال التصور « ما رأيت كاليوم والله ما زدتني إلا غضباً »

فعادت الافرة إلى أبي مسلم فقال صوته يرتجف من الغضب « دع هذا فقد أصبحت ما أخاف غير الله » فغضب التصور وشغله وشقق يده على الأخرى تخرج عليه الحرس فسرقه أحدم فقطع حمائل سيفه فصاح ابو مسلم « أسبقيني لمدوك يا أمير المؤمنين » فقال لا أسبقي الله اذا اي عدو اعدى لي منك ؟ « فصاح العفو العفو يا أمير المؤمنين » وما من عجيب فتساءلت السيف عليه نفر على الأرض ^(١)

فترض التصور ليتحقق موته فرأه لا يزال يختبط بيده ويزار كالأسد الجريح خوفل بصره وهو ينجلد من ذلك المنظر . فسمع غواصه في غرفة مستطرفة إلى تلك القاعة ثم رأى بإيمانه دفع بقوه ودخلت منه فتاة مكتوفة الرأس مخلولة الشعر سائرة الوجه يتدقق وجهها جمالاً وهيبة وقد هرعت ويداها ممدودتان وصاحت « العفو يا أمير المؤمنين العفو عني وعنك او انتلي معه » وفي أثرها خادمتها تصيح مثل صياحها . فلما سمع صالح الدسوقي عرف أنها صوتاً جلنار وريحانة فاسقطت يده واستغرب قدموها في تلك الساعة وجد الدم في عروقه ولكنها تجحد ووقف وارد ان يتسلل في أثناء الغواصه فاذ برجل دخل على اثر المرأة وامسك ببطوقة وصاح فيه امسك هنا يا خائن قد خذلت امير المؤمنين وحملته على قتل كبير نواه وتعلّب الفرار ؟ »

فيقت التصور لتلك الضوضاء واستقر بجسارة الداخلين عليه بغير استئذان وارد أن ينادي الحرس ليسأله عن ذلك فاستوقف انتباذه منظر متقطع له الاكبات — رأى جلنار أقبلت على أبي مسلم وهو معروض في ارض القاعة والدم يسيل من جوانبه وقد توسد البساط معارضًا ووجهه نحو التصور كأنه يتوعده وقد نشرت قاتلوه عن رأسه فبان شعره وتلوث بالدم — فلما رأته على تلك امالة صاحت « أبا مسلم ! » فالفاقت ونظر إليها يعينين تكادان تغمدان من الاحتضار وقال بصوت عتيق « سأحبني يا جلنار » ثم أرجع عليه وأخذ يبكي يكاه العاقل فسقطت وقد أغمي عليها . فاشتفل الحضور بها ورشوها بلاء ولاماً فأفاقت بهنها إلا أن تنظر إلى أبي مسلم وكان قد فارق الحياة وشخصت عيناه

ووجدنا وها متوجهان اليها والدمع لا يزال فيهما فرمي نفسها عليه وجملت تسرع برداة وتنفس كفيها بدمه وغسق وجهها . ثم همت بيديه وصدره وأخذت قبلي ثوبه وتنشق ريحه وتبكي وتلطم حقي يرق في الغرفة الا منقطع قلبها عليها . فلما رأى المنصور ذلك امس طراس ان يلتو اوجهة ابي مسلم بالبساط ويخرجوا من القاعة . فلفوه وهي تحاول دفعهم عنه وخرجوا جميعاً ولم يرق هناك الا جبار وخدمتها — استقباها المنصور ليفحص عن سبب ذلك العمل . ثم تقدم الى الفتاة وانقضها يده وهو يقول لها « ما بالك يا بنتي . ما الذي أصابك »

فأبتهت والتفت الى ما حولها فلم تجد جثة ابي مسلم فقالت « اين هو ؟ دعوني اودعه او خذوني معه »

فقال لها المنصور « اعلمي يا صبية ان امير المؤمنين يخاطبك » فوافت وتأدب ثم التفت وهي تبحث عن ريحانة فرأوها مركبة بشوب صالح وابراهيم قابض على طوقه وهو يحاول القرار فصاحت فيه « اهذا جزاء الفتقة يا صالح .. يا سيك كتاب ابي مسلم بالتوبة والصالحة واخبرك ان قابي يحدني بذلك وانت تخفي عني جهة » كانت حفظت ان يفلت هذا الاسد من القتل فيقتلك . وما كفاك ذلك حتى حررت امير المؤمنين على قتله واقعته انه مطوي على الفش وان التوبة التي بعث بها اليه فاسدة . وهذا كتابه اليه كتبه منذ بضع سنوات يشهد بصدق توبيه عن كل شيء » قالت ذاتها واستخرجت من جيبها منديلانا من الحرير الاحمر فيه كتاب من رق دفعته الى المنصور . فتناوله وهو في حيرة مما يشاهده وقد دهش على الحصوص لما رأه من قبض ابراهيم اليهودي على طوق الزاهد . وكان المنصور لا يزال عمسكاً بيد جبار فاجلسها على السرير وقعد الى جانبه وصاح بابراهيم « ويشك ما هذه الجباره ؟ كيف تقبض على هذا الرجل الصالح في حضرتي »

فقال « لا تدعه صالح يا امير المؤمنين فإنه من اشر خلق الله .. انه شرير يستوجب القتل الشنيع لانه حررتك على قتل ابي مسلم وانكر توبيه وخدعك بما يظهره من التقوى والزهد وهو من اكبر اعداء امير المؤمنين »

فبعث المنصور حق ظن نفسه في الحلم فقال « دعه واخبرني بما تعرف عنه » قال « لا تاركه حتى تأس من يقبض عليه »

فقالت ريحانة « اتركه فاني قابضه عليه . ويهجز عن القرار في »

الفصل الثامن والسبعون

الخاتمة

فتركه ابراهيم ووقف بين يدي الخليفة وقال « ان هذا الذي يتغافل هر بالزهد ويسمى نفسه تارة صالحأ وطوراً الفضاحك وأوانة الزاهد رجل » من الخوارج الاشرار كان في جملة رجال شبيان بقرب مسرى في أثناء محاصرة أبي مسلم إياها، وقد قام في نفسه ان يساعد حزبه بالمال والأذى والجحيل فالتطرق بهم هذه الفتنة وهو من دعاةين خراسان فجعل نفسه خادماً عنده واحتال حيلاً شتى استخدم هذه الفتنة بغيرها لقتل أعدائه وهي تعليمه عن سذاجة ولسلامة نية طعمها يمساعدته في الحصول على أبي مسام وكان قد أقسمها أن أبا مسلم يحبها وزعم انه شكا إليه حبها ولم يكن هذا القتيل يعلم ذلك ثم ظهر لها أن أبا مسلم لا يحبها فخدمت ذلك تحمل الجيشه منه وحرضها هذا التمرد على الانتقام منه لوالدها وكان أبو مسلم قد قتلته بدسسته بعضهم فتحمل هذه الفتنة وطار بها في الآفاق يترقب الفرص لاغتيام غرضه والخوارج كلا لا يخفى على أمير المؤمنين لا يرون السلطة جائزة لأحد سُئِّمْ ندم أبو مسام على جفائه ورأى هذه المسكينة مظلومة فبعثني بكتاب منه هو هذا الذي بيد أمير المؤمنين وكلفني أن أطوف البلاد لابحث عنها فوجدتها في الكوفة وهمت أن أخبرها بالامر فحال هذا الامر بينا لانه لما علم بهجيسي هرب بها إلى دير خارج الكوفة واسرع للإحتيال على أمير المؤمنين حتى أقام في قصره واظهر أنه يشير عليه وبطلمه على القريب ثم بالله انه ابحث عن هذه الفتنة لا يلقاها بهذه الرسالة فكتم ذلك دونها مع انه شاهدتها بالأمس وشكك اليه غيرها وان نفسها تحملها برضاحتها وهو يذكر ذلك بخفاقة ان يكون في اطلاعها على خوى الكتاب ما يختلف ذنب هذا المسكين عند أمير المؤمنين ولا شك عندي ان أمير المؤمنين لو اطلع على هذا الكتاب قبل ذلك ب لهذا القائد العظيم لاستحياء اذ يتحقق توجده وتملاقه باطلافة العباسية وقد عرفت بوجود هذا الخارجى في دار أمير المؤمنين منذ امرني بكتابه ذلك الكتاب الذي كلك سبباً في مقتل هذا الرجل وعلمت انه مامن احد يعرف بكلمات جثار سواه فما زلت اترقب خروجه اليها حتى خرج المرء الاخيرة فارسلت غلاماً عرف مكانها وعاد اليه قبل رجوعه وانا مع أمير المؤمنين في

هذه المدينة . فلما جاء ابو مسلم منذ ثلاثة ايام فرحت بجيشه واحببت ان ابعثه بجيشه فلم اذهب للسلام عليه بل أمرت الى المدقانة ودفعت الكتاب اليها بخاتمي وهي وقلها بكتاب يطير من الفرح فسررت ان يتم النقا هذين الحبيبين تحت ظال امير المؤمنين . فلما وصلنا الى هذا القصر قبل لنا ان ابا مسلم في مجلس اخليفة فالمتعنا من قيم الدار ان يدخلنا كفيف ريشا يفرغ من المقابلة . فادخلونا الى هذه الحجرة المستطرفة الى هنا فجلسنا لنتظار خروج هذا المسكون ثم سمعنا صوته واستغاثته وعلنا انه يقتل فلهمت هذه الفتاة وهي لا تعي ولا استطاعت ردّها وفعلت ما رأيته وادا شاء امير المؤمنين ان يُنْلِي هذا الكتاب بمحضرته تحقق صدق قوله :

فاختى المنصور الكتاب اثلاً يكون فيه ما يثبت توبية ابي مسلم فبداع انه قتل مظلوماً .
فلما فرغ ابراهيم من كلامه صاحت جلنار بصالح « ويلاك يا خائن .. انت من الخارج وغضشتني كل هذه المدة وانا اعدك بمنزلة ابي » وحرقت اسنانها واطرقـت وهي تبكي
فقالت ريحانة وهي لا تزال حمسكة بشوب صالح « اعلم يا امير المؤمنين ان هذا الرجل هو الذي سعى في مقتل ابراهيم الامام عند مروان ثم جعل نفسه زاهداً فقام في الجبعة وخدعك ولا يزال يخدعك الى الان . واذا كنت لا تصدق قولـي مره ان يزيل هذه العصابة عن عينيه فيظهر لك انه صحيح البصر وهو يتظاهر بالعمي » قالت ذلك ومدّت يدها خلف العصابة فباتت عيناه فاجـال نظره في الحضور وهو ثابت الجنـان رابط الجـاش كـأنه وافق على ضفاف دجلة للنـزهة

فلما سمع المنصور ذلك انقطع قلبه على تلك الفتاة ولكنـه لم يندم على قتل ابي مسلم ثم التفت الى صالح فرأـه واقفاً لا يتكلـم ولا يرـتد ولا ظهرت عليه البـعـنة فارـاد ان يـسألـه عـما سـمعـه فقال له « ماذا تقول عـما سـمعـته ؟ »

قال « كلـما قالـوه صـحـيقـ في محلـه »

قال « تقول ذلك ولا تخاف غـضـبـي ؟ »

قال « وماذا يـخيـنـي من غـضـبـك .. انـقدرـ انـتفـعـ بيـ شبـئـ اعـظمـ منـ القـتـلـ ؟ فـانا لاـ اـبـالـيـ بالـذـيـ يـصـبـيـ بـعـدـ انـ باـثـتـ مـرـاميـ بـقـتـلـ هـذـاـ الـفـاطـمـ غـيـرـ اـنـ اـنـحـلـكـ انـ قـتـلـ هـذـاـ اليـهـودـيـ اـيـضاـ لـانـهـ مـنـ اـكـبرـ المـاذـقـيـنـ »

فقال المنصور « اـماـ القـتـلـ فـانـهـ قـلـلـ عـلـيـ ذـنـوبـكـ لـانـهـ كـثـيرـ وـكـلـ واحدـ مـنـهاـ تـسـقـقـ عـلـيـهـ القـتـلـ » ثم نـظـارـ الى جـلنـارـ فـرـأـتـ مـطـرـقةـ وقدـ اـسـتـغـرـقـتـ فـيـ اـحـزـانـهاـ فـارـادـ انـ يـشـيـ

غليها فقال لها « ان هذا الجاني لك فاختاري الطريقة التي تریدينها لقتله مما يشفي غليلك فرفعت بصرها الى الخليفة والسمو علیها عينيها وقالت « هل اذا بالفت في عذابه يجيء حبيبي لا يجيئني بای طریقة قتل » قالت ذلك وقد خنتها العبرات وكانت قد هدأ روحها من البُعنة وعاد اليها رشدتها

فانجذب المتصور بتعقلها والتفت الى صالح وقال « كل فرروب القتل قليل على ذنك ولكنني سأذلك كما قتل الحجاج فیروز » وضنقا فدخل الحرس فامرهم ان يشقووا القديب الفارسي ويمرروا الرجل ويشدوا القصب المشقوق على بدنه ثم يسلوه قصبة قصبة فيخرجونه ثم يسبون عليه اخلل والملح حتى يموت من الالم » فلما خلته وفجعوا به كا امر الخليفة

فلا ممتحن جلدار ذلك الوصف اشعر ~~بسنة~~ والتفت المتصور اليها قائلاً « وانت يا بنية عظم الله اجرك بوالدك وحبيبك وقد قلت ~~بسنة~~ وحيث انك ~~بسنة~~ خيرة في الواقع فاذًا شئت ان تنزلني في دار امير المؤمنين مثل ~~بسنة~~ او ~~بسنة~~ او ~~بسنة~~ ~~بسنة~~ خيرت الاقامة في مكان آخر كان لك ما تریدين » (UAL) فاثنت على فضل المتصور وقالت اذا احب امير المؤمنين ان يسرفي فلعلني بهذا « وأشارت الى مكان ابي مسلم وعادت الى البكاء »

قال « ان البكاء لا ينفعك فاذهي الان مع حاستيك الى دار النساء الامتناحة فلائنا في شغل »

فنهضت واخذت ببحث عن جثة ابي مسلم في اقصى القاعة فلم تجدوها لأنهم كانوا قد نفوا بالبساط ثم التفت الى المتصور ووجهها ملوث بالدم وقالت « اوصيك بهذه الجثة خيراً » وخرجت وهي تبكي وكتناها على عينيها وقد جمد الدم عليها وريحانة تقبعها اما ابراهيم فان وصيحة صالح بقتله اثرت على المتصور واوجبت الشك فيه على الاقل فامر بقتلها مرمياً — والنکتم ومحظى الامصار من مشؤون الدولة العباسية

واما جلدار فقضت تلك الليله هناك وهي تندب حظها وتبكي حبيبها واصبع اهل الدار في اليوم التالي فلم يجدوها بينهم ولا عرفوا مكانها لانها كرهت عشرة الاجياد واختارت الاقامة في الدير الذي كانت فيه مع حاستها وانقطعت عن الناس ولم نعلم مصيرها

انت الرواية